

الصحيح

من سيرة الإمام علي

(المرتضى من سيرة المرتضى)



الصحيح

مِنْ سَيِّدَةِ الْأِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(المرتضى من سَيِّدَةِ الْمُتَّقِينَ)

الْعَلَمُ الْمُحَقَّقُ

السَّيِّدُ جَعْفَرُ مُرْتَضَى الْعَالِمِي

الجزء الحادي والثلاثون

بِإِذْنِ وَرَعَائِهِ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ

إِنَّا لِلَّهِ السَّيِّدِ جَعْفَرِ مُرْتَضَى الْعَالِمِي

عاملي، جعفر مرتضى ۱۹۴۴م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) / السيد جعفر مرتضى العاملي. قم: أيام، ۱۴۳۲ ق.= ۲۰۱۲ م.= ۱۳۸۹.

۵۱۲ ص.

ISBN: ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۹۱۰۶۳ - ۹ - ۷

۶۰۰,۰۰۰ ريال

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

کتابنامه:

۱. علي بن أبي طالب (ع)، إمام أول، ۲۳ قبل الهجرة - ۴۰ ق سر گذشت نامه. ۲. إسلام - تاريخ از آغاز تا ۴۱ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

۲۹۷/۹۵۱

۳ ص ۴۴ B P ۳۷/۳۵

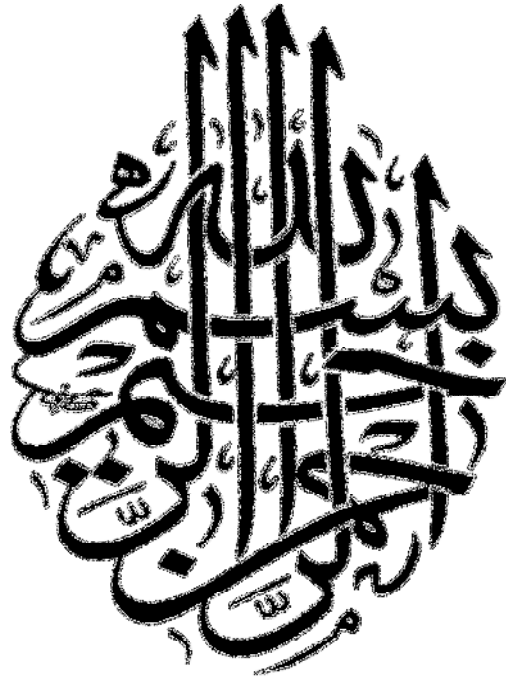
۱۳۸۹



|                     |                                        |
|---------------------|----------------------------------------|
| اسم الكتاب:         | الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام  |
| اسم المؤلف:         | السيد جعفر مرتضى العاملي               |
| الناشر:             | نشر أيام                               |
| الطبعة:             | الأولى ۱۴۳۲ هـ. ق = ۱۳۸۹ هـ ش = ۲۰۱۲ م |
| عدد المطبوع:        | ۲۰۰۰ نسخة                              |
| سعر الدورة: ۳۱ - ۴۵ | ۶۰۰۰۰ توماناً                          |
| ردمك ج ۳۱:          | ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۹۱۰۶۳ - ۳ - ۵              |

العنوان: ايران - قم - ۴۵ متري صندوق - صدوقي ۶ پلاك ۲۰ تلفن: ۰۹۱۲۶۵۱۸۸۱۴ - ۰۹۱۲۱۵۱۷۶۷۷

این اثر با حمایت معاونت محترم فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی طبع شده است





## الفصل الرابع:

القتال في النهروان..



## لا تبدأوهم بالقتال:

1 - قالوا: لما أشرف علي «عليه السلام» على الخوارج قال: الله أكبر، صدق الله، ورسول الله «صلى الله عليه وآله»<sup>(1)</sup>.

2 - خرج منهم رجل بعد أن قال علي «عليه السلام»: ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب.

فقالوا: كلنا قتله وشرك في دمه!

ثم حمل منهم رجل على صف علي - وقد قال علي: لا تبدأوهم بقتال - فقتل من أصحاب علي ثلاثة، وهو يقول:

**أقتلهم ولا أرى عليا ولو بدا أوجرته الخطيا**

فخرج إليه علي «صلوات الله عليه»، فقتله، فلما خالطه السيف قال: حبذا الروحة إلى الجنة!

---

(1) مروج الذهب ج2 ص416 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص373 عنه.

فقال عبد الله بن وهب: ما أدري أليّ الجنة، أم إلى النار؟! فقال رجل من بني سعد: إنما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شك!! فانخزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري(1).

3 - وفي نص آخر: «دعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا، ورموا أصحابه، فقتل له: قد رمونا. فقال: كفوا.

فكرروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكف، حتى أتى برجل قتل متشطح بدمه.

فقال علي: الله أكبر، الآن حل قتالهم. احملوا عليهم»(2).

4 - حمل رجل من الخوارج (اسمه شريح بن أوفى، كما سيأتي) على أصحاب علي، فجرح فيهم، وجعل يغشى كل ناحية، ويقول: أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً فخرج إليه علي «رضي الله عنه»، وهو يقول:

---

(1) الكامل للمبرد ج 3 ص 1105 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 272 وراجع: شرح الأخبار ج 2 ص 55 / 416 ونهج السعادة ج 2 ص 396 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 375.

(2) مروج الذهب ج 2 ص 416 ونهج السعادة ج 2 ص 388 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 374.

يا أيهذا المبتغي عليا      إني أراك جاهلاً شقياً  
 قد كنت عن كفاحه غنياً      هلم فابرزها هنا إليار  
 وحمل عليه علي، فقتله.

ثم خرج منهم آخر، فحمل على الناس، ففتك فيهم، وجعل يكر  
 عليهم، وهو يقول:

أضربهم ولو أرى أبا حسن      ألبسته بصارمي ثوب  
 غبن

فخرج إليه علي وهو يقول:

يا أيهذا المبتغي أبا حسن      إليك فانظر أينما يلقي الغبن  
 وحمل عليه علي وشكه بالرمح، وترك الرمح فيه، فانصرف  
 علي وهو يقول: لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره<sup>(1)</sup>.

الأخسرون أعمالاً، لماذا؟!:

5- قال ابن أعثم:

فصاح ذو الثدية حرقوص وقال: والله يا بن أبي طالب، ما نريد  
 بقتالنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة.

قال: فقال علي «رضي الله عنه»: هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً

---

(1) مروج الذهب ج2 ص416 وراجع: بحار الأنوار ج34 ص450 وراجع:  
 تاريخ الطبري (ط دار الأضواء) ج4 ص65 وأنساب الأشراف (ط  
 الأعلمي سنة 1394هـ) ص373.

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (1). منهم أهل النهروان ورب الكعبة! (2).

الشهداء التسعة:

6 - قال: ثم دعا علي برجل من أصحابه يقال له: ربيعة بن وبر البجلي، فدفع إليه اللواء، وأمره بالتقدم إلى القوم، قال: فتقدم إلى القوم وهو يقول:

لقد عقد الإمام لنا لواء      وقدما أمام المؤمنين  
بأيدينا مثقفة طوال      وبيض المرهفات إذا حلينا  
نكر على الأعداء كل يوم      ونشهد حربهم متواريينا  
ونضرب في العجاج رؤوس قوم      تراهم جاحدين وعابدين  
قال: فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد.

وتقدم من بعده عبد الله بن حماد الحميري فقاتل فاستشهد.

وتقدم من بعده رفاعة بن وائل الأرحبي، فقاتل واستشهد.

ثم تقدم من بعده كيسوم بن سلمة الجهني، فقاتل فقتل.

وتقدم من بعده عبد بن عبيد الخولاني، فقاتل فقتل.

قال: فلم يزل يخرج رجل بعد رجل من أشد فرسان علي حتى

(1) الآية 104 من سورة الكهف.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 271 وموسوعة الإمام علي

بن أبي طالب ج 11 ص 250.

قتل منهم جماعة، وهم ثمانية(1).

**هربوا من الكفر فوقعوا فيه:**

7 - وأقبل التاسع واسمه حبيب بن عاصم الأزدي، فقال: يا أمير المؤمنين! هؤلاء الذين نقاتلهم، أكفارٌ هم؟! فقال علي: من الكفر هربوا، وفيه وقعوا. قال: أفيمنافقون؟!

فقال علي: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قال: فما هم يا أمير المؤمنين حتى أقاتلهم على بصيرة ويقين؟! فقال علي: هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية، يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم ، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه(2).

قال: فعندها تقدم حبيب بن عاصم هذا نحو الشراة وهو التاسع من أصحاب علي فقاتل وقتل، واشتبك الحرب من الفريقين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أولئك التسعة(3).

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص271 و 272.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص272 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص302.

(3) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص272.

### من حديث القتال أيضاً:

8 - روى أبو مخنف عن أبي جناب، قال: وشد عبد الله بن زحر الخولاني على عبد الله بن شجرة السلمي فقتله، ووقع شريح بن أوفى إلى جانب جدار فقاتل على ثلثة فيه طويلاً من نهار، وكان قتل ثلاثة من همدان، فأخذ يرتجز ويقول:

قد علمت جارية عبيه ناعمة في أهلها مكفيه  
أني سأحامي ثلمتي العشي

فشد عليه قيس بن معاوية الدهني فقطع رجله، فجعل يقاتلهم ويقول:

القرم يحمي شوله معقولا

ثم شد عليه قيس بن معاوية فقتله فقال الناس:

اقتلت همدان يوماً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى  
الأصل

ففتح الله لهمدان الرجل

وقال شريح:

أضربهم ولو أرى أبا حسن ضربته بالسيف حتى  
يطمنن

وقال:

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً(1)  
ثلاث حملات لخوارج النهروان:

وقد روى الخطيب البغدادي: «أن الخوارج حملت على الناس حتى بلغوا منهم شدة».

ثم حملوا عليهم، فبلغوا من الناس أشد من الأولى.

ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنها الهزيمة.

فقال علي «عليه السلام»: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يقتلون منكم عشرة، ولا يبقى منهم عشرة. فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم، فقتلوا(2).

وأمرهم أن لا يتبعوا مولياً أيضاً(3).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص87 و 88 و (ط الأعلمي) ج4 ص65 والكامل في التاريخ ج3 ص347 و 348.

(2) تاريخ بغداد ج14 ص365 (ط دار الكتب العلمية سنة 1417هـ) ج14 ص368 ونهج السعادة ج2 ص395 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص356 وراجع: ميزان الحكمة ج1 ص735 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص322.

(3) تاريخ بغداد ج1 ص160 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1417هـ) ج171 وراجع: الكنى والألقاب ج2 ص247.

### عدي يضمن العيزار:

9 - قال أبو مخنف عن مجاهد، عن المحل بن خليفة: أن رجلاً منهم من بني سدوس يقال له: العيزار بن الأخنس كان يرى رأي الخوارج. خرج إليهم، فاستقبل وراء المدائن عدي بن حاتم، ومعه الأسود بن قيس، والأسود بن يزيد المراديان، فقال له العيزار حين استقبله: أسالم غانم، أم ظالم آثم؟! استقبله: أسالم غانم، أم ظالم آثم؟! فقال عدي: لا بل سالم غانم.

فقال له المراديان: ما قلت هذا إلا لشر في نفسك، وإنك لنعرفك يا عيزار برأي القوم، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين، فنخبره خبرك.

فلم يكن بأوشك أن جاء علي فأخبراه خبره، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه يرى رأي القوم، قد عرفناه بذلك.

فقال: ما يحل لنا دمه، ولكننا نحبسه.

فقال عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين، ادفعه إلي وأنا أضمن ألا يأتيك من قبله مكروه.

فدفعه إليه(1).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 89 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 66 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 4 ص 283.

## قتل العيزار في النهروان:

**10 - قال:** وتقدم رجل من الشراة يقال له: الأخنس العيزار الطائي حتى وقف بين الجمعين، وكان من أشد فرسان الخوارج، وكان ممن شهد يوم صفين وقاتل فيه، فلما كان ذلك اليوم تقدم حتى وقف بين الجمعين وأنشأ يقول:

ألا ليتني في يوم صفين لم أؤب      وغودرت في القتلى بصفين  
ثاوي

وقطعت إرباً أو (1) ألقيت جثة      وأصبحت ميتاً لا أجيب المناديا  
ولم أر قتلى سنبس ولقتلهم      أشاب غداة البين مني النواصيا  
ثمانون من حي جديلة قتلوا      على النهر كانوا يخضبون  
العوالي

ينادون لا لا حكم إلا لربنا      حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا  
هم فارقوا من جار لله حكمه      وكلّ عن الرحمن أصبح راضيا  
فلا وإله الناس ما هان معشر      على النهر في الله الحتوف  
القواض

شهدت لهم عند الإله بفلحهم      إذا صالح الأقوام خافوا  
المخازي

وإلوا إلى التقوى ولم يتبعوا الهوى      فلا يبعدن الله من كان  
شاريا

(1) لعل الصحيح: فألقيت.

قال: ثم حمل على أصحاب علي «كرم الله وجهه» حملة، فشق الصفوف وقصده علي، فالتقيا بضربتين، فضربه علي فألحقه بأصحابه(1).

### قتل الراسبي:

11 - وتقدم عبد الله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين، ثم نادى بأعلى صوته: يا بن أبي طالب! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك؟!

والله، لا نبرح هذه العرصة أبداً، أو تأبى على نفسك، فابرز إلي حتى أبرز إليك، وذر الناس جانباً.

فتبسم علي «رضي الله عنه» ثم قال: قاتله الله من رجل ما أقل حياءه! أما إنه ليعلم أنني حليف السيف، وجديل الرمح، ولكنه أيس من الحياة، أو لعله يطمع طمعاً كاذباً.

قال: وجعل عبد الله يجول بين الصفيين وهو يرتجز ويقول:  
أنا ابن وهب الراسبي الشاري      أضرب في القوم لأخذ النار  
حتى تزول دولة الأشرار      ويرجع الحق إلى الأخيار  
ثم حمل، فضربه علي ضربة ألحقه بأصحابه(2).

- 
- (1) الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 273 وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 371 وبحار الأنوار ج 33 ص 390.  
(2) الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 274 وكشف اليقين ص 205 و

### قتل ذي الثدية:

12 - وحمل ذو الثدية على علي ليضربه بسيفه، وسبقه علي فضربه على ببيضته فهتكها، وحمل به فرسه وهو كما (لما) به من الضربة، حتى رمى به في آخر (ال) معركة على شط النهروان في جرف دالية خربة(1).

ولكن أبا جناب يقول: «شد جيش [حبيش] بن ربيعة أبو المعتمر الكناني على حرقوص بن زهير فقتله»(2).

### قتل ابن الوضاح:

13 - قال: وخرج من بعده ابن عم له يقال له: مالك بن الوضاح، حتى وقف بين الجمعين وهو يقول:

---

206 وكشف الغمة ج 1 ص 267 كلاهما نحوه، وراجع: مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 190 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 371 وبحار الأنوار ج 33 ص 391 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 376.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 273 وكشف اليقين ص 205 و (ط سنة 1411هـ) ص 165 وكشف الغمة ج 1 ص 266 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج 1 ص 270 ومناقب آل أبي طالب ج 3 ص 190 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 4 ص 273 ومطالب السؤل ص 231 وبحار الأنوار ج 33 ص 397.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 87 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 65 والكامل في التاريخ ج 3 ص 346.

إني لبائع ما يفنى بباقية      ولا أريد لذي الهيجاء تربيصا  
أخشى فجاءة قوم أن يعاجلني      ولم أرد بطوال العمر تنقيصا  
فأسأل الله بيع النفس محتسبا      حتى أرافق في الفردوس  
حرقوصا  
والزبرقان ومرداساً وإخوته      إذ فارقوا زهرة الدنيا  
مخاميصا

قال: ثم حمل على علي، وحمل علي فضربه ضربة ألحقه  
بأصحابه(1).

#### الذين أفلتوا من الخوارج:

14 - قال: واختلط القوم، فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم.  
وقد كانوا أربعة آلاف، فما فلت منهم إلا تسعة نفر.  
فهرب منهم رجلان إلى خراسان إلى أرض سجستان، وفيها  
نسلهما إلى الساعة.  
وصار رجلان إلى بلاد اليمن، وفيها نسلهما إلى الساعة.  
ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة، إلى موضع يقال له: سوق  
التوريخ.  
وإلى شاطئ الفرات، فهناك نسلهما إلى الساعة.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 273 و 274 وراجع: وبحار  
الأنوار ج 33 ص 391 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 99.

وصار رجل إلى تل يسمى تل موزن [مورون في اليمن،  
فالخوارج في هذه البلاد من أتباع هؤلاء].

قال: وغنم أصحاب علي في ذلك اليوم غنائم كثيرة(1).

**ونقول:**

علينا أن نشير إلى الأمور التالية:

**تسعة أو سبعة:**

قال في هذا النص: إن الذين أفلتوا كانوا تسعة.. ولكنه حين ذكر  
المواضع التي هربوا إليها عد منهم سبعة. فإما أن يكون قد سقط بعض  
النص، أو تكون كلمة تسعة هي تصحيف سبعة، وما أكثر ما يقع

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص132 و (ط دار الأضواء) ج4 ص274 و 275  
وراجع: مروج الذهب ج2 ص417 وراجع: الملل والنحل ج1 ص117  
والفرق بين الفرق ص80 و 81 وبحار الأنوار (ط قديم) ج8 ص565 عن  
كشف الغمة ص572 و (ط جديد) ج41 ص307 عن المناقب، وبحار  
الأنوار ج33 ص398 و 433 و 41 ص307 وسفينة البحار ج1 ص384  
ومطالب السؤل ص231 وكشف الغمة ج1 ص267 و (ط دار الأضواء  
سنة 1405هـ) ص270 وكشف اليقين ص205 و 206 و (ط سنة  
1411هـ) ص166 والفصول المهمة لابن الصباغ ص93 وإثبات الوصية  
ص148 وذكر أن الخارجية يوم القيامة من نسل أولئك الأربعة، ومناقب  
آل أبي طالب (ط الحيدرية - النجف الأشرف) ج2 ص99 ونور الأبصار  
ص102.

التصحيح والإشتباه بين هاتين الكلمتين، لتقارب رسم الخط، ولعدم الإهتمام بتنقيط الألفاظ.

### صدق الله ورسوله:

**تقدم:** أنه «عليه السلام» حين أشرف على الخوارج في النهروان، قال: «صدق الله وصدق رسوله».

وهذا تذكير منه «عليه السلام» للناس: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي يخبر عن الله، هو الذي أخبره بخروج الناكثين القاسطين والمارقين عليه، وعهد إليه بقتالهم.. وبكثير من الأمور التي كان «عليه السلام» يقولها للناس بالتدريج قبل حصولها. وها هو «عليه السلام» بهذه المواجهة مع المارقين يكون قد وفى بالعهد، ورأى صدق الوعد..

بل لقد وجد «عليه السلام» هذا الصدق ماثلاً أمامه في أدق التفاصيل، بدءاً من قوله «صلى الله عليه وآله» عنهم: إنهم يقرأون القرآن ولا يجاوز تراقيهم، إلى آخر صفة من صفاتهم، وسمّة من سماتهم، وكثير من حالاتهم، وهو يجدها فيهم على أتم وجه..

**وفائدة هذا التذكير المتواصل منه «عليه السلام» للناس:** هو الربط على قلوب أصحابه، لكي لا يستوحشوا من قتل أناس يرون أنهم من القراء والعباد.. ولتعرف الأجيال اللاحقة صدق ما أخبر به الرسول، وتتحقق من معنى النبوة في مختلف الأحوال، وفي الأقوال والأفعال.

## من أعظم إنجازات علي x:

ومع غض النظر عن الإنجازات والانتصارات الكبرى التي حققها علي «عليه السلام» في حروبه، وشهد له بها الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وشاهدها عياناً العدو والصدیق، والمهاجر والطلق.. فإنه «عليه السلام» قد حقق في حروبه إنجازات عظيمة وهائلة في مجال آخر. ربما لم يحصل لأحد غيره «عليه السلام»، لا قبله ولا بعده.

وهذه الإنجازات قد استقطبت الحالات الأساسية، والأصول والمفاصل، التي تنتهي إليها جميع الحروب التي يشنها أهل الباطل على أهل الحق. وتنتهي إلى ثلاثة أصول رئيسية، هي كما يلي:

**1 - الحالة الأساسية الأولى:** تقوم على استغلال الصلة العادية بالمقدس الأسمى بهدف الإطاحة بالحق، وتكريس الباطل. فمثلاً: إذا كان شخص له صلة نسبية بنبي أو وصي، أو صلة مكانية، بأن كان من بلده، أو صلة بالصدفة، بأن كان قد رآه، أو علاقة إقتصادية أو ما إلى ذلك، فقد يستفيد من هذه الصلة لتكريس بعض المبطلين في مواقع ليست لهم، وتكون هذه القداسة للمقدس الحقيقي، والقداسة هي المطية التي تحمل ذلك المبطل إلى تلك المواقع. ولو على جثث وأشلاء الأبرار، والصفوة الأخيار، ولو كان بعضهم من الأوصياء، أو الأنبياء..

وهذا ما فعلته صفيراء زوجة موسى «عليه السلام» حين قامت في وجه يوشع وصي موسى، وحاربتة، وأعانها على ذلك اثنان من

أشقياء ذلك الزمان.. فقتلا في تلك الحرب، ولم تستطع صفيراء أن تصل إلى ما تريد..

والحرب التي قادتها عائشة، وطلحة والزبير على أمير المؤمنين «عليه السلام» تشبه ما جرى لصفيراء ويوشع، بالرغم من أن طلحة والزبير كانا أول من بايعه «عليه السلام»، ثم كانا أول من نكث بيعته وحاربه، فقتلا في حرب الجمل.. وفشلت عائشة بنت أبي بكر فشلاً ذريعاً في تحقيق ما أرادت تحقيقه في تلك الحرب..

وكانت حرباً صعبة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنها كانت بزعامة أم المؤمنين، وزوجة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب، وهي المرأة القوية والجريئة التي قتل حول جملها الذي كان يحملها في وسط تلك المعركة عشرات الألوف من المسلمين..

فكان هذا النصر له «عليه السلام» إنجازاً عظيماً، قد سقطت فيه الأقنعة، وسجل التاريخ: أن ما فعله «عليه السلام» قد أعطى درساً: بأن التلطي خلف القداسات لا يمنع من قبول التحدي والتصدي لمن يفعل ذلك، وكسر شوكته، وإسقاط دعوته، وبوار سعيه..

2 - الحالة الثانية: تقوم على محاولة فئة من الناس تمرير مشروعاتها الجهنمي في ضرب الحق، وإسقاطه وتكريس الباطل تحت ستار كثيف من الشبهات، والأباطيل والترهات، والأضاليل والإنحرافات، والإفتراءات حتى على مثل أمير المؤمنين «عليه

السلام»، وتزيين الباطل للناس، وتشويه الحق من أجل الوصول إلى الدنيا، والحصول على خيراتها، حتى لو كلفهم ذلك إبادة الأبرار، وقتل الأحرار والأخيار، تحت كل حجر ومدر.

وكانت هذه هي سمة القاسطين، الذين حاربهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين.. وسدد لهم ضربة هائلة، عرف الناس من خلالها: أن التلطي خلف الشبهات لا يجدي في ليّ ذراع الحق وأهل الحق، ولا يفيد في المنع من التصدي، ومن قبول التحدي.. لأن الشبهة تسقط بالحجة، ويتخذ من أثار الشبهة صفة الباغي، والمعتدي، الذي لا بد أن ينال جزاء بغيه وعدوانه.

ولولا هذا التشريع الصريح لتمكن كل طامع من مصادرة دولة الحق، وإسقاطها، ثم عبث بالحق نفسه، وتمكّن تضييع معالمه وطمسه، وتشجيع الحكم والحاكم إلى رمسه..

**3 - الحالة الثالثة:** تقوم على خداع الناس بالتظاهر بالعبادة والزهادة، وتلاوة القرآن، وقد أسقطها «عليه السلام» حين تصدى للخوارج المارقين، وهم قراء الأمة، المتظاهرون بالزهد والعبادة والصلاح، وأفهم البشرية جمعاء أنه لا يمكن لأحد أن يسقط الحق وأهل الحق، وأن يعبث بحكومة الإسلام، بالتخفي وراء دعوى الصلاح، والعبادة والزهادة، وقراءة القرآن.

ولا يمكن أن يتخذ هذا الصلاح الظاهر، ومن كثرة قراءة القرآن، ذريعة لخداع الناس، ومنعهم من القيام بواجب حماية الحق وأهله من

بغى الأغبياء الظالمين.

وإدعاء أن الخوارج لا تجوز محاربتهم، لأنهم عباد صالحون قد دخلت عليهم الشبهة، وتيقنوا بأمر أخطأوا فيه، فيقينهم هذا وصلاحهم الظاهر يمنع من التصدي لهم ومن قتلهم، فإن القاطع يعذر ولا يقتل. هذا الإدعاء باطل، فإن القاطع لا يعذر بعد إقامة الحجة عليه، وبيان الحق له، ولا يجوز أن يترك شأنه، ليعبث بالدين، ويفسد في الأرض، ويهلك الحرث والنسل.

فالقطة واليقين، والجهل المركب - لو سلم - لا يبيح لهم هتك الحرمات، وارتكاب الجرائم والموبقات، بل من يعمل سوءاً يجز به. وأوضح مثال على هذا الأمر: إبليس، فإنه عبد الله - فيما يقال - ستة آلاف سنة، لا يدري أمن سني الدنيا، أم من سني الآخرة. فلما استكبر على الله سبحانه في سجدة واحدة طرده من رحمته، وحل عليه غضبه، ولم يعذره بأنه أخطأ في القياس، حين قال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)<sup>(1)</sup>. ولم تنفعه عبادته كلها في دفع العقوبة عنه<sup>(2)</sup>.

(1) الآية 76 من سورة ص.

(2) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 137 الخطبة القاصعة رقم 192 وبحار الأنوار ج 14 ص 465 وج 60 ص 214 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 131 وشرح أصول الكافي ج 9 ص 322 وميزان الحكمة ج 2 ص 1450 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 407 وموسوعة

## الآن حل قتالهم:

### وهنا سؤال يقول:

**أولاً:** لا ريب في أن الخوارج قد قتلوا ابن خباب وزوجته وابنته، وقتلوا نساء أخريات، وأخافوا السبيل، واستعرضوا الناس، وحملوا السلاح، وخرجوا لحرب إمامهم، ومنعوه من الإقتصاص من القتلة، وذلك كله كان كافياً لأن يحل قتالهم؟!

وحتى قبل أن يهاجموا جيش علي «عليه السلام»، ويقتلوا ذلك الرجل، فلماذا قال «عليه السلام»: إن قتالهم قد يحلّ بعد أن قتلوا بعض أصحابه، وجاؤوه به وهو يتشطح بدمه.

**ثانياً:** تقدم: أنهم حين أقروا بأنهم كلهم قد قتل ابن خباب، أو شارك في قتله، أعلن «عليه السلام»: أنه لو أقر جميع أهل الأرض بقتل ابن خباب لقتلهم به.. وأن إقرارهم هذا قد أحل له قتالهم. ثم حمل «عليه السلام»، وأمر أصحابه بالحملة عليهم، كما تقدم في رواية ابن المغازلي.

فإن كان قد حل قتالهم حين إقرارهم هذا، فلا معنى لقوله «عليه السلام» بعد أن قتلوا بعض أصحابه: «الآن حل قتالهم»، لأن القتال

---

أحاديث أهل البيت للنجفي ج3 ص43 وج7 ص77 وج9 ص279  
وراجع: تفسير العياشي ج2 ص241 والبرهان ج2 ص328 وتفسير نور  
الثقلين ج4 ص471 وج3 ص14.

كان قد حل قبل ذلك بالإقرار.

### ونجيب:

أولاً: إن قتالهم قد حل بإقرارهم، لأن هذا الإقرار قد جعلهم مطلوبين بالقصاص، بعد أن تمت عناصر إثبات الجرم عليهم بهذا الإقرار بالذات، ولم يعد هناك مانع من إنزال العقوبة بهم. ولكن هذه العقوبة إنما يتولى إجراءها الإمام «عليه السلام» دون سواه، ولا يحل لغيره مقاتلتهم.

ولأجل ذلك: منع «عليه السلام» أصحابه من بدئهم بالقتال<sup>(1)</sup>، لأنهم يبدأون بأمر محرم عليهم. فكان لا بد من الصبر إلى أن ينضم إلى هذا السبب سبب آخر، يكون هو الآخر علة لتجويز مقاتلتهم من

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 371 ونور الأبصار ص 102 ومجمع الزوائد ج 6 ص 242 و 243 والمعجم الأوسط ج 7 ص 376 والإمام ج 1 ص 36 والمبسوط ج 7 ص 269 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 53 و 54 و 64 والكامل في التاريخ ج 3 ص 335 والبداية والنهاية ج 7 ص 289 و 282 و 285 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 312 و 315 و 320 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 271 و 272 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج 1 ص 128 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 169 والفصول المهمة لابن الصباغ ج 1 ص 530 وميزان الحكمة ج 1 ص 280 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج 2 ص 341 وشرح الأخبار ج 2 ص 9 وغير ذلك من مصادر.

قبل سائر الناس، وهو السبب المتمثل بالبغي على الإمام، والخروج عليه، وإشهار السلاح في وجهه، والسعي في قتله، وتقويض سلطانه، ونكث بيعته.

وإنما تحقق هذا السبب بعد أن منع الناس من بدأهم بالقتال حتى يبدأوهم، فلما بدأوهم ثلاث مرات، وارتكبوا جريمة، أو عدة جرائم قتل أخرى بداعي الحرب على الإمام، صار قتالهم حلالاً لكل أحد.

**ثانياً:** إن هذا الذي ذكرناه يعطي: أن رواية ابن المغازلي المتقدمة، التي ذكرت أنه «عليه السلام» بعد أن قرروهم فأقروا بقتل ابن خباب، فقال: «الآن حل قتالهم» لا بد من حملها على أن المراد: أن قتالهم قد حل له. دون سواه، وأنه إنما أمر الناس بالجملة معه، لكي يعينوه على تنفيذ القصاص الإلهي فيهم..

**أو يقال:** إن هذه الرواية قد اختصرت الوقائع، ولا بد من تتميمها بالرواية الأخرى التي تدل على أنه «عليه السلام» قد منع من بدئهم بالقتال، لكي يحل لسائر الناس قتالهم أيضاً دفاعاً عنهم عن إمامهم، وانتصاراً منهم لدينهم.

**شك الراسبي أنقذهم:**

**وتقدم:** أن الراسبي لما سمع قول ذلك الرجل من أصحابه لما ضربه علي «عليه السلام» بسيفه: حبذا الروحة إلى الجنة!

قال - يعني الراسبي -: ما أدري ألى الجنة، أم إلى النار؟! (1).  
أو قال: ولعلها إلى النار..

فلما سمعه أصحابه وعرفوا أنه شك قالوا: ترانا نقاتل مع رجل  
شاك؟! (2).

ثم انحاز منهم ألف رجل إلى راية الأمان التى كانت مع أبى  
أيوب.

### ونود أن نلفت القارئ إلى ما يلى:

**ألف:** إن هذه الحادثة تشهد بصحة ما قاله أمير المؤمنين «عليه  
السلام» عن الخوارج، من أنهم كانوا شكاكاً، ولم يكونوا على يقين  
من أمرهم. بل إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يزل يأتي بالشاهد  
تلو الشاهد، ويعطف الدليل على الدليل على تصديقه لما أخبر به الله  
تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» من أمر الخوارج. وأنهم

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 272 و 273 والعقود الفضية  
ص 64 وأنساب الأشراف ج 2 ص 271 (بتحقيق المحمودي) وشرح عقيدة  
التوحيد ص 84 والكامل في الأدب ج 3 ص 187 ونهج السعادة ج 2  
ص 397 وبحار الأنوار ج 33 ص 348 وموسوعة الإمام علي بن أبي  
طالب ج 6 ص 274 و 275.

(2) معجم الأدباء ج 5 ص 264 و (ط أخرى) ج 13 ص 44 وراجع: التنبيه  
والإشراف ص 257 وشرح عقيدة التوحيد ص 84 وبهج الصباغة (ط  
أولى) ج 7 ص 168 عن الخطيب، وراجع الكامل في الأدب ج 3 ص 187.

مارقون من الدين، وأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.  
وقد حاول بعض الخوارج الاعتذار عن الراسبي، فقال: أنه  
«إنما قال ذلك، لأن الرجل أزرقى، يحل الدم والمال بالذنب، ولأنه  
بدأ القتال»

إلى أن قال: «كان أصحابنا والأزارقة جنداً واحداً. ولما ظهر  
القول بإباحة الدم، والمال، فارقهم أصحابنا، كابن وهب»<sup>(1)</sup>.

### ونقول له:

من أين علم أن ذلك الرجل كان أزرقياً؟! ومن أين علم أن ذلك  
الرجل قد بدأ القتال؟!!

ولكن الحقيقة هي ما قاله ابن الطقطقا: «أما الخوارج فذهبت  
طائفة منهم قبل أن تنشب الحرب، وقالوا: والله ما ندري على أي  
شيء نقاتل علي بن أبي طالب، سنأخذ ناحية، حتى ننظر إلى ماذا  
يؤول الأمر»<sup>(2)</sup>.

ويدل على شكهم في صوابية موقفهم من علي «عليه السلام»،  
قولهم عن حرب معاوية: «قد جاء الآن ما لا شك فيه»<sup>(3)</sup>.

(1) شرح عقيدة التوحيد ص 84.

(2) الفخري في الآداب السلطانية ص 95.

(3) الكامل للمبرد ج 3 ص 276 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4  
ص 126 والكامل في التاريخ ج 3 ص 409.

كما أن أحدهم، وهو صخر بن عروة يقول: «إني كرهت قتال علي بن أبي طالب «رضي الله عنه»؛ لسابقته وقرابته، فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج»<sup>(1)</sup>.

كما أن الذين اعتزلوا إخوانهم في النهروان قد اعتذروا: بأنه ليس لهم في قتل علي «عليه السلام» حجة<sup>(2)</sup>.

وقد قال رجل للإمام الصادق «عليه السلام»: «الخوارج شكاك؟! فقال: نعم.

قال: فقال بعض أصحابه: كيف وهم يدعون إلى البراز؟! قال: ذلك مما يجدون في أنفسهم»<sup>(3)</sup>.

ب: إن اعتزال ألف رجل من أصحاب الراسبي، ولجؤهم إلى ناحية أبي أيوب يدل على أن معظم الخوارج كانوا يقلدون رؤساءهم في مواقفهم.

(1) الكامل للمبرد ج 3 ص 276.

(2) الأخبار الطوال ص 210 والكامل لابن الأثير ج 3 ص 346.

(3) تهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص 145 وبهج الصباغة (الطبعة الأولى) ج 7 ص 168 عنه، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 15 ص 81 و (الإسلامية) ج 11 ص 60 وجواهر الكلام ج 21 ص 333 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 274.

مع أنهم كانوا يعييون على أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، مثل صعصعة ونظرائه أنهم يقلدون علياً «عليه السلام» دينهم!!

**ج:** إن الرجل الذي قال: «حبذا الروحة إلى الجنة» لم يكن على يقين من الرواح إليها، بل هو بكلمته هذه يظهر حسرته على عدم الذهاب إلى الجنة، حيث قال هذا لما خالطه سيف أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعاین مصيره، وعرف أنه إلى النار.

### إقرار أهل الأرض:

**ولسنا بحاجة إلى التذكير:** بأن حكم علي «عليه السلام» على أهل الأرض بالقتل لو أقروا بقتل ابن خباب، مع أن أهل الأرض لا يمكن أن يقتلوه.. ليس فيه مبالغة، ولا يتضمن بغياً ولا مجانبة للحق، لأن هذا الإقرار إنما هو على سبيل البغي، والمضادة للحق، وإمعان في المبارزة لله تعالى، ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، ولدينه، ولأهل دينه، كما تقدم بيانه.

ولا شك في أن من يضع نفسه في هذا الموقع، يستحق القتل، لشدة طغيانه على الله تعالى.. وحماسته لإماتة الحق، وإنعاش الباطل.

### أضربهم ولا أرى علياً x:

**1 -** قد تكرر في أرجاء نهروان قولهم: أضربهم ولا أرى أبا حسن، أو علياً «عليه السلام»، أو نحو ذلك، وهو كلام أناس

مدلسين مخادعين، يقولون هذا القول على سبيل المباهاة بأنفسهم.. وإلا فإن علياً «عليه السلام» كان أمام أعينهم، ولم يكن غائباً عنهم، وكان بإمكانهم أن يقصدوه من أول لحظة..

ولكن علياً «عليه السلام» كان يسمع أقوالهم هذه، ويغض الطرف، ويتغاضى عنها إلى أن يرتكبوا جريمة القتل في أصحابه، فيبرز إليهم حينئذٍ.. ويجعلهم عبرة لمن اعتبر..

2 - يلاحظ هنا أيضاً: أنه «عليه السلام» قد شك الرمح في أحد هؤلاء، وترك الرمح فيه، لأنه يريد للناس أن يروا مصيره، وأن يعتبروا به، ويعرفوا عاقبة البغي والإجرام فيه..

### الأخسرون أعمالاً:

وتقدم جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لحرقوص بالآية الكريمة: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (1).

ونحن لا يمكن أن نتصور خذلاناً أعظم من أن تأتي أفعال الإنسان على النقيض مما يحسب ويظن.. فهو يحسب أنه يعبد الله، وإنما يعبد أهواءه، أو يعبد أسياده.

ويحسب أنه ينصر الله، وهو ينصر الشيطان، وأعوان الشيطان..

(1) الآيتان 103 و 104 من سورة الكهف.

ويحسب أنه يقوي الحق، وهو يقوضه، ويهدمه..

وأنه يحارب الباطل، وهو يحارب له..

وهذا هو حال الخوارج، كما دل عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بتلاوته هذه الآية المباركة..

وتقدم قول روية البجلي:

**ونضرب في العجاج رؤوس قوم تراهم جاحدين وعابدين**

**من الكفر فروا:**

وتقدم قول أمير المؤمنين «عليه السلام» عن الخوارج: من الكفر هربوا وفيه وقعوا إلخ..

**ونقول:**

قد تلاعبت الأهواء بهذا النص، وعبثت به المذاهب والمشارب في موردين:

**الأول:** ذكروا: أنه «عليه السلام» سئل عن الخوارج: مشركون هم؟!

**فقال: من الشرك فروا(1).**

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص290 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص321 عن ابن جرير وغيره، والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص174 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص743 والعقود الفضية للحارثي الأباضي ص63 والأشعثيات ص234 والأباضية ص83 وموسوعة الإمام علي بن أبي

### مع أن الحديث:

أولاً: لم يكن عن شرك الخوارج، وإنما كان عن خروجهم ومروقهم من الدين، وهذا مساوق للكفر، وليس فيه شرك، وإثبات خالق غير الله سبحانه..

والسؤال: إنما طرح على أمير المؤمنين «عليه السلام» لكي يعلم السائل إن كان حديث: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» منطبقاً عليهم، أو أن مصداقه لم يتحقق بعد. ويكون المارقة قوماً آخرين..

والشاهد على ذلك: تفسير المروق له في جوابه الأخير، حيث قال: «هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية، ويقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. فتوبى لمن قتلهم».

ثانياً: إن الخوارج لم يهربوا من الشرك، بل زعموا أن التحكيم كفر، إذ لا يجوز أن يكون هناك حاكم وأمير إلا الله سبحانه.. وزعموا أن قوله تعالى: (..وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(1)، أو (الظَّالِمُونَ)(2)، أو (الْفَاسِقُونَ)(3). يدل على أن التحكيم يوجب الكفر والفسق، والظلم والشرك.. ولأجل ذلك ورد في بعض النصوص: أنهم

طالب ج 6 ص 302.

(1) الآية 44 من سورة المائدة.

(2) الآية 45 من سورة المائدة.

(3) الآية 47 من سورة المائدة.

من الكفر فروا(1).

**ثالثاً:** إن هذا الراوي اكتفى بقوله: «من الشرك فروا»، وحذف قوله: «وفيه وقعوا»، وهو مثبت في رواية ابن أعثم.

**المورد الثاني:** إنهم تصرفوا في الجواب على السؤال الأخير، فبدلوا حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مروقهم من دين الإسلام، وعن أنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم - بدلوه - بقولهم: «إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا..».

فتحاشوا بذلك الإشارة إلى حديث الرسول «صلى الله عليه وآله» حول مروقهم من الدين، ومنحوهم وسام ذكر الله كثيراً، مع أن المنافقين قد يذكرون الله ليلاً ونهاراً لكي يخدعوا الناس بذلك. ومع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرح بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم..

وكيف يقول علي «عليه السلام»: «إخواننا بغوا علينا»، وهو يروي للناس كلهم حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مروقهم من دين

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 310 عن ابن ديزيل في صفينه، وكنز العمال (ط مؤسسة الأعلمي) ج 11 ص 299 وفيض القدير ج 3 ص 679 والمصنف للصنعاني ج 10 ص 150 والإستذكار لابن عبد البر ج 2 ص 501 والتمهيد لابن عبد البر ج 23 ص 335 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 89 والنهاية في غريب الحديث ج 2 ص 149 ولسان العرب ج 13 ص 170 ومجمع البحرين ج 1 ص 633.

الإسلام؟!!

وأما النص المروي عن الحسن(1): أنه «عليه السلام» أجاب بقوله: «قوم أصابتهم فتنة، فعموا فيها، وصموا»(2).

**فيبدو لنا:** أن الراوي قد خلط في كلام الحسن بين ما جرى في صفين، وما جرى في النهروان(3).

**الرواية الأقرب والأصوب:**

ويمكن أن يقال: إن الرواية الأقرب إلى القبول هي تلك التي تقول: إنه لما رجع ابن عباس إلى علي «عليه السلام» بعد أن احتج على الخوارج سألته علي «عليه السلام»: «ما رأيت؟!!

فقال ابن عباس: والله، ما أدري ما هم.

فقال علي «عليه السلام»: «أرأيتم منافقين؟!!

(1) المراد: الحسن البصري.

(2) المصنف للصنعاني ج 10 ص 150 وكنز العمال ج 11 ص 286 و 276 و (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 299 عنه، وراجع: المغني لابن قدامة ج 10 ص 51 والشرح الكبير لابن قدامة ج 10 ص 52 والتمهيد لابن عبد البر ج 23 ص 335 وفيض القدير ج 3 ص 679 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 89 والنهاية في غريب الحديث ج 2 ص 149 ولسان العرب ج 13 ص 170 ومجمع البحرين ج 1 ص 633.

(3) العقد الفريد ج 4 ص 330.

قال: والله، ما سيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن.

فقال «عليه السلام»: دعوهم ما لم يسفكوا دماً، أو يغضبوا مالاً. وأرسل إليهم ما هذا الذي أحدثتم الخ..»(1).

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 310 وبحار الأنوار ج 33 ص 343 587 ونهج السعادة ج 2 ص 315 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 329.

## الفصل الخامس:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها..



## لا يقتل تسعة، ولا ينجو تسعة:

1 - قيل: إن الذين قتلوا من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب النهروان كانوا سبعة(1).  
ونظن: أن «سبعة» تصحيف لكلمة «تسعة»، وليس العكس،  
بقريضة النص الآخر الذي يقول: لا يقتل منا عشرة(2)، ولا ينجو منهم  
عشرة، حيث يكثر التصحيف والخلط بين هاتين الكلمتين، لعدم وجود  
النقط، أو لقلّة الإهتمام به في العصور السابقة..

- 
- (1) الفخري في الآداب السلطانية ص 95 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 89 و  
(ط الأعلمي) ج 4 ص 67 والكامل في التاريخ ج 3 ص 348 و البداية  
والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 320.  
(2) خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي  
ص 143 والسنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 163 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3  
ص 588 وتاريخ خليفة بن خياط ص 149 وشرح إحقاق الحق (الملحقات)  
ج 32 ص 592.

2 - في بعض المصادر: أن الذين قتلوا من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» في النهروان كانوا اثني عشر، أو ثلاثة عشر رجلاً<sup>(1)</sup>.

### وهو كلام غير منطقي:

أولاً: لأنه قد استفاض النقل عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه أخبر أصحابه: أنه لا يفلت من أهل النهروان عشرة، ولا يقتل من أصحابه عشرة، فكان كما قال<sup>(2)</sup>.

(1) خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي ص143 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص163 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص588 وتاريخ خليفة بن خياط ص149 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص592.

(2) راجع: الفرق بين الفرق ص80 والفتوح لابن أعمش ج4 ص120 ومجمع الزوائد ج6 ص241 و 42 والمحاسن والمساوئ ج2 ص98 والمناقب للخوازمي ص185 و (ط جماعة المدرسين سنة 1414هـ) ص263 والكامل في الأدب ج3 ص187 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 و 415 وبهج الصباغة ج7 ص187 عن تاريخ بغداد، ترجمة أبي سليمان المرعشي، ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية سنة 1376هـ) ج2 ص99 و (ط الحيدرية - النجف) ج3 ص190 و 311 عن يعقوب بن شيبه في كتاب: مسير علي، وعن مسدد، وعن خشيش في الإستقامة عن أبي مجلز، وابن النجار عن يزيد بن رويم، وكنز العمال ج11 ص272 و 276 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص287 عن مسدد،

**بل قيل: لم يقتل من أصحابه سوى رجلين (1).**

وخشيش، والبيهقي، وابن النجار، والطيالسي، ويعقوب بن شيبه، وبحار الأنوار (ط حجرية) ج 8 ص 563 و 565 و 554 و ج 4 ص 307 و (ط جديد) بحار الأنوار ج 33 ص 349 و ج 41 ص 307 و 339 ومستدرك سفينة البحار ج 8 ص 49 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 273 والمصنف لابن أبي شيبه ج 8 ص 732 والخرايج والجرايح (ط حجرية) ص 209 والفخري في الآداب السلطانية ص 95 وسفينة البحار ج 1 ص 384 والكامل في التاريخ ج 3 ص 345 و 348 ومروج الذهب ج 2 ص 405 و 406 والفصول المهمة لابن الصباغ ص 93 و 94 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 373 وسنن الدارقطني (كتاب الحدود) ص 343 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1417هـ) ج 3 ص 99 وكشف الغمة ج 1 ص 267 وتاريخ بغداد ج 14 ص 365 وكمال الدين ص 120 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 185 والعدد القوية ص 56 ومشارك أنوار اليقين للبرسي ص 120.

(1) راجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 3 ص 115 والبداية والنهاية ج 7 ص 291 و (ط دار إحياء التراث) ج 7 ص 322 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 170 و 171 كلاهما عن مسلم، وسنن أبي داود ج 4 ص 245 و (ط دار الفكر) ج 2 ص 429 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص 145 والرياض النضرة ج 3 ص 225 والمصنف للصنعاني ج 10 ص 148 والسنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 164 ومطالب السؤل ص 144 و 145 وفرائد السمطين ج 1 ص 276 ونظم درر السمطين ص 117 وكفاية الطالب ص 177 وكنز العمال ج 11 ص 281 و (ط

والخبر عن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يأت على سبيل الكهانة منه «عليه السلام»، وحاشاه أن يفعل ذلك. ولا هو من التوقعات المبنية على معطيات واقعية، فإن هذه المعطيات لا يمكن توفرها على سبيل اليقين في حروب من هذا القبيل، لكي يصدر حكمه «عليه السلام» بصورة جازمة.

وإنما جاء هذا الخبر منه «عليه السلام» على سبيل الإخبار بالغيب، وهو العلم الذي اختصه الله تعالى ورسوله به، ليكون إحدى الدلائل والحجج على اختصاصه بمقام الإمامة.

ثانياً: لقد سمى لنا بعض المؤرخين الذين قتلوا من أصحابه «عليه السلام»، وهم تسعة أشخاص حسب نص ابن أعثم، وابن شهر آشوب:

- 1 - كيسوم بن سلمة الجهني.
- 2 - رويبة، أو (رؤبة) بن وبر البجلي.
- 3 - حبيب بن عاصم الأزدي (أو خب بن عاصم الأسدي).
- 4 - رفاعه بن وائل الأرحبي.

---

مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 294 عن مسلم، وعبد الرزاق، وأبي عوانة، والبيهقي، وخشيش، وفي هامش الكنز عن مسلم ج 1 ص 343 ونيل الأوطار ج 7 ص 338 والعمدة لابن البطريق ص 464 ونهج السعادة ج 8 ص 90 و 91 .

5 - عبيد، أو ( عبد الله) بن عبيد الخولاني.

6 - عبد الله بن حماد الحميري أو (الأرحبي)(1).

وذكر ابن شهر آشوب أيضاً:

7 - سعد بن خالد السبيعي.

8 - الفياض بن خليل الأزدي.

9 - جميع بن جشم الكندي(2).

عدد من أفلت:

تقدم: أن الذين أفلتوا من الخوارج. وبالرغم من هذه الإحصائية، التي حددت أسماءهم، وذكرت الأماكن التي هربوا إليها، فإن هناك أقوالاً مختلفة في عددهم.

فقليل: أفلت أربعة(3).

وقليل: خمسة(4).

- 
- (1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج 4 ص 271 - 273 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج 3 ص 190 و(ط الحيدرية في النجف سنة 1376 هـ). ج 2 ص 99 وبحار الأنوار ج 41 ص 307.
- (2) مناقب آل أبي طالب (ط المطبعة العلمية بقم) ج 3 ص 190 و (ط الحيدرية في النجف سنة 1376 هـ) ج 2 ص 99 وبحار الأنوار ج 41 ص 307.
- (3) إثبات الوصية ص 147.
- (4) الكامل في الأدب للمبرد ج 3 ص 237.

وقيل: ثمانية(1).

وقيل: تسعة(2).

وقيل: كانوا عشرة(3).

وقيل غير ذلك.

ونقول:

أولاً: إن الرقم الأخير لا يمكن قبوله.. لأنه يتضمن تكذيباً للخبر الوارد عن أمير المؤمنين «عليه السلام» على سبيل الإخبار بالغيب، من أن الذين ينجون منهم أقل من عشرة. كما تقدم..

وهو «عليه السلام» لا يخبر بذلك من عند نفسه، بل عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، بل عن الله سبحانه، لكي تكون هذه الأخبار الغيبية من دلائل إمامته «عليه السلام»، لأنها تشير إلى أنه وحده الذي اختصه الله ورسوله بالعلم

(1) بحار الأنوار ج33 ص349 وج41 ص339 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص49 وميزان الحكمة ج1 ص735 ونهج السعادة ج2 ص397 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص273 والعدد القوية ص56 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص359 عن الكامل للمبرد ج3 ص1105.

(2) بحار الأنوار ج41 ص307 ومدينة المعاجز ج2 ص153 مناقب آل أبي طالب (ط المطبعة العلمية بقم) ج3 ص190 و (ط الحيدرية في النجف سنة 1376 هـ) ج2 ص99.

(3) مروج الذهب ج2 ص406.

الخاص، وهو علم الإمامة..

ثانياً: إن الاختلاف في عدد من أفلت أمر طبيعي، لأن الذين أفلتوا قد تفرقوا في البلاد، وهم مستخفون وخائفون.. وإنما يخبر كل راو عما بلغه عنهم.

وقد يحتمل أن يكون مراده «عليه السلام» بإفلات أقل من عشرة هو السلامة من القتل والجرح معاً، فلعل من أخبر عن الأربعة، أو الخمسة أراد أن هؤلاء هم الذين أفلتوا من القتل والجرح.. والحال، أن من أفلت من القتل فقط هم تسعة.

**ويؤيد هذا المعنى:** ما سيأتي بعد قليل، من أنه «عليه السلام» وجد أربع مئة من خوارج النهروان جرحى، فدفعهم إلى عشائرهم، ولم يجهز عليهم.. فإن هذا يشير إلى أن المراد بعدم الإفلات: أن لا يفلت من القتل، أو الجرح على أقل تقدير.

**ثالثاً:** زعم بعضهم: أن حديث: لا يقتل من أصحاب علي «عليه السلام» عشرة، ولا يفلت من الخوارج عشرة، لا يصح، لأن الخوارج كانوا كثيرين بعد النهروان، وقد خرجوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» خمس خرجات(1).

بل سيأتي إضافة خرجتين أخريين، ليصير المجموع سبع خرجات.

(1) مقالات الإسلاميين ج 1 ص 195 و 196.

### ونقول:

أولاً: إنه «عليه السلام» إنما يتكلم عن خصوص من يشارك في حرب النهروان.. أما من لم يشارك منهم فيها، أو كان متردداً في الخروج على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم عزم على الخروج، أو تراجع عن الحرب بسبب احتجاجات علي «عليه السلام» وأصحابه عليهم، ثم عاد إليها بعد النهروان، فلم يكن «عليه السلام» يتحدث عنهم..

ثانياً: إن النص يصرح: بأن الذين تفرقوا في البلاد سوف يكونون بمثابة بذرات أخرى لتكوين الخوارج في تلك البلاد.. ولا ينافي ذلك وجود آلاف من الخوارج الآخرين في مناطق الكوفة والبصرة كانوا مترددين في الخروج آنئذٍ، ثم زال ترددهم بعد النهروان..

### دفن قتلى الخوارج:

قالوا: طاف عدي بن حاتم في القتلى، حتى وجد جثة ابنه، فدفنه، ثم قال: الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك.

ودفن رجال من المسلمين قتلاهم.

فقال علي «عليه السلام»: أتقتلونهم، ثم تدفنونهم؟! ارتحلوا، فارتحل الناس(1).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص88 و 89 و (ط دالأعلمي) ج4 ص66

وصرحت بعض المصادر: بأن عدي بن حاتم قد استأذن علياً «عليه السلام» في دفن ابنه، فأذن له (1).

### ونقول:

لقد كان «عليه السلام» يريد أن يكون الذي يتولى دفن الخوارج هم أولئك الذين يرون رأيهم، وقد كانوا كثيرين في تلك البلاد، وقد خرجوا عليه بعد النهروان خمس مرات، كما تقدمت الإشارة إليه في كلام الأشعري المتقدم.. بل سبع مرات كما سيأتي إن شاء الله تعالى. ولم يكن يرغب في أن يتولى دفنهم أصحابه «عليه السلام»، لأن ذلك ربما يحزنهم، ويحرك مشاعرهم، وربما يصل الأمر ببعض الناس إلى أن يشعروا بالذنب والحسرة تجاههم، وربما تعرض لهم الشكوك في صوابية قتلهم، ويقعد ذلك بهم عن التصدي لغيرهم من الذين سيخرجون عليه منهم.

### قطع الرؤوس وكشف العورات ممنوع:

قال عبد الله بن قتادة: كنت في الخيل يوم النهروان مع علي «عليه السلام»، فلما أن فرغ منهم وقتلهم لم يقطع رأساً، ولم يكشف

---

والكامل في التاريخ ج 3 ص 348 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 181 وتذكرة الخواص ص 105.

(1) تذكرة الخواص ص 105 و (ط أخرى) ج 1 ص 443 و 444.

## عورة(1).

وهذا يدل على عدم صحة ما ينسب إليه «عليه السلام»، من أنه قد أمرهم بقطع اليد المخدجة من ذي الثدية، ويكذب أيضاً كل ما ينسب إليه، من أنه فعله في قتله، من قطع رؤوس، وأعضاء، وغير ذلك، فإنه كله من المثلة التي لا يستحلها علي «عليه السلام»..

إلا إذا كان يبارز الأعداء في ميدان القتال، فإنه قد يحتاج إلى قتل خصمه بطريقة قطع رأسه، أو شقه نصفين، طويلاً أو عرضاً.. وهذا لا ربط له بالتمثيل بالقتيل بعد قتله، فإنه محرم، ولا يفعله علي «عليه السلام».

ولكن من المحتمل، وإن لم نجد له شاهداً: أن يكون بعض الناس قد قطع يد المخدج من دون علم علي «عليه السلام»، فنسب أصحاب الأهواء ذلك إلى علي «عليه السلام».

وقد يشهد لذلك، ولو بصورة ضعيفة قول المسعودي: إن علياً «عليه السلام» قال حين جيء برأس عبد الله بن وهب الراسبي: «قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله»(2).

أي أن الذي جاء برأسه هو الذي ارتأى أن يقطع رأسه، أو أن علياً «عليه السلام» نفسه حين قتله قد ضربه بسيفه على

---

(1) كنز العمال ج11 ص312.

(2) مروج الذهب ج3 ص47.

رقبته، فقطع رأسه:

### وفي جميع الأحوال نقول:

إن علياً «عليه السلام» لا يأمر ولا يرضى بقطع رأس أحد بعد موته. بدليل قولهم: إنه «عليه السلام» حين قتل الخوارج لم يقطع رأساً، ولم يكشف عورة.. كما تقدم.

### الغنائم.. والجرحى في النهروان:

وقد ذكرنا في كتابنا علي «عليه السلام» والخوارج (1) النصوص التالية:

وقد غنم أصحاب علي في ذلك اليوم غنائم كثيرة (2).

وعن عرفة عن أبيه قال: جاء علي بما في عسكر أهل النهروان، فقال: من عرف شيئاً فليأخذه، فأخذه (3).

وعن عرفة عن أبيه قال: شهدت علياً حين ظهر على أهل النهروان، فأمر بورتتهم، فأخرجت إلى الرحبة، ثم قال للناس: من عرف شيئاً فليأخذه.

فجعل الناس يأخذون ما عرفوا، حتى كان آخر ذلك قدر من نحاس، فمكثنا ثلاثة أيام لا يعرفها أحد، ثم فقدتها، فلا أدري من

(1) علي والخوارج ص 205 و 206.

(2) الفتوح لابن أعثم ج 4 ص 133.

(3) كنز العمال ج 11 ص 309.

أخذها(1).

ويقولون أيضاً: «وجد علي «عليه السلام» ممن به رمق أربعمئة. فدفعهم إلى عشائريهم، [وقال: املوهم معكم فداووهم، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة] ولم يجهز عليهم.

ورد الرقيق (والمناج) على أهله حينما قدم الكوفة، وقسم الكراع والسلاح وما قوتل به بين أصحابه»(2).

زاد الدينوري قوله: «وأمر بما سوى ذلك، فدفع إلى وراثتهم»(3).

وعن النزال بن سبرة: «أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان. ولكن رده إلى أهله كله، حتى كان آخر ذلك

(1) تاريخ بغداد ج 11 ص 3.

(2) أنساب الأشراف بتحقيق المحمدي ج 2 ص 374 و 375 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج 4 ص 66 و (ط أخرى) ج 5 ص 88 والإمامة والسياسة ج 1 ص 169 والأخبار الطوال ص 211 وتذكرة الخوارج ص 105 عن الواقدي، والبداية والنهاية ج 7 ص 289 والكامل في التاريخ ج 3 ص 348 ولم يذكر من بهم رمق، وفي تاريخ الأمم والملوك، وعن مروج الذهب ج 2 ص 418: أنه «قسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المناج والعبيد والإماء إلى أهلهم».

(3) الأخبار الطوال ص 211.

رحل أتي به، فردّه» (1).

وكذلك فعل «عليه الصلاة والسلام» بجرحاهم الأربعين الذين سقطوا في سواد الكوفة، فإنه أدخلهم الكوفة أيضاً، وأمر بمداواتهم، ثم قال لهم: الحقوا بأي البلاد شئتم.

وعن شقيق بن سلمة، قال: لم يسب علي يوم الجمل، ولا يوم النهروان (2).

### ويلاحظ هنا:

1 - أنه «عليه السلام» لم يلاحق الجرحى، ولم يعاقبهم، لا قبل مداواتهم ولا بعدها. ولعلمهم أظهروا التوبة، فعاملهم بالرفق لأجل ذلك.

2 - وإنه «عليه السلام» لم يخمس أهل النهروان، مع أن له أن يخمس ما أجبوا به عليه، ثم يقسم الباقي بين المقاتلين، ولكنه آثر المقاتلين بالخمس، تعففاً ورفقاً منه بهم، ولكي لا يفتح باب التشنيع عليه بأنه قد طمع بهذا اليسير من المال..

كما أنه لا يريد أن يعطي لذويهم وعشائره، وأهليهم ذريعة للحنق عليه بسبب ذلك..

إلا أن يكون مراد النزال بن سبرة: أنه «عليه السلام» لم يخمس

(1) البداية والنهاية ج 7 ص 290.

(2) كنز العمال ج 7 ص 321.

الأموال التي لم يجلبوا بها عليه، بل ردها إلى أصحابها..

فإن كان هذا هو ما قصده، فإنه يقال له: إن الأموال التي لم يجلبوا بها عليه ليست من الغنائم، بل هي ملك للورثة، كما دلت عليه النصوص الآنف الذكر، وكما أوضحناه في حرب الجمل. وفي صفين، فراجع.

**نو الثدية جريح أم مقتول؟!:**

يفهم من النص المتقدم عن الفتوح وغيره: أن ذا الثدية قد جرح جرحاً بليغاً من ضربة علي «عليه السلام»، فحمله فرسه حتى رمى به آخر المعركة على شاطئ النهر في جرف دالية خربة<sup>(1)</sup>. وفي نص آخر: «كان المخدج ذو الثدية قد دخل تحت القنطرة، والتايط سقفاها..

**إلى أن قال: فأخرج وقتل»(2).**

لكن نصوصاً أخرى تصرح: بأنهم التمسوه فلم يجدوه، فقام علي «عليه السلام» بنفسه، حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، فأخرجوهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر «عليه السلام» وقال:

---

(1) الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج4 ص273 وكشف اليقين ص205 وكشف الغمة ج1 ص266 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص190 و (ط أخرى) ج4 ص273.

(2) البدء والتاريخ ج5 ص136 و 137.

صدق الله، وبلغ رسوله.

فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، بالله الذي لا إله إلا هو، سمعت هذا الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو.. حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له (1).

وفي نص آخر: أنهم لما لم يجدوا المخدج قال «عليه السلام»: ائتوني بالبغلة، فإنها هادية مهدية. فأتوه بها، فركبها..

ثم تذكر الرواية عثورهم على المخدج، لأن البغلة حممت حين وصلت إليه، وكانت هذه البغلة هي بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» (2).

فإن صح أنه كان قد التاط بسقف القنطرة، فلا بد أن يكون قد قاومهم حين عثروا عليه، فدعاهم ذلك إلى قتله..

---

(1) نزل الأبرار ص 60 و 61 وفي هامشه عن صحيح مسلم ج 2 ص 748 و 749.

(2) راجع: كنز العمال ج 11 ص 275 ومجمع الزوائد ج 6 ص 41 عن الطيالسي والمحاسن والمساوي ج 2 ص 99 وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص 144 وفي هامشه عن تاريخ بغداد ج 7 ص 237 و ج 1 ص 160.

## علي × قتل الراسبي وذا الثدية:

**تقدم:** أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي قتل عبد الله بن وهب الراسبي، وقتل ذا الثدية أيضاً، ولكن الطبري، يقول: «عن أبي جناب، قال: جاء هاني بن خطاب الأرحبي، وزباد بن خصفة يحتجان في قتل عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهما: كيف صنعتما؟! صنعتما؟!»

فقالا: يا أمير المؤمنين، لما رأينا عرفناه، وابتدرناه، فطعناه برمحينا.

فقال علي «عليه السلام»: لا تختلفا، كلاكما قاتل»(1).

ويقول أيضاً، كما تقدم: إن قاتل حرقوص (ذي الثدية كما يدعون) هو حبيش بن ربيعة، أبو المعتمر(2).

فكيف نفسر هذا التناقض؟!

**ونجيب بما يلي:**

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي قتل الراسبي، وما زعمه أبو جناب ليس له قيمة علمية، لما يلي:

**أولاً:** لماذا يختلف هاني بن خطاب وزباد بن خصفة في هذا الأمر، وهما يعترفان ويصرحان بأنهما قد طعناه معاً؟! ألم يكن لديهما

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص87.

(2) المصدر السابق.

من العقل ما يدلهما على ما قاله لهما أمير المؤمنين «عليه السلام»،  
من أن كلاهما قاتل، أو فقل: هما شريكان في قتله؟!!

ثانياً: هل يصح أن يقال: إن اختلاف زياد بن النضر، مع  
الشخص الآخر في قاتل الراسبي كان طمعاً منهما في سلبه؟!  
ألا يعد ذلك نوعاً من أنواع الخسة والدناءة التي لا تناسب مقام  
قائد وزعيم كبير كزياد بن خصفة على أقل تقدير؟!!

ثالثاً: إننا نتهم الراوي أبا جناب: بأنه يريد أن يحفظ للراسبي  
بعض ماء الوجه، بادعاء أن قاتله شخص آخر غير قسيم الجنة  
والنار، والذي ما ضرب أحداً بسيفه إلا دخل النار.. لأن قتل الآخرين  
لرأسبي يبعده ولو يسيراً عن دائرة اليقين والقطع بكونه جهنمياً..  
وإنما نتهم أبا جناب، لأن روايته الأخرى في قتل زيد بن حصين  
الخارجي قد أظهرت أنه يحاول تسجيل مؤاخذه ولو يسيرة على أمير  
المؤمنين «عليه السلام»، وإظهاره بصورة المدان والنادم على ما  
فعله بالخوارج. أو بصورة غير القاطع بأمره معهم.. فلاحظ النص  
التالي:

**هل تتواتر الأسطورة؟!:**

وقد لفت نظرنا قول بعض الناس: إن حديث ذي الثدية منتحل.

وهو أسطورة لا حقيقة لها، رغم اعترافه بتواتره<sup>(1)</sup>.

وليت شعري إذا جاز لنا أن نعتبر الحديث المتواتر منتحلاً، من دون أن نقدم أي شاهد أو دليل على دعوانا هذه، فأبي حديث بعد هذا يمكن الإستدلال به في أي نقاش؟! وهذا يفتح الباب أمام إنكار بعض الناس لوجود الأنبياء والأوصياء، ووجود الإسكندر، وبخت نصر، وننكر حدوث الحرب العالمية الأولى والثانية، وغير ذلك من المتواترات؟!!

لأننا جوزنا إنكار الحقائق بصورة غوغائية وعشوائية، ومن دون أي شاهد أو دليل سوى الهوى والتعصب، وغير ذلك.

**فسكت علي × عليها:**

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثمامة الحنفي، عن حكيم بن سعد، قال: ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة، فما لبثناهم، فكأنما قيل لهم: موتوا، فماتوا قبل أن تشتد شوكتهم، وتعظم نكايتهم.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب: أن أبا أيوب أتى علياً «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين! قتلت زيد بن حصين!

---

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي للدكتور محمود إسماعيل هامش ص 67 و

قال: فما قلت له، وما قال لك؟!!

قال: طعنته بالرمح في صدره، حتى نجم من ظهره.

قال: وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار.

قال: ستعلم أيّنا أولى بها صلياً.

فسكت علي عليها.

قال أبو مخنف: عن أبي جناب: أن علياً «عليه السلام» قال له:

هو أولى لها صلياً.

قال: وجاء عائد بن حملة التميمي، فقال: يا أمير المؤمنين! قتلت

كلاباً.

قال: أحسنت، أنت محق قتلت مبطلاً<sup>(1)</sup>.

حيث يبدو لنا: أن قوله: «فسكت علي عليها» لا يخلو من خبائث

وشيطنة..

ويبدو: أن أهل العقل والبصيرة والدراية لم يسكتوا له عليها،

فاضطر إلى الجهر بالحقيقة. فقد قال في روايته الأخرى:

«إن علياً «عليه السلام» قال له: هو أولى بها صلياً»، وإلا فلماذا

صرح بالحقيقة هنا، وصرح بما يجافيها وينقضها هناك؟!!

كما أنه لم يستطع التلاعب فيما نقله عن عائد بن حملة التميمي.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 87.

فاضطر إلى التصريح بأن علياً «عليه السلام»، قال له: أحسنت، أنت محق، قتلت مبطلاً..

### حرقوص ليس ذا الندية:

وقد زعمت بعض الروايات: أن حرقوص بن زهير هو ذو الندية، ونرى: أنه ليس هو به، وإن ادعى ذلك بعضهم، بدليل:

**أولاً:** إن حرقوص بن زهير كان زعيماً معروفاً بين الناس.. أما ذو الندية، فلم يكن كذلك، ولذا احتاج «عليه السلام» إلى توصيفه للناس بصورة دقيقة وتفصيلية. ولو كان هو حرقوص لكان يكفيه أن يقول للناس: ابحثوا عن جثة حرقوص بن زهير..

**ثانياً:** إذا كان نافع هو حرقوص، وهو من قواد الخوارج، فكيف كان ينام في المسجد، وقد كساه أبو مريم برنساً، كما سيأتي في رواية أبي مريم الآتية، وكيف يتلعب به الصبيان، وينزعون سلاحه.

**ثالثاً:** قالوا: إن حديث عائشة لما عرفت أن علياً «عليه السلام» قتل ذا الندية، قالت: لعن الله عمرو بن العاص، كتب إلي أنه هو قتله بالإسكندرية. ثم ذكرت قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يقتله خير أمتي بعدي<sup>(1)</sup>.

---

(1) أسد الغابة ج2 ص139 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص105 والقاموس المحيط في مادة ثدي وخصر، والكامل للمبرد ج2 ص211 عن الأخفش، وبحار الأنوار ج38 ص5 عن مسند أحمد، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي

فإن هذا يدل على أن حرقوصاً ليس ذا الثدية، لأن حرقوصاً كان رجلاً معروفاً، ولم يكن عمرو بن العاص قادراً على ادعاء قتله حين كان والياً على مصر، وكيف تمر هذه السنوات كلها، ولا يبلغ عائشة أنه لا يزال حياً؟!!

ونظن: أن عمرو بن العاص ادّعى ذلك لعائشة، لكي يدعي أنه هو الذي قصده النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «يقتله خير أمتي»..

فإذا كان عمرو بن العاص خير أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، فعلى الإسلام السلام.. ولا ندري ماذا يقول أهل السنة لعمرو بن العاص، وهو يفضل نفسه على أبي بكر وعمر؟! وكيف سكنت له عائشة على هذه الدعوى التي تسقط أباهما وفاروقه عن درجة الفضل.

#### رابعاً:

ألف: سيأتي في حديث عبد الله بن شداد لعائشة: أنه رأى ذا الثدية، وأن علياً «عليه السلام» سأل الناس عنه، إن كانوا يعرفونه، فيأتي أشخاص يقولون: رأيناه يصلي في مكان كذا، أو في مسجد كذا. قال ابن شداد: «ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك».

ب: روي: أن علياً «عليه السلام» قال حين وجد المخدج: من يعرف هذا؟!!

فلم يعرفه أحد، فقال رجل: أنا رأيت هذا بالحيرة، فقلت: إلى أين تريد؟!

فقال: إلى هذه، وأشار إلى الكوفة، وما لي بها معرفة.

فقال علي «عليه السلام»: صدق هو من الجان(1).

ج: وقال أبو الوضيء: لا يأتينكم أحد يخبركم من أبوه؟!

قال: فجعل الناس يقولون: هذا ملك، هذا ملك، هذا ملك.

ويقول علي: ابن من؟! (2).

د: وفي حديث آخر: من قال من الناس: إنه رآه قبل مصرعه فإنه كاذب(3).

وعن أبي الوضيء: أنه قال: قال علي «عليه السلام»: أما إن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن، هذا أكبرهم، والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف(4).

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 372 وبحار الأنوار ج 33 ص 392 عن أبي داود، وابن بطة..

(2) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 372 وبحار الأنوار ج 33 ص 392 عن أحمد.

(3) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 372 وبحار الأنوار ج 33 ص 392 عن مسند الموصلي.

(4) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 372 وبحار الأنوار ج 33 ص 392 عن مسند أحمد.

**هـ:** وعن سعد بن أبي وقاص: أن المقتول بالنهروان هو شيطان الردهة.

وزاد أبو يعلى في المسند: شيطان الردهة رجل من بجيلة يقال له: الأشهب، أو ابن الأشهب، علامة في قوم ظلمة(1).

**خامساً:** لو سلمنا: أن هذا - أعني عدم معرفة عائشة بأن حرقوصاً كان لا يزال حياً - قد يحصل.. ولكن صاحب الصحاح يقول: إن ذا الندية ليس حرقوصاً، بل هو رجل اسمه ثرملة(2).

**وروى الطبري عن أبي مريم أيضاً:** أن اسم المخدج هو نافع، فراجع(3). وستأتي الرواية عن قريب..

والمخدج هو الناقص، وسمي المخدج لأنه ناقص اليد.

### تاريخ حرب النهروان:

تقدم: أن الطبري أصرَّ على أن حرب النهروان كانت سنة 38

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 372 وبحار الأنوار ج 33 ص 392 و 393 عن الإبانة لابن بطة، وعن مسند أبي يعلى.

(2) الصحاح للجوهري ج 6 ص 2291 وقاموس الرجال ج 12 ص 107 عنه، وراجع: المعارف لابن قتيبة ص 421 ولسان العرب ج 14 ص 109

ومجمع البحرين ج 1 ص 308 وتاج العروس ج 19 ص 244 .

(3) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 91.

### هــ (1).

واستدل على ذلك بقول أبي مريم: «فرجعت حتى إذا كان الحول، أو نحوه، خرج أهل النهر»، لأن حرب النهروان كانت بعد سنة من إنكار أهل حروراء للتحكيم، وقد بدأ إنكارهم للتحكيم بعد رفع المصاحف، وفور رجوعهم من صفين إلى الكوفة، حيث اعتزلوا في حروراء..

فلما جرى ما جرى في دومة الجندل ساروا إلى النهروان، وكانت الحرب. وهو يدل على أنها كانت سنة 38 هـ.

وقد حدد الحموي تاريخ حرب النهروان بقوله: «بين خروجه إلى الخوارج، وقتل ابن ملجم «لعنه الله تعالى» له سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام» (2).

وروى أحمد بن فهد في المذهب وغيره بأسانيد عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: يوم النيروز هو اليوم الذي ظفر فيه أمير المؤمنين «عليه السلام» بأهل النهروان، وقتل ذا الثدية (3).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص91 و 92.

(2) معجم الأدباء ج5 ص264.

(3) بحار الأنوار ج33 ص404 عن ابن فهد في المذهب وغيره في غيره.

### عدد المقتولين في النهروان:

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدد المقتولين من الخوارج في النهروان.. فقد قالوا: إنه بسبب الإحتجاج عليه «رجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا» (1).

وقيل: استأمن ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف فقتلوا (2).

وقيل في عدد المقتولين: حوالي خمسة آلاف.

وقيل: أربعة آلاف.

وقيل: أقل وأكثر من ذلك (3).

---

(1) مجمع الزوائد ج 6 ص 241 وقال: رواه الطبري، وأحمد بعضه. ورجالهما رجال الصحيح.

(2) راجع: كشف الغمة ج 1 ص 265 و 267 ومناقب آل أبي طالب ج 3 ص 189 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج 4 ص 125.

(3) راجع: الثقات لابن حبان ج 2 ص 296 و 297 وتاريخ يعقوبي ج 2 ص 193 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج 4 ص 125 و 123 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص 415 وكشف الغمة ج 1 ص 267 وتاريخ بغداد ج 1 ص 182 ومروج الذهب ج 2 ص 406 والفصول المهمة لابن الصباغ ص 93 والأخبار الطوال ص 210 وبحار الأنوار (ط هجرية) ج 8 ص 562 و 563 والبداية والنهاية ج 7 ص 289

- وقيل: رجع ألفان وقتل أربعة آلاف(1).  
وفي نص آخر: أن الذين قتلوا كانوا ألفين(2).  
وقيل: قتل على قنطرة البردان خمسة آلاف(3).  
وقيل: ألفان وثمان مئة(4).  
وقيل: ألف وخمس مئة..  
وقيل: ألف وثمان مئة(5).  
وعند بعضهم: لم يخطئ السيف عشرة آلاف(6).

- 
- والخراج والجرايح (ط هجرية) ص 209 وإثبات الوصية ص 147  
وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 371.  
(1) المستدرك على الصحيحين ج 2 ص 150 - 151 و 152 وتلخيص  
المستدرك للذهبي بهامشه، نفس الجزء والصفحة. وخصائص الامام أمير  
المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 147 وعن مناقب آل أبي طالب  
ج 1 ص 267 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 197 والبداية والنهاية ج 7 ص 276  
و 281.  
(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 99.  
(3) صفين للمنقري ص 558.  
(4) شذرات الذهب ج 1 ص 51 والعقد الفريد ج 2 ص 490 والجوهرة في نسب  
علي وآله ص 108 وبهج الصباغة (ط أولى) ج 7 ص 168 و 185.  
(5) معجم الأدباء ج 5 ص 264.  
(6) البدء والتاريخ ج 5 ص 136 و 137.

وقد يقال: إن مراده أن مجموع من قتل من الخوارج في مختلف المعارك في خلافة علي «عليه السلام»، هم بهذا المقدار.

وربما ظهر من بعض النصوص: أن الأرقام إنما تتحدث عن الفرسان دون الرجالة<sup>(1)</sup>. ولا يهمننا كثيراً التحقيق في ذلك.

هل أراد علي × الإنتقام لنفسه؟!

وقد يطرح البعض هنا سؤالاً مفاده:

لماذا كان «عليه السلام» شديداً وقاسياً على الخوارج إلى هذا الحد. فقد قتلهم في النهروان ربضة واحدة، حتى إنه لم يفلت منهم عشرة.

فلماذا حين رأى عددهم قد قل، وصاروا مئات أو عشرات لم يأمر برفع السيف عنهم تكريماً ورفقاً بهم، وبعوائلهم، وهو الرؤوف الرحيم، الذي كان يقول: إن ما يهمله هو فقط درء الفتنة، وإخماد النائرة بأقل قدر ممكن من الخسائر؟!

فهل كان يريد الإنتقام لشخصه، أو لأن الخوارج قالوا لأصحابه: لسنا نتابعكم أو تأتوننا بمثل عمر؟! أم ماذا؟!

**ونجيب:**

إن علياً «عليه السلام» أجل وأكرم من أن يفكر بهذه الطريقة، وهو القائل: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي

(1) أنساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 371.

### خاصة»(1).

ولكنه «عليه السلام» رأى أن أمور المسلمين لا يمكن أن تسلم مع وجود هؤلاء الناس على قيد الحياة:

أولاً: لأنهم أقرروا على أنفسهم ثلاث بل أربع مرات، على مرأى ومسمع من الجيش كله: بأنهم قتلوا النساء، والأطفال، والرجال من المسلمين.

وكل من أقر بالقتل وبالشراكة فيه، فإنه يقتل على سبيل القصاص، أو يجازى بما يناسب شراكته..

ولم يقتصر الأمر على قتل ابن خباب، وبقر بطن زوجته، وقتلها وهي حامل، بل تجاوزه إلى قتل أم سنان الصيداوية ونساء أخريات، وقد قال «عليه السلام»: لو أقر أهل الدنيا ويقدر على قتلهم لقتلهم(2). ولا يمكن للإمام العفو عن القصاص والحدود إلا بشروط لم تكن متوفرة فيهم.

ثانياً: إن هؤلاء كانوا جميعاً مفسدين في الأرض، ومحاربين

---

(1) راجع: راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 124 وبحار الأنوار ج 29 ص 612 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص 703 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 166.

(2) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص 413 و 414 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 282 عن أبي عبيدة.

لإمامهم ولا يمكن أن يكفوا عن هذين الأمرين، فهو دينهم الذي يدينون به، وطريقتهم التي لا يفارقونها، ولا سيما بالنسبة لعلي «عليه السلام».. حتى يفنوا عن آخرهم..

وهذا ما أثبتته الوقائع اللاحقة، فإنه حتى الذين اعتزلوا منهم ما زالوا يخرجون عليه، وعلى الناس، ويفسدون في الأرض حتى تفانوا شردمة بعد الأخرى، ومن بقي منهم، وهم أفراد قليلون تحولوا إلى لصوص سلابين. كما أظهرته سيرتهم وحياتهم وطريقتهم. وكما أخبر به «عليه السلام»..

**ثالثاً:** إن القضية ليست موضوع عاطفة وقسوة، ولا تتحل مشكلتهم بالعفو والصفح.. وقد عفا كرات ومرات عن الآلاف منهم قبل حروراء، وفي حروراء، وبعدها، في النهروان أيضاً.. ثم عادوا لما نهوا عنه، تماماً كما قال تعالى: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (1).

**رابعاً:** لماذا لا يكون السؤال بطريقة أخرى، وهي: أن الخوارج قد قتلوا وهم يهاجمون ويقاتلون، ولا بد من دفع شرهم.. ولم يظهر أية بادرة للتراجع، وقبول العفو، بل كان يزيد إصرارهم على الهجوم. فلماذا حين قل عددهم لم يستسلموا، ولم يطلبوا الأمان؟! أو لماذا لم يهربوا كما هرب التسعة من إخوانهم؟! أليس لأنهم إنما يحاربون

---

(1) الآية 28 من سورة الأنعام.

بدوافع من الكيد والحقْد الذي أشار إليه علي «عليه السلام» حين سئل عن سبب شدتهم في الحرب، فقال: ذلك مما يجدون في أنفسهم(1).  
**وختلاصة الكلام:** أن العفو إنما يكون عن من ينتفع بالعفو، أما المصّر على الهجوم، ولا يرضى بالتراجع، فكيف يمكن العفو عنه؟! وهو لا يرضى بالتوقف، فضلاً عن أن يتراجع.

---

(1) راجع: تهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص 145 وبهج الصباغة (ط أولى) ج 7 ص 168 عنه، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 15 ص 81 و (الإسلامية) ج 11 ص 60 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 275.



## الفصل السادس:

حديث النهروان  
بروايات أخرى..



## 1 - أبو مريم يروي حديث النهروان:

### قال الطبري:

حدثني عمارة الأسدي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا نعيم، قال: حدثني أبو مريم: أن شيبث بن ربعي وابن الكواء خرجا من الكوفة إلى حروراء.

فأمر علي «عليه السلام» الناس أن يخرجوا بسلاحهم. فخرجوا إلى المسجد حتى امتلا بهم، فأرسل إليهم: بئس ما صنعتم حين تدخلون المسجد بسلاحكم. اذهبوا إلى جبانة مراد حتى يأتىكم أمري.

قال أبو مريم: فانطلقنا إلى جبانة مراد، فكنا بها ساعة من نهار، ثم بلغنا أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون.

قال: فقلت: أنطلق أنا حتى أنظر إليهم، فانطلقت حتى أتخلل صفوفهم، حتى انتهيت إلى شيبث بن ربعي وابن الكواء، وهما واقفان متوركان على دابتيهما، وعندهما رسل علي، وهم يناشدونهما الله لمّا

رجعا بالناس، ويقولون لهم: نعيذكم بالله أن تعجلوا بفتنة العام خشية عام قابل.

فقام رجل إلى بعض رسل علي، فعقر دابته.

فنزل الرجل وهو يسترجع، فحمل سرجه، فانطلق به، وهم يقولون: ما طلبنا إلا منابتهم، وهم يناشدونهم الله، فمكثنا ساعة.

ثم انصرفوا إلى الكوفة كأنه يوم فطر أو أضحى.

قال: وكان على يحدثنا قبل ذلك: أن قوماً يخرجون من الإسلام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد.

قال: وسمعت ذلك منه مراراً كثيرة.

قال: وسمعه نافع «المخدج» أيضاً حتى رأيته يتكرّره طعامه من كثرة ما سمعه، يقول: وكان نافع معنا يصلي في المسجد بالنهار، ويبيت فيه بالليل، وقد كنت كسوته برنساً.

فلقيته من الغد، فسألته: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حروراء؟!

فقال: خرجت أريدهم، حتى إذا بلغت إلى بنى سعد، لقيني صبيان، فنزعوا سلاحي، وتلعبوا بي، فرجعت.

حتى إذا كان الحول، أو نحوه خرج أهل النهر، وسار علي إليهم، فلم أخرج معه، وخرج أخي أبو عبد الله.

قال: فأخبرني أبو عبد الله: أن علياً سار إليهم، حتى إذا كان حذاءهم على شط النهروان أرسل إليهم يناشدهم الله، ويأمرهم أن يرجعوا.

فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم.

ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخرج.

فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده، حتى قال بعضهم لا ما هو فيهم.

ثم إنه جاء رجل فبشره وقال: يا أمير المؤمنين، قد وجدناه تحت قتيلين في ساقية.

فقال: اقطعوا يده المخرجة وأتوني بها.

فلما أتى بها أخذها ثم رفعها، وقال: والله ما كذبت ولا كذبت.

قال أبو جعفر: فقد أنبأ أبو مريم بقوله: «فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه، خرج أهل النهر» أن الحرب التي كانت بين علي وأهل حروراء كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيها إنكار أهل حروراء على علي التحكيم، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبل.

وإذا كان كذلك، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبي مريم، كان معلوماً أن الواقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان

وثلاثين(1).

### ونقول:

إن لنا على هذا النص ملاحظات عديدة، تقدم بعضها، ونشير هنا إلى بعض آخر منها، فنقول:

### السلاح في المسجد ممنوع:

**ذكر هذا النص:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد لام أصحابه على دخولهم المسجد بسلاحهم. وقبّح عملهم هذا، ثم أمرهم بالذهاب إلى جبانة مراد حتى يأتيهم أمره..

**ولعل من حكم هذا النهي:** أن المساجد هي مواضع الخضوع والتبتل لله تعالى. وحمل السلاح يعطي للنفس جرأة واعتزازاً، وركوناً إلى القوة المادية، ويقلل من درجة الشعور بالضعف الإنساني، ويضعف حالة الإستكانة إلى الله، والحاجة إلى عونه، وإلى لطفه، ويمنع من الخضوع أمام جلال وعظمة وقدرة الله تعالى.

أما حمل السلاح قرب الجبانة، فليس فيه هذه السلبات، لأن الشعور بقاهرية الموت، وبضعف الإنسان أمامه، وشعوره بأن سلاحه لا يجدي في دفعه.. فنتطامن نفسه أمام هذا الشعور، ويعيش حالة التوازن، من خلال الإحساس بالحاجة إلى معونة الله القاهر والقادر والمهيمن على اجتياز هذه العقبة الكأداء..

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 91 و 92 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 68 و 69.

ولأجل ذلك كان تواجههم عند جبانة مراد مفيداً في خشوع القلوب، وإعادتهم إلى الوضع الطبيعي المطلوب..

### الروح العدوانية:

وقد تضمن النص المتقدم أيضاً: وصفاً لإصرار رسل أمير المؤمنين «عليه السلام» على الخوارج لإقناعهم بالتراجع عن موقفهم لحقن الدماء، وسعيًا حثيثاً لمنعهم من شق العصا، والبغي على الإمام والأمة..

وقد كان هذا كافياً لتليين القلوب، والخجل من الإقدام على أي تصرف يسيء إلى هؤلاء الذين يسعون لرأب الصدع، وإعادة اللحمة..

ولكن الخوارج كانوا أعراباً جفاة، لا يملكون شيئاً من المشاعر الإنسانية، والفضائل الأخلاقية.. والشاهد على ذلك: هو مكافأتهم الإحسان بالإساءة، ومقابلة الرفق واللين بالجفاء، والحرص على سلامتهم ومصالحتهم، بالإقدام والشروع باستعمال السلاح ضد الدواب التي لا ذنب لها، لتكون إنذاراً بقرب استعماله ضد المحبين والناصحين لهم، والغيارى على مصالحتهم!!

### علي × ينشر حديث المارقين:

وقد صرح أبو مريم: بأنه قد سمع حديث خروج المارقين مراراً كثيرة من فم أمير المؤمنين «عليه السلام». وسمعه ذو الندية نفسه من

علي «عليه السلام» أيضاً.. حتى أثر ذلك في نفس المخدج، إلى حد أنه سار يتكرّره طعامه من كثرة ما سمعه..

وهذا المستوى من التأثير الإعلامي مما يندر حصوله.. وهو يدل على أنه «عليه السلام» حين كان يتوقع خروجهم لم يكن ينتظر انتظاراً سلبياً، بمعنى أنه مستسلم لتقلبات الأحداث، بل هو يتعاطى مع الأحداث بصورة مؤثرة حتى قبل وقوعها، فهو يعد العدة لمواجهتها، والتعامل معها بما تستحقه، حتى كأنه هو الذي يتحكم فيها، لكنها خاضعة لإرادته، محكومة لآثار جهده. وفي نطاق تدبيره الهادف والمسؤول..

والعنصر الأساس الذي كرسه «عليه السلام» في وجدان الناس كحقيقة غير قابلة للجدل: هو أن يتلقى الناس هؤلاء المارقين بذهنية الواقف على حالهم، المستيقن بضلالهم، المصمم على مواجهتهم، وفق التكليف الإلهي الذي كان هو الآخر شديد الوضوح، بين الرشد لدى الأمة كل الأمة، وحتى لدى الخوارج أنفسهم، الذين لم يعودوا يتحملون وطأة الشعور بافتضاح أمرهم. فبادروا إلى الانتقام المسبق من الناس؛ فقتلوا الرجال والنساء، وغلوا الأطفال في المراجل، حتى قبل أن يصلوا إلى النهروان - كما قاله عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي عن خوارج البصرة، وما فعلوه وهم في طريقهم إلى

### النهروان (1).

وكان أهم عنصر في افتضاح أمر الخوارج وهو ذو الندية، عارفاً بمصيره، فتنغص عليه عيشه، حتى بات يتكره طعامه.. ولم يعد يهنأ بعيشه لشدة الإحراج الذي كان يتعرض له، ولوطأة العقدة التي كان يعاني منها..

### ذو الندية الضعيف:

وقد أظهر حديث أبي مريم عن ذي الندية، وما جرى له مع الصبيان الذين أخذوا سلاحه، وصاروا يتلعبون به، حتى اضطر إلى الرجوع عن مقصده - أظهر - مدى ضعف هذا الرجل، وإلى أي حد كان مهاناً وساقطاً..

وهذا يدل على عدم صحة قولهم: إنه حرقوص بن زهير.. إذ لم يكن حرقوص بن زهير بهذه المثابة من السقوط والضعف. ولو كان كذلك لم يختاروه ليكون أحد القادة الكبار في حرب النهروان.

### قطع يد المخدج:

1 - زعم أبو مريم، من أن علياً «عليه السلام» أمرهم بأن يقطعوا يد المخدج، فقطعوها، وجأؤوه بها، فرفعها وقال: والله ما كذبت ولا كذبت..

---

(1) راجع ما قاله عمر بن عبد العزيز لشوذب في المصادر التالية:

وقد تقدم: أن هذا مكذوب على أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأن هذا من مفردات التمثيل بالقتيل، وكان «عليه السلام» ينهى أصحابه عنه في حروبه. فهل ينهاهم، ثم يأمرهم بالمخالفة؟! وإذا كان هذا الأمر ممنوعاً شرعاً، فإن علناً «عليه السلام» لا يخالف الشرع الشريف..

2 - يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» هو الذي كشف موقع المخدج من خلال حممة بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح ما زعمته هذه الرواية: من أن رجلاً جاءه فبشره بالعثور على ذي الثدية، فأمر بقطع يده المخدجة..

## 2- علي × يروي حديث الخوارج:

وقد سأل يهودي علياً عما كان فيه من خصال الأوصياء، فقال «عليه السلام» في حديث طويل:

وأما السابعة يا أبا اليهود، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان عهد إلي أن أقاتل في آخر الزمان من أيامي قوماً من أصحابي يصومون النهار، ويقومون الليل، ويتلون الكتاب، يمرقون بخلافهم علي، ومحاربتهم إياي من الدين مروق السهم من الرمية. فيهم ذو الثدية، يختم لي بقتلهم بالسعادة.

فلما انصرفت إلى موضعي هذا - يعني بعد الحكمين - أقبل بعض القوم على بعض باللائمة فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين، فلم

يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً إلا أن قالوا: كان ينبغي لأمرنا أن لا يتابع من أخطأ، وأن يقضي بحقيقة رأيه على قتل نفسه، وقتل من خالفه منا.

فقد كفر بمتابعته إيانا، وطاعته لنا في الخطأ، وأحل لنا بذلك قتله وسفك دمه.

فتجمعوا على ذلك، وخرجوا راكبين رؤوسهم، ينادون بأعلى أصواتهم: «لا حكم إلا لله».

ثم تفرقوا، فرقة بالنخيلة، وأخرى بحروراء، وأخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقاً حتى عبرت دجلة، فلم تمر بمسلم إلا امتحنته، فمن تابعها استحيته، ومن خالفها قتلتها.

فخرجت إلى الأوليين، واحدة بعد أخرى، أدعوهم إلى طاعة الله عز وجل والرجوع إليه، فأبى إلا السيف لا ينفعهما غير ذلك.

فلما أعييت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى الله عز وجل، فقتل الله هذه وهذه، كانوا يا أبا اليهود لولا ما فعلوا لكانوا ركناً قوياً، وسداً منيعاً، فأبى الله إلا ما صاروا إليه.

ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة، ووجهت رسلي تترى، وكانوا من جلة أصحابي، وأهل التعبد منهم، والزهد في الدنيا.

فأبت إلا اتباع أختيها، والاحتذاء على مثالهما، و (أ) شرعت في قتل من خالفها من المسلمين.

وتتابعت إلي الأخبار بفعلهم، فخرجت حتى قطعت إليهم دجلة،

أوجه السفراء والنصحاء، وأطلب العتبي بجهدي بهذا مرة وبهذا مرة، وأوماً بيده إلى الأشر، والأحنف بن قيس، وسعيد بن قيس الأرحبي، والأشعث بن قيس الكندي، فلما أبوا إلا تلك ركبتها منهم، فقتلهم الله يا أخا اليهود عن آخرهم، وهم أربعة آلاف أو يزيدون حتى لم يفلت منهم مخبر.

فاستخرجت ذا الندية من قتلاهم بحضرة من ترى، له ثدي كثدي المرأة. ثم التفت «عليه السلام» إلى أصحابه، فقال: أليس كذلك؟! قالوا: بلى يا أمير المؤمنين<sup>(1)</sup>.

### ونقول:

نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

- 1 - تضمن هذا البيان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر علياً «عليه السلام» عن أن قتاله للمارقين سيكون في آخر أيام حياته..
- 2 - إنه «عليه السلام» إنما قاتلهم، وفاءً بالعهد الذي كان له منه «صلى الله عليه وآله».
- 3 - إنه «صلى الله عليه وآله» قد وصف له حالهم وعبادتهم..
- 4 - إن مروقهم من الدين، وكفرهم إنما هو بسبب حربهم لأمير المؤمنين «عليه السلام».
- 5 - إنه يختم له بالسعادة بقتلهم.

(1) الخصال ج 1 ص 381 والبحار ج 33 ص 382 - 384.

6 - إنه يصرح: بأن الذين كانوا بحروراء، والذين كانوا بالنخيلة، قد نزلوا فيهما بوقت واحد..

7 - إن كلامه يكاد يكون صريحاً في أنه «عليه السلام» قد حارب أهل حروراء، وأهل النخيلة، وقتلهم في الموضعين، ولكن بعد أن أعيته الحيلة فيهما..

8 - إنه يصرح: بأن الذين حاربهم في النهروان ما كانوا في حروراء، بل كانوا يضربون في الأرض، ويفسدون فيها، فلا تمر جماعتهم بمسلم إلا امتحنته، فمن خالفها قتلته.

9 - إنه يصرح: بأنه قتل أهل حروراء، وأهل النخيلة قبل أهل النهروان.

10 - إنه يصرح: بأنه أرسل إلى أهل النهروان رسلاًً متتابعة هم من جلة أصحابه، ومن أكثرهم تعبدًا، وزهداً بالدنيا.

11 - لما بلغته هذه الأخبار صار يوجه السفراء، والنصحاء، ويطلب العتبي بجهده، مما يعني: أنه «عليه السلام» لم يبادر إلى قمعهم وضربهم، بل بدأ معهم بالنصيحة، وطلب العتبي(1).

12 - إن من الرسل والنصحاء: الأشتر، وسعيد بن قيس الأرحبي، والأشعث بن قيس الكندي، والأحنف بن قيس..

---

(1) العتبي: مأخوذ من أعتب، أي أعطى العاتب ما كان قد غضب بسببه، وأرضاه.

13 - فلما أبوا إلا المضي فيما هم فيه وجه إليهم ضربته، فقتلهم الله تعالى، فهو «عليه السلام» يقول: إنه وإن كان هو الذي تولى قتلهم، لكنه يستدرك على ذلك بقوله: «فقتلهم الله»..

14 - ويقول: إنهم قتلوا عن آخرهم: أربعة آلاف، أو يزيدون..

15 - إنه يقول: إن لم يفلت منهم مخبر.

16 - وقد استخرج ذا الثدية من قتلهم بحضرة الناس..

17 - إنه «عليه السلام» قد استشهد على صحة ما ذكره من أن ذا الثدية كان في الخوارج - استشهد بالحاضرين عنده من أصحابه، فشهدوا له..

وقد يعطي التأمل في النص: أن ثمة نقاطاً أخرى.. ولكن نكتفي بما ذكرناه..

### ملاحظات يسيرة:

إن العديد من هذه النقاط تحتاج إلى بحث، لا سيما وأن بعضها يخالف ما هو شائع ومتداول، فلاحظ مثلاً ما يلي:

1 - ما ذكرته الرواية، من أنه لم يفلت من الخوارج مخبر.. لا ينسجم مع سائر الروايات، من أنه قد أفلت منهم أقل من عشرة.. وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً في بعض ما نقل عنه..

2 - إن قوله «عليه السلام»: إن مروقه من الدين كان بسبب

خروجهم عليه، لا ينافي أن يكون مروقهم أيضاً بسبب عدم دخول الإسلام إلى قلوبهم على الحقيقة، بل كان مجرد لقلقة لسان، فإن هذا وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن شهادتهم الشهادتين، وتظاهرهم بالالتزام بعبادات الإسلام، وبكثير من أحكام الشريعة قد حقن دمه، وأجاز الأكل من ذبائحهم ومناكحتهم، ودفنهم في مقابر المسلمين، وغير ذلك، ومنع من معاملتهم معاملة الكافرين..

ولكنهم حين خرجوا على الإمام المعصوم، وحاربوه، ونكثوا بيعته، وصاروا نواصب.. فإنهم خرجوا من الإسلام بصورة عملية، وصار لهم حكم الكافرين..

3 - لم أجد في هذه العجالة ما يدل على أنه «عليه السلام» قد قاتل أهل حروراء، وقتلهم.

4 - إن حصول واقعتي النخيلة وحروراء قبل النهروان لم نجده في غير هذه الرواية، بل الموجود: هو أن النهروان كانت هي الواقعة الأولى معهم، ثم تبعها سبع خرجات للخوارج على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد سدد لهم فيها ضربات ساحقة، وماحقة.

5 - تظهر هذه الرواية: أنه «عليه السلام» أرسل لهم وفوداً من جلة أصحابه ليعظوهم، وليذكروهم الله.. ومنهم: أبو أيوب، وقيس بن سعد، وابن عباس، وصعصعة، وغيرهم ممن ذكرت أسماء بعضهم في ثنايا هذا الكتاب.

أما الناصحون.. فهم كالأشعث، والأحنف، وسعيد الأرحبي،

والأشتر، الذين ينظر الناس إليهم بصفاتهم التدبيرية والقتالية، والتخطيط العسكري، وأنهم من أهل البصيرة في سياسة الناس..

6 - يلاحظ: أن التزهيد في الدنيا والموعظة كان قبل الإفساد في الأرض، لكي يكون هذا التزهيد رادعاً لهم عن ارتكاب الجرائم، وانتهاك الحرمات..

أما الناصحون، فكان يرسلهم بعد ذلك، لأنه يريد تبصيرهم بعواقب ما أقدموا عليه.

7 - إن قرار قتلهم حكم إلهي جازم وحازم، لأنهم خرجوا على الإمام، وأفسدوا في الأرض، ولكن مجري هذا القرار الإلهي هو الإمام الذي نصبه الله خليفة في الأرض. كما جعل الله داود «عليه السلام» خليفة فيها. فحكم الله فيهم هو القتل.. وقد أجرى علي «عليه السلام» حكمه، لأن الله تعالى جعله خليفة وحاكماً في الأرض.

### 3 - خطة القتال:

#### وروى الطبري:

عن أبي سلمة الزهري قال: بعث علي الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس، حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم.

وقدم علي الخيل دون الرجال، [وصف الناس وراء الخيل صفين، وصف المرامية وراء الصف الأول.

وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم، فإنهم لو قد شدوا عليكم - وجلهم رجال - لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين، وأنتم رادون حامون(1).

وأقبلت الخوارج، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس، فكان يزيد بن قيس على إصبهان، فقالوا: يا يزيد بن قيس، لا حكم إلا لله، وإن كرهت إصبهان.

فناداهم عباس بن شريك وقبيصة بن ضبيعة العبسيان: يا أعداء الله، أليس فيكم شريح بن أوفى المسرف على نفسه؟! هل أنتم إلا أشباهه؟!

قالوا: وما حجتكم على رجل كانت فيه فتنة وفينا توبة؟! (2). وفي نص آخر: قال علي لأصحابه: لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدأوكم.

**فتنات الخوارج:** لا حكم إلا لله وإن كره المشركون، ثم شدوا على أصحاب علي شدة رجل واحد [فشدوا على الناس، والخيـل أمام الرجال]، فلم تثبت خيل علي لشدتهم، وافترقت الخوارج فرقتين: فرقة أخذت نحو الميمنة، وفرقة أخرى نحو الميسرة.

[وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوهم بالنبل] وعطف عليهم أصحاب علي [الخيـل من الميمنة والميسرة،

(1) لعل الصحيح: جامون، من الجمام والراحة.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص86 و (ط الأعلـمي) ج4 ص64.

ونهب الرجال، بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم].  
 وحمل قيس بن معاوية البرجمي من أصحاب علي على شريح بن  
 أبي أوفى، فضربه بالسيف على ساقه فأبانها، فجعل يقاتل برجل واحدة  
 وهو يقول:

### الفحل يحمي شوله معقولا

فحمل عليه قيس بن سعد فقتله، وقتلت الخوارج كلها ربيعة  
 واحدة(1).

### زاد في نص آخر قوله:

ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك، نادى  
 أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا، فلم يتقاروا حتى حمل عليهم  
 الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو علي، فأهمدوا في  
 الساعة(2).

### ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

- 
- (1) الأخبار الطوال ص 210 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 86 والبداية  
والنهاية ج 7 ص 289 والكامل في التاريخ ج 3 ص 346.
  - (2) البداية والنهاية ج 7 ص 289 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 86 وعن  
الكامل في التاريخ ج 2 ص 346 وراجع: الإمامة والسياسة ج 1 ص 169.

### الخطبة الصائبة:

إن للخطبة القتالية تأثيراً في مسار الحرب، ولها دور في تحديد مدى النجاح والفشل، وحجم الخسائر، شرط أن يتولى تنفيذها أهلها، الجامعون لصفات المقاتل المقدام، والمؤمن بقضيته، والمستعد للتضحية بكل ما يقدر عليه في سبيلها..

والأهم من هذا وذاك وجود القائد البصير، والخبير والكفؤ، والقادر على ضبط الأمور، الذي لا تسقطه المفاجآت، ولا تذهب بصبره وبحكمته النوائب والمصائب، الذي أعد لكل شيء عدته، وحسب له حسابه..

وإذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» هو القائد، وهو واضع الخطبة، فلن تجد لها مثيلاً في دقتها، وفي أحكامها، وفي أثرها وجدواها..

### والخطبة التي وضعها «عليه السلام» للقتال هي التالية:

إنه «عليه السلام» بعد أن رصد قوات التحرك السريع التي للعدو بادر إلى مواجهتها بقوة تفوقها عدة وعدداً، لكي تشاغلها، وتنهك قوتها، وتحاصرهما، وتفقدوها القدرة على الحركة الفاعلة، وتمنعها من القيام بعمليات إرباك، فقد وقع في مقابل خيل العدو ألفي فارس، لتكون بمثابة قوات احتياط لتكون رهن الإشارة، ولتتدخل في الموقع المناسب.

ثم وصف «عليه السلام» الخيل في المقدمة، وصف الرجال

وراء الخيل صفين، ثم جعل الرماة خلف الصف الأول..

فلما شد الخوارج وهم رجالة على صف الخيل شدة رجل واحد لم تثبت الخيل لهم، وانفرجت، فأقبلت الخوارج نحو الرجال.. فاستقبلتهم الرماة بالنيل، ثم أطبقت الخيل عليهم من جهتين، وقامت الرجال إليهم بالسيوف والرماح، فما لبثوا أن أناموهم.. لأن الخيل التي واجهوها في بادئ الأمر كانت قد أنهكتهم، ثم واجههم صف الرجالة، فزاد في إنهاكهم، وواجههم الرماة بالسهم التي أربكتهم، ثم واجههم الرجال مرة أخرى بسيوفهم ورماحهم فأهلكتهم.

ثم لما حاول حمزة بن سنان أن ينجدهم أمر أصحابه بالنزول، فحمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو علي «عليه السلام»، فأهمدوا في الساعة..

وهذا ما قصده «عليه السلام» بقوله: «لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين» أي متعبين.

لأن جل الخوارج كانوا رجالاً، ولم يكونوا خيالة.. والراجل يبذل جهداً أكبر من الفارس، فيدركه التعب قبله.. وهذا ما صرح به علي «عليه السلام» بقوله: «وجلهم رجال».

وهذا درس مفيد جداً في الخطط الحربية. لا بد من تدبره بدقة، ليستفاد منه بصورة سليمة وقوية.

**يزيد بن قيس:**

ثم إن الخوارج كانوا - فيما يظهر - حائقين على يزيد بن قيس،  
الذي كان في بادئ الأمر معهم في حروراء، وكانوا أشد إطفاء به  
منهم بغيره..

فلما جاءهم أمير المؤمنين «عليه السلام» قصد مضربه وتوضاً  
وصلى فيه، ثم ولاه إصبهان، واستله منهم..  
فكان هذا الأمر قد أغضبهم..

ولأجل ذلك خصوه بهذا التقرع المبطن والصريح، فقالوا: «يا  
يزيد بن قيس، لا حكم إلا لله، وإن كرهت إصبهان..».

**علي × لولده: يا ابن اللخاء:**

روى عن محمد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن القداح،  
عن جعفر عن أبيه «عليهما السلام»: أن علياً «عليه السلام» كان  
يباشر القتال بنفسه، وأنه نادى ابنه محمد بن الحنفية يوم النهروان:  
قدم يا بني اللواء.

فقدم.

ثم قال «عليه السلام»: قدم يا بني اللواء.

فقدم. ثم وقف.

فقال «عليه السلام» له: قدم يا بني.

فتكعكع الفتى.

فقال «عليه السلام»: قدم يا ابن اللخناء.

ثم جاء علي «عليه السلام» حتى أخذ منه اللواء، فمشى به ما شاء الله، ثم أمسك، ثم تقدم علي «عليه السلام» بين يديه، فضرب قدماً(1).

### ونقول:

تكعكع: احتبس، أو جبن، وضعف.

اللخناء: المنتنة. والتي لم تختن..

1 - قد مضى في حرب الجمل ما يشبه هذه الحادثة، ولعل الراوي قد اشتبه عليه الأمر بين الجمل والنهروان..

2 - إن الإشكال في الرواية هو أنه «عليه السلام» قد ذكر أم محمد بما يسيء لها، سواء فسرنا كلمة اللخناء بالمنتنة الريح، أو فسرناها بغير المختونة، فإن أم محمد هي أم ولد علي «عليه السلام»، وهي امرأة صالحة. وأدب علي «عليه السلام»، ودينه وخلقه لا يسمح له بوصفها بمثل هذه الأوصاف غير الحميدة..

3 - يبدو: أن ما جرى في النهروان لم يكن فيه تقديم رايات، فضلاً أن يطلب «عليه السلام» ذلك من ولده ثلاث مرات.. وأن يجبن ويضعف في الثالثة..

---

(1) بحار الأنوار ج 33 ص 381 وقرب الأسناد (ط أولى) ص 14 و (ط سنة

1314 هـ) ص 27 و 28.

ويشير إلى ذلك: أن وصف القتال الذي ذكرته رواية أبي مريم التي رواها الطبري، وغيره يعطي أن الأمور لم تجر على النحو الذي ذكرته رواية القداح هذه.. ولم نجد في النصوص التي بين أيدينا: أن محمد بن الحنفية كان حاملاً للراية في حرب النهروان..

وظاهر الأمر: أنه حين حمل الخوارج على خيل أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم تثبت لهم ووصلوا إلى الرجالة، أطبقت عليهم خيل علي «عليه السلام» من الجانبين وقام علي «عليه السلام» بمن معه من الرجالة في مواجهتهم، فكانما قيل لهم: موتوا، فماتوا.

وبهذا وذاك يصبح القبول بما ذكرته هذه الرواية غير ممكن، فإن ثبتت، فلا بد من رد علمها إلى أهلها.



## الفصل السابع:

المخدج بيت القصيد..



**عائشة تبحث عن المخدج:**

**عن مسروق قال:**

قالت عائشة: يا مسروق، إنك من ولدي، وإنك من أحبهم إليّ،  
فهل عندك علم من المخدج؟!

قال: قلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه:  
«تامراً»، ولأسفله النهر اوان بين أخافيق وطرفاء.

قالت: إبعني على ذلك بينة.

فأتيتها بخمسين رجلاً، من كل خمسين بعشرة - وكان الناس إذ  
ذاك أحماساً - يشهدون: أن علياً «عليه السلام» قتله على نهر يقال  
لأعلاه: «تامراً»، ولأسفله النهر اوان بين أخافيق وطرفاء.

فقلت: يا أمّه، أسألك بالله، وبحق رسول الله «صلى الله عليه  
وآله»، وبحقي - فإني من ولدك - أي شيء سمعت رسول الله «صلى  
الله عليه وآله» يقول فيه؟!

قالت: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: هم شر

الخلق والخليعة، يقتلهم خير الخلق والخليعة، وأقربهم عند الله وسيلة(1).

وهذه الحادثة هي غير ما جرى لها مع عبد الله بن شداد، وهي التالية:

**ابن شداد يروي لعائشة:**

روى أحمد بسنده عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، وكذلك روى غيره، قالوا:

جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس - مرجعه من العراق ليالي قتل علي «رضي الله عنه» - فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟! تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي «رضي الله عنه».

قال: وما لي لا أصدقك؟!

قالت: فحدثني عن قصتهم.

قال: فإن علياً لما كاتب معاوية، وحكم الحكماء، خرج عليه

---

(1) مناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص 56 وفي هامشه عن مجمع الزوائد ج 6 ص 239، وقال: رواه الطبراني، وتراه في أرجح المطالب (ط لاهور) ص 599 وفيه: «فأثبتها من كل سبع برجل». وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 267 وبحار الأنوار ج 38 ص 15 و 16 وج 33 ص 332 و 333.

ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه، فقالوا:

انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به. ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى.

فلما أن بلغ علياً «رضي الله عنه» ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، أمر مؤذناً، فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن.

فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكّه بيده، ويقول: أيها المصحف! حدث الناس!

فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟! إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟! قال:

أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله.

يقول الله تعالى في كتابه، في امرأة ورجل:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا  
إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) (1).

فأمة محمد «صلى الله عليه وآله» أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل.

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

ونقموا عليّ: أن كاتبت معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل بن عمرو: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال: كيف نكتب؟!

فقال: أكتب باسمك اللهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فاكتب: محمد رسول الله.

فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك.

فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً.

يقول الله تعالى في كتابه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ..)(1).

فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس «رضي الله عنه»، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس «رضي الله عنه» فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به. هذا ممن نزل فيه وفي قومه: (قَوْمٌ خَصِمُونَ)(2)؛ فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب

(1) الآية 21 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 58 من سورة الزخرف.

الله.

فقام خطباؤهم، فقالوا: والله، لنواضعنه كتاب الله؛ فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه. وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله.

فواضعوا عبد الله بن عباس الكتاب ثلاثة أيام.

[وفي رواية ابن عساكر: أنهم ذكروا: أنهم نقموا على أمير المؤمنين: أنه قاتل ولم يسب، ولم يغنم. فإن كان القوم كفاراً، فقد أحل الله دماءهم ونساءهم، وإن كانوا غير ذلك فقد استحل ما صنع بهم.

ثم إنه حكم الرجال في دين الله، والله يقول: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) (1). وإنه محاسمه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

فأجابهم ابن عباس بنحو كلام أمير المؤمنين السابق، وأنه قد حكم في الصيد وبين الزوجين، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد محاكلمة (رسول الله) يوم الحديبية، وأنه لا يحل سبي عائشة.

فإن قلتم: إنما يستحل منها ما يستحل من المشركات بعد قول الله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (2)، فقد خرجتم من الإسلام. انتهت زيادات ابن عساكر.

فرجع منهم أربعة آلاف، كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى

(1) الآية 57 من سورة الأنعام.

(2) الآية 6 من سورة الأحزاب.

أدخلهم على علي الكوفة.

فبعث علي «رضي الله عنه» إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم؛ فقفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد «صلى الله عليه وآله» بيننا وبينكم: أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة (الأمة)، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء؛ (..إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)(1).

فقال له عائشة: يا ابن شداد، فلم قتلهم؟!

فقال: والله، ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة.

فقلت: آله؟!

قال: آله الذي لا إله إلا هو لقد كان.

قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الثدي، وذو الثدي؟!

قال: قد رأيته، وقمت مع علي «رضي الله عنه» عليه في القتلى، فدعا الناس؛ فقال: أتعرفون هذا؟!

فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي.. ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك..

---

(1) الآية 58 من سورة الأنفال.

قالت: فما قول علي «رضي الله عنه» حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟!

قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله.

قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟!

قال: اللهم لا.

قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً «رضي الله عنه». إنه كان من كلامه، لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث(1).

وعن يزيد بن أبي زياد قال: سألت سعيد بن جبيرة عن أصحاب النهر، فقال: حدثني مسروق.

قال: سألتني عائشة، فقالت: هل أبصرت أنت الرجل الذي

(1) مسند أحمد ج 1 ص 86 - 87 وترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ج 3 ص 153 - 157 وتهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 304 و 305 والمصنف للصنعاني ج 10 ص 148 والبداية والنهاية ج 7 ص 280 و 281 وراجع: كنز العمال ج 11 ص 278 - 280 عن أحمد، والعدني، وابن عساكر، وغير ذلك. وفي هامشه عن منتخب كنز العمال أيضاً. ومجمع الزوائد ج 6 ص 235 - 237 عن أبي يعلى، ورجاله ثقات، والمستدرک للحاكم ج 2 ص 152 - 154 وتلخيصه للذهبي بهامشه.

يذكرون، ذو الثدية؟!!

قال: فقلت: لم أراه، ولكن شهد عندي من قد رآه.

قالت: فإذا قدمت الأرض، فاكتب إلي بشهادة نفر قد رآه.

قال: فجئت والناس أسباع، قال: فكلت من كل سبع عشرة ممن قد رآه.

قال: فقلت: كل هؤلاء عدل رضى؟!!

فقالت: قاتل الله فلاناً. فإنه كتب إلي أنه أصابه بمصر (1).

**وفي نص آخر:** «لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب إلي يخبرني: أنه قتله بالإسكندرية، إلا أنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يقول: يقتله خير أمتي بعدي» (2).

**ونقول:**

إن لنا هنا وقفات، نذكر منها ما يلي:

**تزوير التاريخ:**

إن النص المتقدم هو حديث ابن شداد، كما يرويه المسلمون،

---

(1) الجوهرة ص 110 وراجع: البداية والنهاية ج 7 ص 305 عن دلائل النبوة للبيهقي.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 268 وبحار الأنوار ج 38 ص 15.

ولكن الخوارج يروون حديثه هذا بنحو آخر، مناقض تماماً لما تقدم، فيقولون:

إن عبد الله بن شداد قدم المدينة، فأرسلت إليه عائشة، فقالت: يا عبد الله، لما قتل علي أصحابه؟!!

فحدثها بالقصة كلها. فقالت: ظلمهم.

قالت: هل تسمي أحداً ممن قتل؟!!

قال: نعم. حرقوص بن زهير السعدي.

فاسترجعت.. ثم ذكرت: أن رسول الله شهد له بالجنة ثلاث مرات. ثم قالت: ومن؟!!

قال: قلت: زيد بن حصن الطائي.

فبكت، وقالت: والله، لو اجتمعت الأمة على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقاً على الله أن يكبهم جميعاً في النار<sup>(1)</sup>.

**ولكننا نقول:**

**هل ظن الخوارج:** أن ما جرى بين عائشة وعلي «عليه السلام» يجعل من تصديق الناس لأكذوبتهم أمراً سهلاً؟! إن كانوا قد ظنوا ذلك، فقد خيب الله ظنهم، فإنهم غفلوا عن أن حديث مروق أهل النهروان من دين الإسلام كان من الشيوع والذيوغ، ما يجعل إظهار أي تشكيك، أو ارتياب فيه يرتد على صاحبه، ليسقطه من أعين

(1) العقود الفضية ص 68.

الناس، ويصيبه بجرح بالغ الخطورة في سمعته، وفي صدقه، واستقامته، وفي دينه.. لأنه يدل على أنه يستخف بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم تكن عائشة بالتّي تقدم على ذلك، ولا سيما بعد ما جرى لها في حرب الجمل، فإنها كانت بصدد استرداد بعض مصداقيتها، وتريد إظهار إنصافها حتى لمن حاربته، وأزهقت عشرات عشرات الوف الأرواح بلا فائدة ولا عائدة لها، بل أضيف إلى ذلك خسائر معنوية لها ولمن معها بسبب ما أظهره «عليه السلام» من شهامة، ونبل واستقامة، وما ظهر له من فضائل وكرامات، وعلوم غيبية رأى الناس بأم أعينهم كيف كانت تتحقق بدقة متناهية.

ولم تكن لتفترط بهذه الفرصة على الإطلاق.

ولعل الخوارج يعرفون أن الروايات المتضافرة عند المسلمين لا تسمح بتصديق الخوارج فيما يدعونه على عائشة من أنها أدانت قتلهم، ومن ثناءٍ منها على حرقوص وزيد بن حصين..

ولكن لعلهم كانوا يرون أنه يكفيهم أن يشك الناس في موقف عائشة تجاههم، وأن تساوي الاحتمالات عند الناس، لأن ذلك يدفع عنهم غائلة الأخذ بما روته في حقهم، من أنهم شر الخلق والخلقة، لأن هذه الرواية تزعجهم جداً.

**الكذب على ابن عباس وعلي X:**

وكما كذب الخوارج على عائشة، فقد كذبوا أيضاً على ابن

عباس، فقد زعموا: أنهم قد خصمو ابن عباس، وأنه لما رجع إلى علي «عليه السلام» قام إليه علي «عليه السلام»، وناجاه، وكره أن يسمع أصحابه قولهم، وحجتهم التي احتجوا بها.

فقال علي «عليه السلام»: ألا تعينني على قتالهم؟!!

فقال ابن عباس: لا والله، لا أقاتل قوماً خصموني في الدنيا، وإنهم يوم القيامة لي أخصم، وعليّ أقوى. إن لم أكن معهم لم أكن عليهم.

واعتزل ابن عباس «رضي الله عنه»، ثم فارقه..

ثم زعموا: أنه أخذ مالاً من بيت مال البصرة.. فطالبه بها علي «عليه السلام»، فقال: إنه أخذ دون حقه، وقال: «قد علمت أخذي للمال من قبل قلبي في أهل النهروان. ولو كان أخذي للمال باطلاً كان أهون من الشرك في دم مؤمن»<sup>(1)</sup>.

**القسامة لماذا؟! ولماذا التكتّم؟!:**

ثم إن مراجعة النصوص تعطي: أن عائشة قد سألت أكثر من مرة عن الذي قتل الخوارج، وعن خصوص ذي الندية، وكانت تغلظ في أسئلتها، وتطلب البيّنات، حتى إن مسروقاً أتاها بخمسين رجلاً، اختار من كل خمسين رجلاً عشرة رجال. ثم كانت تستحلفهم وتناشدهم الله بأن يصدّقوها.. بل هي قد طلبت بعضهم، أن يكتب لها

---

(1) العقود الفضية ص59 وحول أخذه المال من قبيل قوله في أهل النهروان راجع العقود الفضية ص40.

شهادة من شهد مع علي النهروان، فكتب شهادة سبعين ممن شهدوا  
قال: ثم أتيتها بالكتاب، فقلت: يا أم المؤمنين لم استشهدت؟!  
قالت: إن عمرو بن العاص أخبر أنه أصابه على نيل مصر.  
ثم طلب منها أن تخبره بما سمعت من رسول الله «صلى الله عليه  
 وآله»، فأخبرته (1).

وكان الناظر يشعر: أن ثمة قلقاً ينتاب أم المؤمنين. وتريد أن  
تحسم الأمر في أمر يشغل بالها.. وكانت تكتنم ذلك الأمر، ولم تبح به  
حتى أقسم عليها مسروق بالله، وبحق رسول الله «صلى الله عليه  
 وآله»، وبحقه هو، ثم استعطفها بأنه ولدها..

وإذ بها تفصح عن هذا الأمر، وهو قول الرسول «صلى الله عليه  
 وآله» عن الخوارج: «هم شر الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق  
 والخلقة، وأقربهم عند الله وسيلة».

ويحق لأم المؤمنين أن تقلق، وأن تتكتنم، فإن البوح بهذا الحديث  
يدينها، لأنها تكون قد حاربت خير الخلق والخلقة، وأقرب الخلق عند  
الله وسيلة.

**وكانت تصرح:** بأنها لا تحب أن يكون علي «عليه السلام» هو  
قاتل أهل النهر، فعن يزيد بن زياد: حدثني من سمع عائشة وذكر  
عندها أهل النهر، فقالت: ما كنت أحب أن يوليه الله إياه (والضمير

---

(1) كشف الغمة ج 1 ص 159 وبحار الأنوار ج 33 ص 333 عنه.

يعود لعلي «عليه السلام». أي ما كانت تحب أن يكون الذي يتولى قتلهم هو علي «عليه السلام».

قالوا: ولم ذلك؟!

قالت: لأنني سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنهم شرار أمتي، يقتلهم خيار أمتي. وما كان بيني وبينه إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها(1).

**تحريف: أيها المصحف حدث الناس:**

ذكر ابن شداد لعائشة حديث وضعه «عليه السلام» مصحفاً عظيماً بين يديه، ثم صار يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف حدث الناس..

ولكنه جاء مبتوراً.. لأنه لم يذكر أنه «عليه السلام» حين قيل له: ما تسأل عنه، إنما هو مداد في ورق.. أجاب: أنا القرآن الناطق إلخ.. فهل هذا تحريف متعمد للحديث؟! أم هو اختصار لما جرى؟! أم ماذا؟!

وعلى كل حال.. فقد ذكرنا هذا الحديث على وجهه، وأشرنا إلى بعض ما يستفاد منه في موضع سابق من فصول هذا الكتاب.

---

(1) كشف الغمة ج1 ص159 وبحار الأنوار ج33 ص333 عنه.

### ابن الكواء يخاف من ابن عباس:

وقد ورد حديث ابن شداد: أن ابن الكواء لما واجه ابن عباس في معسكرهم قام خطيباً، وطلب من أصحابه أن يردوه إلى صاحبه، ولا يواضعوه كتاب الله.

**ومن المعلوم:** أن ابن الكواء كان يخاف من الفشل والفضيحة بين يدي ابن عباس لو أنه ناظره أمام الخوارج، فأراد بهذه الوسيلة: أن يتلافى مناظرته.. فإن ناظره غيره من الخوارج وغلبهم ابن عباس، وسيغلبهم حتماً لما يعرفه عنه ابن الكواء وغيره.. فبإمكان ابن الكواء أن يقول لهم: ألم أقل لكم لا تناظروه؟! ويبقى ابن الكواء على هيئته، وعلى نفوذه، وموقعه بينهم..

أما لو لم يفعل ذلك، فقد كان ابن الكواء سيضطر هو لتولي مناظرته، فإذا انتصر عليه ابن عباس، فيخسر موقعه فيهم، وقيادته لهم، لأنهم سيتهمونه بالضعف والفشل.

### ابن الكواء مع الكفة الراجحة:

وقد وقع الخوارج في المحذور الذي توقعه لهم ابن الكواء، فقد ناظرهم ابن عباس ثلاثة أيام، وأظهر الحق لهم حتى رجع منهم أربعة آلاف. ورجع معهم ابن الكواء نفسه، وأدخلهم ابن عباس على علي «عليه السلام» في الكوفة. وبذلك يكون ابن الكواء قد احتفظ بموقعه، وألحق نفسه بفئة كبيرة منهم، وحفظ روحه من التلف، لأنه يعلم: أن

من يواجه علياً «عليه السلام» في الميدان، فإن مصيره هو الدمار والبنوار.

### نو الثنية غير معروف:

وقد أظهرت رواية ابن شداد: أن علياً «عليه السلام» سأل الناس إن كانوا يعرفون ذا الثنية حين أراهم إياه، فكان هناك من يقول: إنه رآه يصلي في هذا المسجد أو ذاك، «ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك». وهذا يدل على أن هذا الرجل لم يكن معروفاً، فكيف يدعى أنه حرقوص بن زهير السعدي، وحرقوص من قادة الخوارج المعروفين؟!

وقد تقدمت نصوص عديدة تحت عنوان: «حرقوص ليس ذا الثنية» تؤكد هذا الذي قلناه.

### استحلال أهل الذمة:

ورد في حديث ابن شداد: أن من جملة ما استحق به الخوارج القتل: هو أنهم استحلوا أهل الذمة.. مع أنهم يزعمون: أن الخوارج كانوا يتخرجون من قتل أهل الذمة.. مما يعني: أنهم قد تجاوزوا في فسادهم وإفسادهم كل الحدود، حتى تلك التي رسموها هم لأنفسهم بصورة صارمة.

إلا أن يقال: إن الخوارج في بدايات أمرهم كانوا يتصرفون من دون ضابطة، بل وفق ما يخطر على بال هذا الزعيم، أو القائد، أو

الشخص.. وإنما وضعوا بعض الحدود والقيود لأنفسهم بعد تلك الفترة.

### التشكيك في أمر ذي النثية:

إن حديث عائشة، وابن شداد يدل: على أن محاولة مبغضي علي «عليه السلام» التشكيك بقتل ذي النثية مع الخوارج قد بدأت منذ اللحظات الأولى من فراغه «عليه السلام» من حرب النهروان.

ونذكر هنا بعض النصوص حول ذي النثية. لكي يصبح أمره أكثر وضوحاً وسنكتفي ببعض ما ذكرناه في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج، فنقول:

أما بالنسبة للمكان الذي يقتل فيه الخوارج.. فنتكفي بالإشارة إلى ما رواه جندب الأزدي، قال: لما عدلنا إلى الخوارج مع علي بن أبي طالب.

قال: يا جندب، ترى تلك الراية؟!!

قلت نعم.

قال: فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبرني أنهم يقتلون عندها(1).

وفي نص آخر قال «عليه السلام»: «لا يقتل اليوم رجل من

(1) كنز العمال ج 11 ص 290 عن ابن عساكر.

وراء النهر»(1).

والنصوص حول هذا الأمر كثيرة جداً.

أما النصوص حول المخدج. أعني ذا الثديية، فهي أكثر، فمن ذلك قولهم: «..فطلب الناس، فلم يجدوه، حتى قال بعضهم: غرنا ابن أبي طالب من إخواننا حتى قتلناهم.

فدمعت عين علي «عليه السلام». قال: فدعا بدابته فركبها، فانطلق حتى أتى وهدة فيها قتلى، بعضهم على بعض، فجعل يجر بأرجلهم، حتى وجدوا الرجل تحتهم، فأخبروه، فقال علي: الله اكبر. وفرح، وفرح الناس»(2).

**واللافت للنظر هنا:** أنه «عليه السلام» حين يريد أن يبحث عن المخدج. يصر على إفهام الناس عمق ارتباطه برسول الله، حيث يكتشفه لهم مقترناً بمعجزة أخرى، فإنه «عليه السلام» ركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال أبو قتادة: «فأقمنا ندور على القتلى، حتى وقفت بغلة النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه

---

(1) تاريخ بغداد ج 1 ص 205 وبهج الصباغة (ط أولى) ج 7 ص 189 ولهذا المعنى مصادر كثيرة جداً.

(2) راجع: مجمع الزوائد ج 6 ص 238 عن أبي يعلى. ورجاله رجال الصحيح. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج 5 ص 319 وكشف الغمة ج 1 ص 267 وليس فيه عبارة: وفرح الناس.

السلام». ركبها، فقال: اقلبوا القتلى»<sup>(1)</sup>.

وفي نص آخر: لما عيل صبر علي «عليه السلام» في طلب المخدج قال: انتوني ببغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فركبها واتبعه الناس، فرأى القتلى، وجعل يقول: اقلبوا، فيقلبون قتيلاً عن قتيلاً حتى أستخرجه، فسجد علي «عليه السلام».

وروى كثير من الناس: أنه لما دعا بالبغلة قال: انتوني بها، فإنها هادية. فوقفت به على المخدج، فأخرجه من تحت قتلى كثيرين<sup>(2)</sup>.

وفي نص أيضاً: «فالتمسوه، فلم يجده، فما رأيت علياً جزع جزاً قط أشد من جزعه يومئذ».

ثم تذكر الرواية: كيف أنهم بحثوا عن ذي الندية ثلاث مرات، وكان «عليه السلام» بعد أن يخبروه بأنهم لم يجدوا ذا الندية يكذبهم، ويؤكد أن النبي «صلى الله عليه وآله» لعنهم. وكان «عليه السلام» يسألهم عن اسم المكان فيخبرونه. وقد ذكر لهم حتى عدد الشعرات التي كانت على يد ذي الندية، وأنها ثلاث.

---

(1) بهج الصباغة (ط أولى) ج 7 ص 188 عن الخطيب في ترجمة أبي قتادة الأنصاري، وتذكرة الخواص ص 104 وتاريخ بغداد ج 1 ص 160 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 276.

(2) بحار الأنوار ج 33 ص 351 و 352 وج 41 ص 340.

ثم وجدوه آخر الأمر في ساقية(1).

**وبعض النصوص يصرح:** بأنه «عليه السلام» بكى مرتين حين كانوا يخبرونه بعدم وجدانه، ثم قام في الثالثة بنفسه فركب بغلته الشهباء (والشهباء: اسم بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»)، فلما وجده سجد(2).

**ونص آخر يقول:** إنهم حين وجدوا المخدج كبر علي، وحمد الله، وخرّ هو والذين كانوا معه سجداً(3).

**ويذكر نص آخر:** أنه «عليه السلام» سجد سجدة طويلة(4).

(1) كنز العمال ج11 ص310 وتاريخ بغداد ج1 ص199 وج13 ص222 والبداية والنهاية ج7 ص294 وبهج الصباغة (ط أولى) ج7 ص189 ومصادر حديث ذي الندية لا تكاد تحصى لكثرتها.

(2) البداية والنهاية ج7 ص295.

(3) المناقب للخوارزمي ص185 ومسند أحمد ج1 ص108 و 147 والبداية والنهاية ج7 ص292 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص276 والخصائص للنسائي ص141 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص170 وكنز العمال ج11 ص289 عن الدورقي، وابن جرير، وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص376 وذكر بعض المصادر الأخرى في هوامشه.

(4) البداية والنهاية ج7 ص290 وراجع ص280 و 295 وتاريخ بغداد ج14 ص362 وراجع: بهج الصباغة (ط أولى) ج7 ص187 و 189 عن الخطيب في ترجمة أبي مؤمن الوائلي، وابن عباس.

ويقول غيره: «فرح فرحاً شديداً» (1).

وفي آخر: «فكبر علي رضي الله عنه والناس، وأعجبهم ذلك» (2).

وحسب نص المسعودي: «أمر علي بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه. فقام علي، عليه أثر الحزن لفقد المخدج. فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعضهم، فقال: أفرجوا.

ففرجوا يميناً وشمالاً، واستخرجوه. فقال علي: الله اكبر ما كذبت علي محمد..

إلى أن قال: فتنى علي رجله، ونزل، وخر لله ساجداً» (3).

وعن مالك بن الحارث قال: «شهدت علياً رضي الله عنه يوم النهروان طلب المخدج، فلم يقدر عليه، فجعل جبينه يعرق، وأخذه الكرب. ثم إنه قدر عليه، فخر ساجداً، فقال: والله، ما كذبت ولا

---

وفي كنز العمال ج 11 ص 289 عن ابن أبي عاصم، والبيهقي في الدلائل، والخطيب: فخرّ علي ساجداً.

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 377.

(2) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» (للنسائي)

ص 143 وفي هامشه عن تاريخ بغداد ج 1 ص 160 وعن مسند أحمد ج 1

ص 88 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 276.

(3) مروج الذهب ج 2 ص 406.

كذبت»(1).

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال لهم: اطلبوا المخدج، فقالوا: لم نجده، فقال: والله، ما كذبت ولا كذبت، يا عجلان! انتني ببغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتاه بالبغلة، فركبها، وجال في القتلى، ثم قال: اطلبوه ههنا.

قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطين.

وفي رواية أبي نعيم، عن سفيان: «ف قيل: قد أصبناه فسجد لله تعالى. فنصبها»(2).

ولعل المراد بقوله: فنصبها! أنه رفع يد المخدج ليراها الناس.

وفي نص آخر: أن علياً أرجعهم في طلب المخدج مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه(3).

---

(1) المستدرك للحاكم ج 2 ص 154 وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه)، وصحاه على شرط الشيخين. وتاريخ بغداد ج 13 ص 158 وراجع: البداية والنهاية ج 7 ص 294.

(2) مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 191 عن تاريخ الأمم والملوك للطبري، وإبانة ابن بطة، وسنن أبي داود، ومسنند أحمد، وبحار الأنوار ج 33 ص 392.

(3) كنز العمال ج 11 ص 282 عن ابن وهب، ومسلم، وابن جرير، وابن أبي عاصم، والبيهقي، وأبي عوانة، وابن حبان وراجع: نزل الأبرار ص 60 وعن الرياض النضرة ج 3 ص 224 وعن صحيح مسلم ج 2 ص 749

وفي نص آخر: أنه قام بنفسه، فبحث عنه فوجده في حفرة فيها قتلى كثير (1).

وعن ابن عباس قال: لما أصيب أهل النهروان خرج علي وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه - يعني المخدج - فالتمسوه، فجاءوا فقالوا: لم نجده، فعرف ذلك في وجهه، فقال علي: ويلكم ضعوا عليهم القصب، أي علّموا كل رجل منهم بالقصب، فجاءوا به، فلما رآه خرّ ساجداً (2).

وتذكر رواية أخرى: أنه «عليه السلام» لما لم يجده قام والعرق يتصبب من جبهته حتى أتى وهدّة من الأرض، فيها نحو من ثلاثين قتيلاً. فاستخرجه منهم. وظهر للشاك بالأمر آيتين جعلتاه يعود إلى يقينه، فلترجع (3).

وعند التلمساني: فلم يوجد، فتغير وجه علي، وقال: والله، ما

---

وراجع: ذخائر العقبى ص 110 وتاريخ بغداد ج 10 ص 305 وراجع ج 12 ص 480 و ج 1 ص 199 و 200 وفرائد السمطين ج 1 ص 277 ونظم درر السمطين ص 116 والخصائص للنسائي ص 291 وعن البداية والنهاية ج 7 ص 291.

(1) تاريخ بغداد ج 1 ص 206 وكنز العمال ج 11 ص 272 ومنتخب كنز العمال ج 5 ص 429 و 430 ومجمع الزوائد ج 6 ص 238 عن أبي يعلى.

(2) تاريخ بغداد ج 1 ص 174.

(3) خصائص علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي ص 30.

كذبت ولا كذبت، ففتشوه، ففتشوه، فوجدوه في وهدة من الأرض بين القتلى، فلما رآه علي كبر، وحمد الله تعالى(1).

**وفي حديث آخر:** أنهم حين وجدوا المخدج: رفع علي يديه يدعو والناس يدعون، قال: ثم وضع يديه، ثم رفعهما أيضاً، ثم قال: والله، فالق الحبة، وبارئ النسمة، لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما سبق من الفضل لمن قتلهم على لسان النبي «صلى الله عليه وآله»(2).  
وحين وجدوا المخدج كبر «عليه السلام»، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله «صلى الله عليه وآله».

فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، الله الذي لا اله إلا هو، أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! والله!

فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف(3).

(1) الجوهرة ص109.

(2) المصنف للصنعاني ج10 ص151.

(3) المصنف للصنعاني ج10 ص148 و 149 وفي هامشه عن مسلم، وعن البيهقي ج8 ص170 وكنز العمال ج11 ص281 عن مسلم، وعبد الرزاق، والبيهقي، وابن أبي عاصم، وأبي عوانة، وخشيش. والبداية والنهاية ج7 ص291 و 290 وعن صحيح مسلم ج1 ص343 وراجع: فرائد السمطين ج1 ص276 و 277 وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط

**ونقول:**

وأي حاكم - غير علي «عليه السلام» - يرضى بأن يستحلفه أحد رعيته على أمر يذكر أنه سمعه من الرسول «صلى الله عليه وآله»، فيحلف ذلك الحاكم له؟!!

وفي نص آخر عن عبيدة: أن علياً قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يخرج قوم فيهم رجل مودن (أو مثدون، أو مخدج اليد) لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيّه.

قال عبيدة: قلت لعلي رضي الله عنه: أنت سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

قال: إي ورب الكعبة. إي ورب الكعبة. إي ورب الكعبة(1).

---

ليدن) ج 4 ق 2 ص 36 ونظم درر السمطين ص 117 وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص 145 وكفاية الطالب ص 177 وذخائر العقبى ص 110 عن مسلم، ونزل الأبرار ص 61.

(1) راجع: مسند أحمد ج 1 ص 95 و 78 و 55 وراجع ص 113 و 121 ونزل الأبرار ص 61 وفي هامشه عن مسلم ج 2 ص 747 والمصنف للصنعاني ج 10 ص 149 وكنز العمال ج 11 ص 282 عن الترمذي، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والطيالسي، وابن جرير، وخشيش، وابن حبان، وابن أبي عاصم، والبيهقي، وأبي عوانة، وابن ماجه وغيرهم، وراجع: منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 5 ص 434 وراجع: خصائص

### حرب الخوارج هي الأصعب:

وقد ذكر لنا التاريخ صراحة: أن بعض من كانوا مع علي، قد ارتابوا في حرب الخوارج.

ويذكرون أيضاً: أن الناس كأنهم قد وجدوا من أنفسهم من قتلهم الخوارج(1).

فحين رأوا صدق إخباراته الغيبية «عليه السلام» عادوا إلى يقينهم.

يقول جندب بن عبد الله الأزدي: «شهدت مع علي الجمل، وصفين، ولا أشك في قتالهم، حتى نزلنا النهروان فدخلني شك، وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم؟! إن هذا الأمر عظيم!!».

ثم تذكر الرواية: أنه عاد إلى يقينه حين رأى صدق ما أخبر به أمير المؤمنين «عليه السلام» بعدم عبورهم النهر(2).

- 
- أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص146 وتاريخ بغداد ج11 ص118 والرياض النضرة ج3 ص225 والبداية والنهاية ج7 ص292 و 293 ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص416.
- (1) راجع: كنز العمال ج11 ص286 عن أحمد، والحميدي، والعدني، والبداية والنهاية ج7 ص294 ومسند أحمد ج1 ص88 وتاريخ بغداد ج14 ص363 وبهج الصباغة (ط أولى) ج7 ص187 و 188.
- (2) كشف الغمة ج1 ص277 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 وغير ذلك كثير.

وعن أبي سليمان المرعشي، قال: لما سار علي إلى أهل النهر سرت معه، فلما نزلنا بحضرتهم أخذني غم لقتالهم لا يعلمه إلا الله تعالى، حتى سقطت في الماء مما أخذني من الغم.

قال: فخرجت من الماء وقد شرح الله صدري لقتالهم(1).

ولعله يريد أن يقول: إن هذه كرامة لعلي «عليه السلام» أيضاً، حيث ذهب الغم عنه بمجرد سقوطه في الماء، وذهبت الأوهام والتخيلات، ثم شرح الله صدره لقتالهم وهذا لطف إلهي، ورعاية ربانية.

#### الحدث الدائع:

وقد ذاع أمر قتل المخدج وشاع، حتى إن أبا سعيد يقول:

حدثني عشرة من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله»، ممن أرتضي، في بيتي هذا أن علياً قال: التمسوا لي العلامة التي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنها، فإني لم أكذب، ولن أكذب. فجيء به.

فحمد الله علي حين عرف علامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(2).

وعن يزيد بن رويم الذي كان عاملاً لعلي «عليه السلام» على

(1) تاريخ بغداد ج 14 ص 365.

(2) كنز العمال ج 11 ص 302 عن ابن جرير.

باروسما ونهر الملك أنه: أتاه من أخبره عن أمر الخوارج، فقال  
«عليه السلام»:

«يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية.  
فلما طحن القوم، ورام استخراج ذي الثدية، فأتبعه، أمرني أن  
أقطع له أربعة آلاف قصبة.  
وركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: اطرح على  
كل قتيل منهم قصبة.  
فلم أزل كذلك، وأنا بين يديه، وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه  
حتى بقيت في يدي واحدة. فنظرت إليه وإذا وجهه اربد، وإذا هو  
يقول: والله، ما كذبت، ولا كذبت.  
فإذا خريير ماء عند موضع دالية - ثم يذكر العثور على ذي الثدية  
هناك، ثم يقول -:

فكبر علي بأعلى صوته، ثم سجد، فكبر الناس كلهم»<sup>(1)</sup>.  
**ويبدو لنا:** أن حادثة التأكد من عدد الخوارج بالقصب، والعثور  
على المخدج فيها هي غير حادثة العثور على المخدج فور انتهاء

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص277 و 278 ومناقب الإمام علي بن  
أبي طالب لابن المغازلي ص415 وبحار الأنوار ج33 ص352 وج41  
ص340 و 341 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص105 وشرح إحقاق  
الحق (الملحقات) ج8 ص91.

القتال ليكون ذلك علامة على صحة فعلهم..

ولعلمهم عثروا عليه أولاً، ثم اختلطت القتلى من جديد. لأن الناس كانوا يبحثون عن قتلى لهم بهم قرابة، ثم جاء بالقصب ليعد القتلى بها.

### المعجزة والإيمان:

#### وقلنا في كتاب علي «عليه السلام» والخوارج:

إن علياً «عليه السلام» الذي ينظر إلى الأمور بعين البصيرة، والعقل، وبنور الحكمة، لم يكن يحتاج في إيمانه وبقينه، وفي صفاء روحه إلى رؤية خوارق ومعجزات.

أما أولئك الذين ينظرون إلى الأمور من موقع التأثير بالأغيار، والأهواء، والعصبية، وبروح غارقة في ظلمات الأوهام والجهالات، فإنهم يحتاجون إلى الصدمة التي تسد أمام نفوسهم الإمارة منافذ التحايل على العقل، وتمنعها من التحرير به، واستخدامه في صناعة وسائل الصد عن الحق، وإثارة الشبهات. وتزيين الباطل، وتلويث الفطرة الصافية، وتعبث بسكينة النفس المطننة..

#### ولأجل ذلك نقول:

إن المؤمنين الحقيقيين هم العقلاء حقاً. ومن هنا نعرف: أن الخوارج كانوا أخفاء الهام سفهاء الأحلام. ولأجل ذلك أيضاً كان معاوية يعمل على أن يستخف قومه ليطيعوه، تماماً كما فعل فرعون مع قومه.

ومن الواضح: أن الإيمان حين يأتي عن طريق الصدمة حتى

بالمعجزة، فإنه لا يكون له ذلك الرسوخ والعمق. إذ سرعان ما تعود النفس الأمانة إلى محاولاتها لتزوير الحقيقة، وتزيين الباطل، وقهر العقل، وإقامة السدود والموانع المصطنعة، من تمويهات الأهواء والشهوات، وتشويهات الأضاليل والشبهات.

**ولأجل ذلك نلاحظ:** أن الذين كانوا يطلبون المعجزات من الأنبياء كان إيمانهم يتراجع، وربما يتلاشى ويضمحل، أو يصبح سطحيًا، ومدخولًا، ومشوبًا إلى درجة كبيرة. بتأثير التزيينات الشيطانية، والعصبيات والأهواء.

أما الإيمان العميق والصحيح، فهو إيمان أولئك الذين عرفوا الحق بفطرتهم، ولمسوه بوجدانهم، وعاینوه بعین بصيرتهم، وأخضعوه لسلطان عقولهم.

**وبذلك نستطيع:** أن نفهم بعمق كيف أنه بعد أن فرغ علي «عليه السلام» من أهل النهروان، وبالرغم من ذلك السيل الهائل من الدلالات القاطعة، والإخبارات الغيبية، والكرامات الباهرة، فإنه حين خطب الناس بالنخيلة: قام إليه رجل منهم، فقال: «ما أحوج أمير المؤمنين اليوم إلى أصحاب النهروان، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغظوا»<sup>(1)</sup>.

وهذا مصداق ظاهر، لأولئك الذين لم يلامس الإيمان شغاف

---

(1) الشيعة في التاريخ ص42 عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص146.

قلوبهم، ولم يمازج فطرتهم، وبقي مجرد لعق على ألسنتهم، لا يجاوز تراقيهم(1).

### الكذب على علي X:

وتقول عائشة - كما في حديث ابن شداد -: «فيذهب أهل العراق يكذبون عليه (أي على علي «عليه السلام»)، ويزيدون عليه في الحديث».

وقد سجلت هذا النقد الصريح لأهل العراق، حين كانت تستحسن قوله «عليه السلام» عن ذي الندية: صدق الله ورسوله..

### ونقول:

لقد اختص الله ورسوله علياً «عليه السلام» بمقام الإمامة والولاية، وحباه بعلمها، وبسائر شؤونها وحالاتها، وخصائصها وصفاتها، ووسائلها وأدواتها، فكان «عليه السلام» يكثر من قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني».

وقد أثبتت الوقائع معرفته بكثير من الغيوب التي يحتاج إليها في هداية الناس إلى إمامته، ثم في حفظ يقينهم بها، وتعميق إخلاصهم لها. فكان «عليه السلام» يكثر من إخبار الناس، وفيهم أهل البصائر، وفيهم أيضاً ضعفاء الإيمان وفيهم الأذكياء والأغبياء، فكان ضعفاء العقول، وأهل المكر والغدر يحاولون التشكيك في هذه الأخبار،

---

(1) علي «عليه السلام» والخوارج ج 1 ص 358.

ويففونها بأنها حديث خرافة، بل صار يتهمونه «عليه السلام» بالكذب بصورة مباشرة.

ونذكر هنا بعض الشواهد على هذا البلاء الذي تعرض له سيد الوصين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد المسلمين.. وهي التالية:

- 1 - سمع أعشى همدان حديثه، فاعتبره حديث خرافة(1).
- 2 - إن قوماً كانوا تحت منبره «عليه السلام»، وهو يخطب، ويخبرهم بالملاحم، قالوا: «قاتله الله ما أفصح كاذباً»(2).
- 3 - ثم تكررت هذه الحادثة مرة أخرى أيضاً(3).
- 4 - وقال على المنبر: لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم. إلى أن قال: وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل وجبل، إلا وأنا عالم متى أنزلت، وفي من أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره: «يا لله، وللدعوى الكاذبة»(4).
- 5 - وكان ميثم التمار سمع من أمير المؤمنين «عليه السلام» بعضاً من علم، وأسرار خفية من أسرار الوصية، «فكان ميثم يحدث

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص289.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص136.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص136.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص136.

ببعض ذلك، فيشك قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً «عليه السلام» في ذلك إلى المخرقة، والإيهام، والتدليس الخ..»(1).

6 - ويقول «عليه السلام»: «والله، لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مئة، ثم لو شئت لحدثتكم إلى أن تغيب الشمس، لا أخبركم إلا حقاً. ثم لتخرجن فتزعمن: أنني أكذب الناس، وأفجرهم»(2).

7 - وفي خطبة له يخاطب أهل العراق: «..ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب، قاتلكم الله»(3).

8 - وكان مالك بن زمرة يخبر عن علي «عليه السلام» بأمر قاله بالنسبة إليه، وإلى اثنين آخرين، «فكان من الناس من يهزأ به ويقول: هذا من أكاذيب أبي تراب»(4).

### نظرة في موقف عائشة والخوارج:

ولو ألقينا نظرة على موقف عائشة من الخوارج، وموقف

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 291.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 128 عن الغارات، وقاموس الرجال للتستري ج 12 ص 14.

(3) نهج البلاغة الخطبة رقم 70 والإختصاص ص 155 عن كتاب ابن دأب، والإرشاد للمفيد ص 62 والإحتجاج (ط النجف) ج 1 ص 255.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 295 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج 8 ص 677.

الخوارج منها، فسوف نرى العجب العجاب، فالخوارج كانوا يكفرون عائشة، ويسبوننها..

فلما علمت بذلك روت حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم، وفي علي «عليه السلام».. عن أنهم شر الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق والخلقة.

لقد روت ذلك مع أن الحديث في علي «عليه السلام» كان يجرها في تبرير خروجها عليه. ومع أنها لا تطيق ذكره بخير أبداً، كما قاله ابن عباس في حديث خروج النبي «صلى الله عليه وآله» متوكئاً على الفضل بن عباس ورجل آخر.. فقد أوضح ابن عباس: أن الرجل الآخر هو علي «عليه السلام»، ولم تذكره عائشة، لأنها لا تحب أن تذكره بخير أبداً وهي تستطيع ذلك<sup>(1)</sup>.

فكان من الطبيعي أن يعترضوا عليها: بأنه إن كان علي أحب الخلق إلى الله، وخير الخلق والخلقة، فلماذا خرجت عليه؟!

---

(1) الجمل (ط سنة 1413 هـ) ص158 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط سنة 1405 هـ) ج2 ص231 و 232 ومسند أحمد ج6 ص38 و 288 والمستدرک للحاکم ج3 ص56 والسنن الكبرى للبيهقي ج1 ص31 والإحسان ج8 ص198 وصحيح البخاري (ط دار الفكر بيروت سنة 1401 هـ) ج1 ص162 وصحيح مسلم (بشرح النووي) ج4 ص138 و 139 والصوارم المهرقة ص105 والإرشاد ص164.

قالت: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) (1) «(2).

أي أنها وجدت أن الحل لهذه المعضلة: أن تلقي بالمسؤولية على القدر والجبر الإلهي.

وفي نص آخر: أنها قالت لأبي قتادة : إنها إنما خرجت عليه بسبب ما كان منه في حقها في قضية الإفك (3).

ويبدو: أن البعض، كالشيخ المفيد «رحمه الله» قد أخذ هذا منها، واعتبر قضية الإفك من أسباب حرب الجمل!!

ولكننا قد أثبتنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج 13، وفي كتاب مستقل: أن الإفك لم يكن على عائشة، وإنما على مارية، وأن رواية الإفك عليها مأخوذة منها..

ويبدو: أنها قد اعتذرت أولاً بالقدر، ثم لما تهياً لها أن الإفك كان عليها أضافت هذا العذر إلى ذاك..

واللافت هنا: أن رواية عاصم بن كليب عن أبيه تقول: إن عائشة كانت تحيل الناس إلى علي «عليه السلام» ليحدثهم حديث المارقين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء بعضهم إلى أمير

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

(2) تذكرة الخواص (ط النجف) ص 104 و 105.

(3) وتاريخ بغداد ج 1 ص 160.

المؤمنين «عليه السلام»، وأخبره بما قالت، فأهلّ (1) علي وكبر، ثم حدثهم: أنه دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس عنده غير عائشة، فقال «صلى الله عليه وآله»: كيف أنت يا ابن أبي طالب، وقوم كذا؟!!

فقلت: الله ورسوله أعلم.

فأعادها، فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: قوم يخرجون من قبل المشرق، ويقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم (2).

ولعلها كانت تحيل الأمر على علي «عليه السلام» لتلافي إحراجها من سائلها، ولكنها حين أقسم عليها بعضهم، وأصر عليها صرحت هي بالأمر، ثم اعتذرت تارة بالجبر الإلهي، وتارة بحديث الإفك.

### رواية الخوارج لحديث المخدج:

ويروي الخوارج حديث ذي الندية بنحو مضحك، فيقولون: «..في السير أيضاً، من كتاب النهروان، عن جابر بن زيد: أن علياً أظهر الندامة للناس.

(1) لعل الصحيح: فهلّ.

(2) كشف الأستار ج2 ص362 و 363 ومجمع الزوائد ج6 ص 238 عنه، وعن أبي يعلى، ورجاله ثقات.

قيل له: قتلت قوماً، وأظهرت الندامة عليهم، وطفقت تمدحهم، وتزين أمرهم، لثُخِّلَ عَنْ، أو لتقتلن.

**فلما أصبح قال:** ابتغوا في القتل رجلاً، فوجدوا نافعاً مولى ترملة، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان صالحاً مجتهداً، قطع الفحل يده. فقال: هذا هو.

فقال له الحسن: هذا نافع مولى ترملة.

قال له: أسكت، الحرب خدعة.

وهذا الرجل هو الذي التبس به على القوم أمر دينهم، وظنوا أنه علامة الباطل..»(1).

**ونقول:**

**1 - الالفت للنظر هنا:** أننا لم نجد في ما بأيدينا من كتب تراجم الصحابة من اسمه ترملة، ولا من اسمه نافع مولى ترملة..

**2 -** إن روايتهم تزعم: أنه «عليه السلام» كشف أمر المخدج في اليوم الثاني من حرب النهروان.

**3 -** كيف يقتلهم «عليه السلام» ثم يمدحهم، ويندم على قتلهم في نفس يوم قتلهم؟! فلو صح هذا عنه، فلماذا لم يتفرق عنه جنده؟! ولماذا لم يعترض عليه الناس الذين كان لهم أبناء، وآباء، وإخوان

---

(1) العقود الفضية ص 69.

وأقارب، وأصحاب، وأحاب بين قتلى الخوارج، وقد باشروا هم دفنهم بعد الإنتهاء من قتلهم؟!!

4 - كيف التبس الأمر على القوم بالمخدج في أمر دينهم، وظنوا أنه علامة الباطل، إذا كان نافع مولى ترملة رجلاً صالحاً؟! وإذا التبس الأمر على بعضهم، فلماذا لم يعترض الباكون؟! وإذا التبس الأمر على جميع الناس، فهل التبس أيضاً على من سمعه يثني على الخوارج بعد قتلهم، أو على الذي سمعه يقول للحسن: اسكت، فإن الحرب خدعة..

5 - إذا كان الفحل قد قطع يد المخدج، فكيف صار علامة على ضلال الخوارج، فإن الذين تقطع أيديهم كثيرون وألم يكن في حرب صفين والجمال، قتلى كانت أيديهم مقطوعة؟! فإن العلامة هي إنها ليس فيها عظم!! وأنها تشبه ثدي المرأة، وأنها، وأنها..

6 - هل الفحل يقطع الأيدي؟! ومتى عهدهم بالفحول تفعل ذلك؟!!

7 - أين هي الأخبار التي تحكى لنا حال نافع مولى ترملة، وتبين صلاحه واجتهاده؟! وأين هي ترجمة نافع في التاريخ والحديث؟! ومن أين عرفوا أن الفحل قطع يده؟! وأين هي المصادر التي سجلت ذلك؟!!

ولماذا انحصرت رواية هذا الأمر بالخوارج، وبأبي مريم الذي يروي عنه الطبري؟! ولماذا؟! ولماذا؟!!

### أسود النهار ورهبان الليل:

ويروي الخوارج أيضاً: أنه لما فقد علي «عليه السلام» تلك الأصوات بالليل كأنها دوي النحل، قال: أين أسود النهار، رهبان الليل؟!

قالوا له: قتلناهم يوم النهر (1).

### ونقول:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما يتحدث عن رهبان الليل أسود النهار، لا يقصد بكلامه أولئك الذين روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنهم يقرأون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم، وقد مرقوا من دين الإسلام مروق السهم من الرمية، ولا يقصد الذين وصفهم هو بأنهم أخفاء الهام، سفهاء الأحلام.. والذين يقول الله تعالى عنهم: (قُلْ هَلْ تُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (2).

والذين يقول عنهم: إن الشيطان غرهم، وأنفس بالسوء أمارة و.. و.. إلخ..

بل يقصد الذين قال عنهم: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟! أين عمار؟! وأين ابن التيهان؟! وأين ذو

(1) العقود الفضية ص 67.

(2) الآيتان 103 و 104 من سورة الكهف.

الشهادتين؟! وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النية، وأبردوا برؤوسهم إلى الفجرة؟! (ثم أطال البكاء، ثم قال:) أوّه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، وأحيوا السنة، وأماتوا البدعة. دعوا للجهاد، فأجابوا. وثقوا بالقائد فاتبعوه»(1).

فلا يعتد بمن أساء الأدب، من بعض الخوارج، وقال له «عليه السلام»: «قتلناهم يوم النهر»، فقد تعودنا جرأتهم عليه، وأذاهم له، وحلمه «عليه السلام» عنهم..

**الخوارج يكتبون على علي × :**

**ويحرص الخوارج على ادعاء:**

- 1 - أن علياً «عليه السلام» قد ندم على قتله أهل النهروان، بل تقدم أنهم يزعمون: أنه حاول أن يخدع الناس في أمر ذي الثدية.. وزعموا: أن ندمه قد بدأ لحظة فراغه من قتلهم(2).
- 2 - وزعموا أيضاً: أنه لما وجد في رحال أهل النهروان أربعة آلاف مصحف بكى، حتى كادت تخرج نفسه، وادّعوا: أنه دخل على

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص130 و 131 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص102 ومصادر نهج البلاغة ج2 ص450 و 451 عن ربيع الأبرار.

(2) العقود الفضية ص60.

ابنته أم كلثوم، فهنأته بالظفر بهم، فقال «عليه السلام» أصبح أبوك من أهل النار، إن لم يرحمه الله(1).

ورروا عن قنبر مولى علي «عليه السلام»، أنه قال: تحولت أنا وعلي «عليه السلام» إلى النهر بعد القتال، فانكب طويلاً يبكي، فقال(2): ما يبكيك؟!

فقال: ويحك، صرنا هنا خيار هذه الأمة، وقرأها.

فقلت: إي والله، فابك.

فبكي طويلاً، ثم قال: جدعت أنفي، وشفيت نفسي(3).

3 - وقالوا أيضاً: تلقى الحسن بن علي «عليه السلام» أباه حين دخل الكوفة، فقال: يا أبت، أقتلت القوم؟!

قال: نعم.

قال: لا يرى قاتلهم الجنة.

قال: ليت أني أدخلها، ولو حبواً(4).

ونقول:

(1) العقود الفضية ص 67.

(2) لعل الصحيح: فقلت.

(3) العقود الفضية ص 68.

(4) العقود الفضية ص 67.

لا نريد أن نرهق القارئ بتفنيد هذه النصوص وبيان كذبها، ومناقضتها للنصوص المتواترة، التي لا يمكن إنكارها، وإنما نكتفي بالإلماح إلى بعض من ذلك بصورة سريعة وعابرة، على النحو التالي:

1 - لو كان «عليه السلام» قد ندم على قتل أهل النهروان لكف سيفه عن بقاياهم الذين كانوا يخرجون عليه بالمئات والألوف بعد ذلك، فقد خرجوا عليه بعد النهروان سبع خرجات، وكان «عليه السلام» يقتل كلَّ أو جلَّ من يخرج عليه منهم في كل مرة..

2 - إنه «عليه السلام» قسيم الجنة والنار، وقد بشره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجنة مرات كثيرة، فكيف يحكم على نفسه بدخول النار، ويحكم عليه ولده بأنه لا يرى الجنة إن لم يرحمه الله، ثم يتمنى هو دخول الجنة، ولو حبواً؟!!

3 - إنه «عليه السلام» لم يجهز على عمرو بن عبد ود حين طرحه يوم الخندق، لأنه أساء إليه، فأراد «عليه السلام» أن يبرد غضبه حتى يكون قتله له خالصاً لله تعالى، فما الذي غيَّره حتى صار يبحث عن شفاء نفسه، ولو بجذع أنفه؟!!

4 - إنه «عليه السلام» مطهر ومعصوم بنص آية التطهير، وحديث الكساء، وبغير ذلك من شواهد وأدلة قاطعة، فكيف يرتكب هذا الذنب العظيم، ويذبح خيار الأمة وقراءها، طلباً لشفاء نفسه؟!!

5 - هل وجود المصاحف في رحال الخوارج بعد قتلهم يدل على

أنهم على الهدى؟!!

فإن إبليس - فيما يقال - قد عبد الله ستة آلاف سنة(1)، وقيل: سجد سجدة واحدة دامت أربعة آلاف سنة(2)، ثم طرده الله تعالى من رحمته حين استكبر عن سجدة واحدة، فلماذا لا يكون الخوارج من أهل النار، وهم قد أفسدوا في الأرض، وقتلوا الأبرار، ونكثوا البيعة، وخرجوا على إمامهم، إلى غير ذلك مما عرفناه وقرأناه؟!!

9 - ألا يعد ندمه «عليه السلام» على قتلهم رداً على الله ورسوله الذي عهد إليه بقتالهم وقتلهم، وألا يعد تكذيباً لقول الرسول «صلى الله عليه وآله» فيهم: إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

10 - ولماذا لم ينه الإمام الحسن أباه «عليهما السلام» عن قتلهم

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 137 الخطبة القاصعة رقم 192 وبحار الأنوار ج 14 ص 465 وج 60 ص 214 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 131 وشرح أصول الكافي ج 9 ص 322 وميزان الحكمة ج 2 ص 1450 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 407 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 3 ص 43 وج 7 ص 77 وج 9 ص 279 وراجع: تفسير العياشي ج 2 ص 241 والبرهان ج 2 ص 328 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 471 وج 3 ص 14.

(2) راجع: الإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 368 وبحار الأنوار ج 27 ص 175 وج 60 ص 235 وج 65 ص 265 وج 90 ص 110 ومستدرك سفينة البحار ج 4 ص 466 والإثنا عشرية للحر العاملي ص 163.

قبل أن يقتلهم، ولو من باب النهي عن المنكر..

11 - إذا كان يبحث عن شفاء نفسه، والتنفيس عن حقه، فلماذا كان يعظمهم ويحتج عليهم، ويظهر لهم المعجزات، ويخبرهم بالمغيبات، ويسعى لإقناعهم بالعودة عما عقدوا العزم عليه؟!

12 - إذا كانوا هم الذين أصروا على قتاله، ولم يتراجعوا عن ذلك قيد شعرة، فما ذنبه هو؟! وهل من يدافع عن نفسه، ويسعى في دفع المفسدين في الأرض عن إفسادهم، أو يجازي القاتل بما يستحقه من قصاص، ويجري حكم الله فيه، هل يستحق دخول النار بذلك؟!

13 - لو كان قد خدع الناس في أمر ذي الثدية، فهل خدعهم حين كان يخبرهم بموضع قتلهم، وبعدد من يقتل، وعدد من يفلت، وبعدد عبورهم الجسر، وغير ذلك؟! وكيف يفسرون وصفه لذي الثدية، وإخباره حتى بعدد الشعرات التي على يده، وبلونها ولونه. وبغير ذلك مما مر معنا؟!

## الفصل الثامن:

أحداث في طريق العودة..



رد الشمس لعللي بروايتة x:

قال المجلسي «رحمه الله»: عن محمد بن العباس، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن عبد الله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي المقدام، عن جويرية بن مسهر، قال:

أقبلنا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد قتل الخوارج، حتى إذا صرنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونزل الناس فقال: أيها الناس! إن هذه أرض ملعونة، وقد عذبت من الدهر ثلاث مرات، وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لنبي، ولا وصي نبي أن يصلي بها. فأمر الناس، فمالوا إلى جنبي الطريق يصلون، وركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمضى عليها.

قال جويرية: فقلت: والله! لأتبعن أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولأقلدنه صلاتي اليوم.

قال: فمضيت خلفه، فوالله ما جزنا جسر سوراء حتى غابت

الشمس،

قال: فسببته، أو هممت أن أسبه.

قال: فالتفت وقال: جويرية!

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فنزل ناحية، فتوضأ، ثم قام فنطق بكلام لا أحسبه إلا بالعبرانية، ثم نادى بالصلاة.

قال: فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير، فصلى العصر، وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان.

فالتفت إلي فقال: يا جويرية! إن الله تبارك وتعالى يقول: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)(1) وإنني سألت الله سبحانه باسمه العظيم فرد علي الشمس(2).

(1) الآية 74 من سورة الواقعة.

(2) بحار الأنوار ج33 ص439 و 440 وج41 ص168 وج80 ص317  
وراجع: الخرائج والجرائح ج1 ص224 ومستدرك الوسائل ج3 ص35  
وبصائر الدرجات ص317 - 319 وعلل الشرائع ص352 ووسائل  
الشيعة ج3 ص468 وروضة الكافي ص30 والفضائل لشاذان ص68  
ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص19 وتأويل الآيات ج2 ص270 وثاقب  
المناقب ص219 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص203 وإثبات الهداة ج4  
ص484 و 445 و ج5 ص14 وينايع المودة ص318 ودر بحر المناقب

## ونقول:

## رد الشمس منحة إلهية:

تقدم معنا حديث رد الشمس لعلي «عليه السلام» في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي مواضع أخرى. وقد استوفينا الكلام فيه في جزء سابق، بنحو يتناسب مع خطة تأليف هذا الكتاب، وهذه الحادثة قد جاءت هنا لتربط على قلوب المؤمنين، ولتزيل أي ريب أو شك، وشبهة عن ضعف النفوس، فإن الناس كانوا بحاجة إلى ذلك بعد ما أبيد أهل النهروان على بكرة أبيهم، وكانوا أربعة آلاف.. بل قيل أكثر من ذلك، إلى عشرة آلاف، ولم يفلت منهم عشرة، ولم يقتل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» عشرة..

ومع أنه «عليه السلام» قد أظهر لهم في خصوص حديث النهروان عشرات الكرامات والمعجزات، والدلالات، ومع أنها كلها غير قابلة للخدشة، ولا يمكن أن يتطرق إليها أدنى ريب. إلا أنها تبقى أمراً كان هو الذي يتولى التوطئة له، وإظهاره وتجسيده..

ولكن حادثة رد الشمس لا يمكن تفسيرها إلا على أنها تصرف إلهي يهدف إلى إظهار الكرامة له «عليه السلام» عنده تعالى.. فلا

---

ص117 و 118 وإحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص537 وعن صفين للمنقري ص152 وغاية المرام (ط حجرية) ص631 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» ص24 وعيون المعجزات ص7.

مجال للإحالة عليه ولو بكلمة، أو بحرف. بل هي محض هدية مصدرها الغيب أتحفه الله بها.. على سبيل التشريف والتكريم من جهة، وعلى سبيل الرفق بالناس والرحمة لهم من جهة أخرى.

### رد الشمس مرتبط بالإمامة:

وقد كان الإبتلاء بحضور وقت الصلاة في تلك الأرض الملعونة تدبيراً إلهياً عميق المغزى. لأن الصلاة المفروضة هي تكليف يتوجه إلى كل فرد، فإذا وجد حاجز من أدائها للقائد الأعظم لذلك الجمع، فإن جميع الأفراد سوف يعينهم هذا الأمر، وينشغل بالهم به، وتتغير أحوالهم، وسيراقبون ليس الساعات فقط، بل الدقائق والثواني واللحظات بحساسية متناهية، وبتوتر شديد، ليروا كيف سيواجه هذا القائد الأعظم هذا الأمر الذي يرتبط بأعظم ركن في هذه الشريعة.. فهل سيصلي؟! وكيف وأين سيصلي؟!

وإذا كان المانع قد توجه لشخص علي «عليه السلام» بعد فراغه من قتل أمة كبيرة من الناس المعروفين بكثرة صلاتهم وعبادتهم، فإن بلابل الصدور ستحوم حول علي أيضاً، وتتربص به المفاجآت، وتراقبه بكثير من العناية والدقة، بل والتوتر أيضاً، وسيزداد هذا التوتر كلما اقتربت الشمس من المغيب، وستكون لحظة مغيبها بمثابة حدث شديد الهول تحبس معه الأنفاس، وتطيش الأبواب، ولا ندري كيف تنقلب القلوب. وكيف سيكون الحال والمآل..

وغابت الشمس، ولكن الكارثة لم تقع، بل كانت الفرحة الكبرى،

والبلم الشافي، لأن علياً «عليه السلام» يتوضأ، ويتمتم بكلمات، فتعود الشمس من مغربها، وتتنصب في الأفق من جديد، حتى إذا أكمل علي «عليه السلام» صلاته، عادت من حيث جاءت..

وكان الشمس موكلة بصلاة علي «عليه السلام»، ومرهونة بها، وقد قضت بعودتها ما فاتها من صلاته «عليه السلام»، بل لعل المجموعة الشمسية وكل ما في السماء الدنيا إلى السماء السابعة كان موكلاً بهذه الصلاة، مشتاقاً إليها، ولا يقر له قرار بدونها..

ومن يدري، فلعل النظام الكوني كله قد تناغم مع الشمس في عودتها لقضاء ما فاتها من صلاة علي «عليه السلام»..

#### مسجد براثا:

1 - عن المفيد، عن علي بن بلال، عن إسماعيل بن علي الخراعي، عن أبيه، عن عيسى بن حميد الطائي، عن أبيه، عن علي بن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه<sup>(1)</sup>، قال: سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء، فسيروا وجنبوا عنها، فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة.

فلما أتى موضعاً من أرضها، قال: ما هذه الأرض؟!!

(1) ليس المقصود به السجاد «عليه السلام».

قيل: أرض نجرا.

فقال «عليه السلام»: أرض سباح، جنبوا ويمنوا.

فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة، فقال له: يا راهب! أنزل ها هنا؟!!

فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك.

قال «عليه السلام»: ولم؟!!

قال: لأنه لا ينزلها إلا نبي، أو وصي نبي بجيشه، يقاتل في سبيل الله عز وجل، هكذا نجد في كتبنا.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأنا وصي سيد الأنبياء، وسيد الأوصياء.

فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش، ووصي محمد «صلى الله عليه وآله».

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا ذلك.

فنزل الراهب إليه، فقال: خذ علي شرائع الإسلام إني وجدت في الإنجيل نعتك، وأنتك تنزل أرض براثا بيت مريم، وأرض عيسى «عليه السلام».

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قف، ولا تخبرنا بشيء.

ثم أتى موضعاً، فقال: الكزوا هذا.

فلكزه برجله «عليه السلام»، فانبجست عين خراة، فقال: هذه

عين مريم التي انبعث (1) لها.

ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً.

فكشف، فإذا بصخرة بيضاء، فقال «عليه السلام»: على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلت هاهنا.

فنصب أمير المؤمنين «عليه السلام» الصخرة، وصلى إليها، وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة.

ثم قال «عليه السلام»: أرض براتنا! هذا بيت مريم «عليها السلام» هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء.

قال أبو جعفر، محمد بن علي «عليه السلام»: ولقد وجدنا أنه صلى فيه إبراهيم قبل عيسى «عليه السلام» (2).

ورواه ابن شهر آشوب، عن الحارث الأعور، وعمرو بن حريث، وأبي أيوب.

(1) لعل الصحيح: نبعت.

(2) بحار الأنوار ج 33 ص 437 و 438 وج 14 ص 211 وج 99 ص 27 و 28 - 30 وراجع: ج 38 ص 50 والخرائج والجرائح ج 2 ص 553 و 554 وراجع: إثبات الهداة ج 3 ص 465 ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص 81 وعن مستدرك الوسائل ج 2 ص 429 وعن كشف الغمة ج 1 ص 393 والأمالى للطوسي ج 1 ص 202 و (ط أخرى) ص 124 و 125 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 100.

ورواه ابن المشهدي عن أنس أيضاً.

2 - وروى جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: صلى بنا علي «عليه السلام» ببرائثا بعد رجوعه من قتال الشراة، ونحن زهاء مائة ألف رجل.

فنزل نصراني من صومعته، فقال: أين عميد هذا الجيش؟! فقلنا: هذا.

فأقبل إليه، فسلم عليه. ثم قال: يا سيدي أنت نبي؟! قال «عليه السلام»: لا، النبي سيدي قد مات.

قال: فأنت وصي نبي؟! قال «عليه السلام»: نعم.

ثم قال «عليه السلام»: اجلس. كيف سألت عن هذا؟! قال: إنما بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع، وهو براءثا،

وقرأت في الكتب المنزلة أنه لا يصلي في هذا الموضع بذا الجمع إلا نبي أو وصي نبي، وقد جئت أن أسلم، فأسلم وخرج معنا إلى الكوفة.

فقال له علي «عليه السلام»: فمن صلى هاهنا؟! قال «عليه السلام»: صلى عيسى بن مريم، وأمه.

فقال له «عليه السلام»: فأفئك من صلى هاهنا؟! قال: نعم.

قال: الخليل «عليه السلام» (1).

**ونقول:**

لاحظ ما يلي:

**إيضاحات:**

النجر: العطش الشديد. وأرض نجرأ: يابسة لا ماء فيها.

الزوراء: قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط، مادة زور: الزوراء: دجلة بغداد، لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة (أي مائلة) عن الخارجة البعيدة من الأراضي. والزور: الميلان والإعوجاج. لكزه: ضربه بجماع كفه. ويطلق أيضاً على الضرب بالرجل

انبجس: تفجر.

البرث: الأرض السهلة اللينة..

**مسجد براثا للشيعة:**

وبراثا: محلة كانت في طرف بغداد، في قبلة الكرخ، وجنوبي باب محول.

قال ياقوت الحموي: وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة، وقد

---

(1) بحار الأنوار ج 33 ص 438 و 439 ج 99 ص 26 و 27 و 30 عن كشف اليقين لابن طاووس (ط النجف) ص 156 و 157 والذكرى للشهيد ص 155.

خرب عن آخره. وكذلك المحلة، لم يبق لها أثر.

وذكر ياقوت أيضاً: أن الراضي العباسي كبس مسجد براثا، لأن الشيعة كانوا يجتمعون فيه (ويسبون الصحابة)(1)، فأخذ من وجده فيه، وحبسهم، وهدمه حتى سوى به الأرض.

وأنهى الشيعة خبره إلى بجكم الماكاني أمير الأمراء ببغداد، فأمر بإعادة بنائه، وتوسيعه، وإحكامه.

وكانت براثا قبل بناء بغداد قرية يزعمون أن علياً «عليه السلام» مر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان. وصلى في موضع من الجامع المذكور.

ونذكر: أنه دخل حماماً كان في هذه القرية.

وقيل: بل الحمام كان بالعتيقة، محلة ببغداد خربت أيضاً.

وذكر ياقوت الحموي أيضاً: أنه في سنة 329 هـ. فرغ من جامع براثا، وأقيمت فيه الخطبة(2).

**هناك في كلام الحموي:**

**ونقول:**

إن في كلام الحموي تجنياً ظاهراً على الشيعة، لأنهم لا يسبون

(1) راجع: معجم البلدان لياقوت الحموي ج 1 ص 363.

(2) راجع: معجم البلدان لياقوت الحموي ج 1 ص 362.

الصحابة، ولكنهم ربما ينتقدون أفعال بعضهم.

ولكن لا يروق هذا الأمر لبعض الناس، فيتهمونهم بأنهم يسبونهم، لأنهم يريدون منعهم من ذكر هذه الأمور عنهم، بالرغم من أنهم إنما يذكرون ما يجدونه مثبتاً في كتب ومصادر نفس هذا الفريق الذي يتهمهم بهذه التهمة الباطلة..

### ملاحظة على حديث الراهب:

قال المعلق على بحار الأنوار: «قلت: حديث الراهب والصخرة مما روته الخاصة والعامة، وذكره أهل السير، ونظمه الشعراء، وأورده الحميري في قصيدته البائية المذهبة»<sup>(1)</sup>.

ولكن الذي أشار إليه الحميري في قصيدته المذهبة هو الحديث الذي يقال: إنه جرى لأمر المؤمنين «عليه السلام» مع الراهب، حين كان «عليه السلام» في طريقه إلى صفين، وقد تقدم معنا في هذا الكتاب. وهو يشبه هذا الحديث أيضاً، لأن علياً «عليه السلام» أمر بقلع الصخرة في ذلك المسير أيضاً، فظهرت العين، وسقى جيشه من مائها، وأسلم الراهب..

ولعل هذا الأمر قد اتفق له «عليه السلام» مرتين: مرة حين ذهابه إلى صفين، ومرة حين رجوعه من حرب الخوارج في

(1) هامش بحار الأنوار ج 14 ص 212.

النهران.. (1).

**إتمام الصلاة في برائث:**

قال العلامة المجلسي «رحمه الله» معلقاً على الرواية المتقدمة: «يستفاد من هذا الخبر: أن هذا الموضع أيضاً من المواضع التي يجوز للمسافر إتمام الصلاة فيها، ولم يقل به أحد». انتهى (2).

**أصلع قریش وعین مریم:**

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الراهب وصف علياً «عليه السلام» بأصلع قریش،

ويبدو لنا: أن الصحيح هو التعبير بأنزع قریش.

وقد ذكرنا: أن علياً «عليه السلام» كان أنزعاً، وليس أصلعاً.

والأنزع: هو الذي أقبلت ناصيته، وانحسر الشعر من جانبي جبهته.

وقد يطلق الأصلع على الأنزع.

ومهما يكن من أمر، فقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب، في فصل: «الأنزع البطين».

**ويبدو:** أن ذلك الراهب كان قد وجد هذا الوصف في بعض

(1) راجع: بحار الأنوار ج 10 ص 67 - 69.

(2) بحار الأنوار ج 99 ص 28.

الكتب القديمة عنده، والتي تكون عادة بغير اللغة العربية، ولعلها لم تسجل هذا الأمر بصورة دقيقة. إما لقصور في تلك اللغات نفسها، أو لعل ترجمة الراهب لها كانت تعوزها الدقة. وربما كان السبب هو التقارب الشديد بين معنى الأنزع والأصلع.. وربما.. وربما..

### لا تقل شيئاً:

إنه بالرغم من أن الراهب قد عرّف أمير المؤمنين «عليه السلام» بصفته الجسدية، وبعلامات أخرى وجدها مطابقة لما قرأه في كتبه، ولكنه «عليه السلام» يأمره بأن لا يخبره بشيء، لكي يظهر له أمراً لا يمكن لأحد أن يعرفه إلا بدلالة ربانية يختص الله تعالى بها من يشاء.

ثم بادر «عليه السلام» إلى إظهار تلك الأمور التي عرف مكانها بدقة، ومن دون أدنى تحير، أو تكلف، أو تأمل وتفكير.

ثم سمى تلك العين باسمها، ودل الناس على خصوصيتها التي لا تعرف إلا بتعليم أيضاً..

ثم إنه «عليه السلام» أمعن في إظهار البيّنات والدلالات، حين أمر أصحابه بكشف الصخرة التي تقع على عمق سبعة عشرة ذراعاً، مصرحاً لهم بمقدار هذا العمق قبل أن يباشروا حفر الموضع.

### صلاته × إلى الصخرة:

وأما قول الرواية: إنه «عليه السلام» نصب الصخرة، وصلى

إليها، فالمراد: أنه جعلها باتجاه القبلة إلى جهة الكعبة، ثم صلى..  
ثم حدد «عليه السلام» الموضع المقدس الذي صلى فيه الأنبياء،  
وجعله حرماً وحدده بواسطة الخيمة التي وضعها هناك..  
ولكننا لم نفهم المراد من كلمة «على دعوة» في قوله: «وجعل  
الحرم في خيمة من الموضع على دعوة».  
وربما تكون كلمة «دعوة» مصحفة عن كلمة «ربوة» مثلاً، أو  
نحو ذلك.. والله هو العالم.

### زهاء مئة ألف:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الذين صلوا خلف علي «عليه  
السلام» في ذلك الموضع كانوا زهاء مئة ألف..

### ونقول:

إن من المعلوم: أن الجيش الذي ذهب إلى قتال الخوارج لم يكن  
عدده يزيد على أربعة، أو خمسة آلاف رجل.. ولنفترض أنه أكثر من  
ذلك، فإنه لا يصل لا إلى نصف، ولا إلى ربع، ولا إلى خمس المئة  
ألف.. لأن الناس كانوا قد تخاذلوا، ولم يخرجوا إلى معسكرهم  
بالنخيلة، وحتى لو خرجوا بأجمعهم، فإنهم لا يصلون إلى هذا العدد.

بل إنه «عليه السلام» حين خاض حرب صفين، والناس كانوا قد  
نشطوا للمسير معه لأكثر من سبب، لم يصل جيشه إلى مئة ألف، بل  
لعله لم يبلغ الخمسين أو الستين ألفاً - كما قيل -.. وقد قتل منهم

عشرات الألوف في صفين..

وقد أظهروا المزيد من التثاقل عن معاودة التجمع للمسير إلى الشام، ولم يجتمع منهم إلا اليسير، بعد الإصرار الشديد، وإظهار الإنزعاج منهم..

وكيف يمكن أن نصدق: أنه كان معه «عليه السلام» مئة ألف رجل في مسجد براثا؟! وهو عائد من الحرب، ولم يصل بعد إلى الكوفة؟!!

إلا أن يقال: لعل الناس تجمعوا إليه من القرى والبلاد القريبة والبعيدة، كالمدائن وغيرها.. فإن الناس بعد تحقيق نصر كبير كالذي جرى في النهروان تتغير أحوالهم، وتتبلور لديهم الرغبة في الحضور والمشاركة.. ولكن لماذا يجتمعون، وهو لم يطلب منهم ذلك؟!!

بل لعل الأصوب، أو الأولى أن يقال: إن الذين شاركوا في النهروان قد سارع الكثيرون منهم إلى العودة إلى عيالهم وأبنائهم. ثم يقال: إن الذين صلوا معه في ذلك المكان هم ألف رجل.

أما الباقيون، فلعلهم قد تفرقوا في حاجاتهم، أو بقوا في مضاربهم للإستراحة، أو لغير ذلك من أمور.

وتكون كلمة «مئة» مقحمة في النص سهواً، أو عمداً لحاجة في النفس قضيت.



## الباب الثالث:

### الخوارج بعد النهروان..

الفصل الأول: خوارج على علي x بعد النهروان..  
الفصل الثاني: الخريّيت بن راشد وحديث مصقلة..  
نصوص وآثار..  
الفصل الثالث: وقفات مع حديث الخريّيت..  
الفصل الرابع: وقفات مع حديث مصقلة..  
الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة حول  
الخوارج..



## الفصل الأول:

خوارج على علي ×  
بعد النهروان..



## خوارج آخرون في عهد علي x :

كان للخوارج بعد النهروان خمس خرجات(1) أخرى، كما قاله أبو الحسن الأشعري، بل كانت لهم سبع خرجات، أي بإضافة ما جرى في النخيلة.. وبإضافة خروجهم مع الخريت بن راشد. وخرجاتهم هي التالية:

### 1 - أشرس بن عوف:

لما قتل أهل النهروان، خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي «عليه السلام» بالديسكرة في مائتين، ثم سار إلى الأنبار، فوجه إليه علي «عليه السلام» الأبرش بن حسان في ثلاثمائة، فواقعه، فقتل أشرس في ربيع الآخرة سنة ثمان وثلثين(2).

---

(1) مقالات الإسلاميين ج1 ص195 و 196.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص372 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي)

## 2 - هلال بن علفة:

ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب، ومعه أخوه مجالد، فأتى ماسبدان<sup>(1)</sup>، فوجه إليه علي «عليه السلام» معقل بن قيس الرياحي، فقتله وقتل أصحابه، وهم أكثر من مائتين.

وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين<sup>(2)</sup>.

## 3 - الأشهب بن بشر:

ثم خرج الأشهب بن بشر، وقيل: الأشعث، وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلاً، فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه، فصلى عليهم ودفن من قدر عليه. فوجه إليهم علي «عليه السلام» جارية بن قدامة السعدي. وقيل: حجر بن عدي.

فاقبل إليهم الأشهب، فاقتتلا بجرجرايا<sup>(3)</sup>، من أرض جوحى<sup>(4)</sup>،

---

(1) ماسبدان: مدينة من مدن يشكوه في محافظة لرستان الإيرانية، ويقال لها: سيروان، وهي مدينة قديمة بن جبال وشعاب، وفيها عيون ماء تجري وسط المدينة. راجع: تقويم البلدان ص415.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص372.

(3) جرجرايا: بلدة قريبة من دجلة بين بغداد وواسط، من توابع النهروان السفلى راجع: تقويم البلدان ص305.

(4) جوحا: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان راجع: (معجم البلدان ج2 ص179).

فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين(1).

#### 4 - سعيد بن قفل:

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي، من تيم الله بن ثعلبة، في رجب بالبندنجين، ومعه مائتا رجل، فأتى درزجان(2)، وهي من المدائن علي فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود، فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين(3).

#### 5 - أبو مريم السعدي:

ثم خرج أبو مريم السعدي التيمي فأتى شهرزور(4). وأكثر من معه من الموالي. وقيل: لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل. وقيل: أربعمئة.

- 
- (1) الكامل في التاريخ ج 3 ص 372 و 373 وأنساب الأشراف ج 2 ص 483.
  - (2) كذا في المصدر، والصحيح كما في أنساب الأشراف ومعجم البلدان «درزجان»: وهي قرية كبيرة تحت بغداد على ثلاثة فراسخ منها على دجلة بالجانب الغربي، وهي من مدن الأكاسرة، وإحدى المدائن السبع. وأصل اسمها درزبندان. راجع: معجم البلدان ج 2 ص 413.
  - (3) الكامل في التاريخ ج 3 ص 373.
  - (4) شهرزور: بلدة بين الموصل وهمدان بناها زور بن الضحاك، وتعرف اليوم باسم زوردر جنوب شرقي السليمانية قرب الحدود العراقية الإيرانية. راجع: تقويم البلدان ص 413.

وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة.  
 فأرسل إليه علي «عليه السلام» يدعوه إلى بيعته، ودخول  
 الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب.  
 فبعث إليه علي «عليه السلام» شريح بن هانئ في سبعمئة،  
 فحمل الخوارج على شريح وأصحابه، فانكشفوا.  
 وبقي شريح في مائتين، فانحاز في قرية، فتراجع إليه بعض  
 أصحابه، ودخل الباقون الكوفة.  
 فخرج علي «عليه السلام» بنفسه، وقدم بين يديه جارية بن قدامة  
 السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة علي «عليه السلام»، وحذرهم  
 القتل، فلم يجيبوا.  
 ولحقهم علي «عليه السلام» أيضاً، فدعاهم، فأبوا عليه وعلى  
 أصحابه، فقتلهم أصحاب علي «عليه السلام»، ولم يسلم منهم غير  
 خمسين رجلاً، استأمنوا، فأمنهم<sup>(1)</sup>.

---

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص373 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمدي)  
 ج3 ص239 - 248 و (ط أخرى) ج2 ص486 ونسب قريش لمصعب  
 الزبيري ص486 وبحار الأنوار (ط قديم) ج8 ص570.

### علي × يعالج جرحى الخوارج:

وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى فأمر علي بإدخالهم الكوفة، ومدّواواتهم حتى برئوا.  
وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين.  
وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجراتهم قاربوا الكوفة (1).

### 6 - خوارج النخيلة:

#### قال المبرد:

لما أراد علي المسير إلى خوارج النخيلة بعد النهروان - وكانوا قد فارقوا عبد الله بن وهب، ولجأوا وأقاموا بالكوفة معتزلين، ثم ندموا على فراق إخوانهم، فسار «عليه السلام» إليهم.  
فقال له عفيف بن قيس: يا أمير المؤمنين، لا تخرج في هذه الساعة؛ فإنها ساعة نحس لعدوك عليك.  
فقال «عليه السلام» له: توكلت على الله وحده، وعصيت رأي كل متكهنّ. أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان؟!!

---

(1) الكامل في التاريخ ج 3 ص 373 وأنساب الأشراف ج 3 ص 239 - 248 و (ط أخرى) ج 2 ص 486 ونسب قريش لمصعب الزبير ص 486 وبحار الأنوار (ط قديم) ج 8 ص 570.

(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (1).

ثم سار إليهم فطحنهم جميعاً، لم يفلت منهم إلا خمسة، منهم المستورد، وابن جوين الطائي، وفروة بن شريك الأشجعي.

وهم الذين ذكرهم الحسن البصري، فقال: دعاهم إلى دين الله، فجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصرخوا، واستكبروا استكباراً.

فسار إليهم أبو حسن فطحنهم طحناً.

وفيهما يقول عمران بن حطان:

إني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق  
الخراب

وقال الحميري يعارض هذا المذهب:

إني أدين بما دان الوصي به يوم النخيلة من قتل المحلينا  
وبالذي دان يوم النهر دنت به وشاركت كفه كفي بصفينا  
تلك الدماء معاً يا رب في عنقي ومثلها فاسقتي آمين  
آمين (2).

ونقول:

(1) الآية 56 من سورة هود.

(2) الكامل في الأدب المبرد ج 7 ص 175.

لا حاجة إلى التعليق على هذه الحوادث.. إلا أنها تعرفنا على طرفٍ من معاناة أمير المؤمنين «عليه السلام» مع هؤلاء القوم.. ليتأكد لنا بلسان الوقائع والأحداث أنه «عليه السلام» قد حقق معجزة في سياسة الإسلام للعباد، حيث استطاع أن يحارب أعداءه بأعدائه، مع مراعاته سنن العدل والإنصاف، وانسجامه مع أحكام الشريعة والدين، وقد انتصر في جميع حروبه، وفي جميع سياساته.

وهذا دليل عملي ينطق بلسان فصيح، وبالقول الصريح: إنه سيد الأوصياء، ووارث الأنبياء، وأحكم الحكماء. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

## 7 - الخريت بن راشد:

نتحدث عنه في الفصل التالي وما بعده إن شاء الله.



## الفصل الثاني:

الخريّيت بن راشد وحديث مصقلة..  
نصوص وآثار..



### الخريّيت بن راشد:

كانت حركت الخرييت بن راشد في خروجه على علي «عليه السلام» هي الخرجة السابعة من خرجات الخوارج على علي «عليه السلام» بعد النهروان.

### قالوا:

1 - لما وقعت الحكومة فارق [الخرييت] علياً «عليه السلام» إلى بلاد فارس مخالفاً، فأرسل علي «عليه السلام» إليه جيشاً، واستعمل على الجيش معقل بن قيس وزبياد بن خصفة.

فاجتمع مع الخرييت كثير من العرب ونصارى كانوا تحت الجزية، فأمر العرب بإمساك صدقاتهم، والنصارى بإمساك الجزية. وكان هناك نصارى أسلموا، فلما رأوا الإختلاف ارتدوا وأعانوه.

فلقوا أصحاب علي «عليه السلام» وقاتلهم، فنصب زياد بن خصفة راية أمان، وأمر منادياً فنادى: من لحق بهذه الراية

فله الأمان، فانصرف إليها كثير من أصحاب الخريت، فانهزم الخريت فقتل (1).

2 - وقال اليعقوبي: خرج الخريت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه، فجردوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الخريت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يمرون ببلد إلا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سيف عمان.

وكان علي «عليه السلام» قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وارتدوا عن الإسلام، فوجه علي «عليه السلام» معقل بن قيس الرياحي إلى البلد [عمان]، فقتل الخريت بن راشد وأصحابه، وسبى بني ناجية (2).

3 - ويذكر الثعفي والطبري وابن الأثير، حديث الخريت الناجي بالتفصيل، فرأينا أن نورد حديثهم، معتمدين في الأكثر على ابن الأثير، لأنه اختصر نص الطبري على طريقته، وقد حاولنا أن نتصرف ببعض العبارات للتوضيح والبيان أيضاً، فلاحظ ذلك.

### فقد قالوا:

شهد الخريت بن راشد الناجي وأصحابه مع علي «عليه السلام»

(1) أسد الغابة ج 2 ص 165 ح 1437 والإصابة ج 2 ص 235 ح 2249 إلى

«مع علي» عن سيف بن عمر ومن «فلما وقعت...» عن الزبير بن بكار .

(2) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 194 وراجع: مروج الذهب ج 2 ص 418.

صفين [والجمل في ثلاث مئة من بني ناجية، وأقاموا معه في الكوفة سنة 38 هـ.] فجاء الخريت إلى علي «عليه السلام» في ثلاثين راكباً من أصحابه، يمشي بينهم حتى قام بين يدي علي «عليه السلام»، فقال له:

والله لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإنني غداً لمفارق لك.

قال: وذاك بعد وقعة صفين، وبعد تحكيم الحكمين.

فقال له علي «عليه السلام»: ثكلتك أمك! إذن تنتقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك! أخبرني لم تفعل ذلك؟!

قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جد الجد، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك راد، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين.

فقال له علي «عليه السلام»: ويحك! هلم إلي أدارسك الكتاب، وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عم وبه جاهل.

فقال الخريت: فإنني عائد عليك غداً.

فقال له علي «عليه السلام»: اغد ولا يستهوينك الشيطان، ولا يتقحم بك رأي السوء، ولا يستخفك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله لئن استرشدتني واستتصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل الرشاد.

فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً، وكان لي من بني عمه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمه في ذلك، فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين، وما رد عليه، وأمر ابن عمه ذلك أن يشتد بلسانه عليه، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقامت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي «عليه السلام»، فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين وما رد عليه.

ثم قال لهم: يا هؤلاء! إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقت علي أن أرجع إليه من غد، ولا أراني إلا مفارقه.

فقال أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإن أذاك بأمر تعرفه قبلت منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه!

فقال لهم: نعم ما رأيتم.

قال: ثم استأذنت عليهم فأذنوا لي.

[فقلت: أنشدك الله أن تفارق أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين، وأن تجعل علي نفسك سبيلاً، وأن تقتل من أرى من عشيرتك، إن علياً «عليه السلام» على الحق.]

قال: فأنا أغدو إليه، فأسمع منه حجته، وأنظر ما يعرض علي به ويذكر، فإن رأيت حقاً ورشداً قبلت، وإن رأيت غياً وجوراً تركت].

فأقبلت على ابن عمه وهو مدرك بن الريان الناجي، وكان من كبراء العرب، فقلت له: إن لك علي حقاً لإخائك وودك، ولحق المسلم على المسلم؛ إن ابن عمك كان منه ما قد ذكر لك، فاخل به، واردد عليه رأيه، وعظم عليه ما أتى، واعلم أنني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته.

فقال: جزاك الله خيراً من أخ؛ فقد نصحت وأشفقت، إن أراد صاحبي فراق أمير المؤمنين فارقتهم وخالفته، وكنت أشد الناس عليه، وأنا بعد خال به، ومشير عليه بطاعة أمير المؤمنين، ومناصحته والإقامة معه، وفي ذلك حظه ورشده.

فقمتم من عنده، وأردت الرجوع إلى علي «عليه السلام» لأعلمه الذي كان، ثم اطمأننت إلى قول صاحبي، فرجعت إلى منزلي فبت به، ثم أصبحت.

فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين «عليه السلام»، فجلست عنده ساعة وأنا أريد أن أحدثه بالذي كان من قوله لي على خلوة، فأطلت الجلوس فلم يزد الناس إلا كثرة، فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إلي برأسه، فأخبرته بما سمعت من الخريت، وما قلت لابن عمه، وما رد علي.

فقال «عليه السلام»: دعه؛ فإن قبل الحق ورجع عرفنا ذلك له وقبلناه منه، وإن أبى طلبناه.

فقلت: يا أمير المؤمنين! فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه؟!!

فقال: إنا لو فعلنا هذا لكل من نتهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراني يسعني الوثوب على الناس، والحبس لهم، وعقوبتهم حتى يظهروا لنا الخلاف.

قال: فسكت عنه، وتنحيت فجلست مع أصحابي، ثم مكثت ما شاء الله معهم، ثم قال لي علي «عليه السلام»: ادن مني فدنوت منه، ثم قال لي مسراً: اذهب إلى منزل الرجل فأعلم لي ما فعل؛ فإنه قل يوم لم يكن يأتيني فيه إلا قبل هذه الساعة.

قال: فأتيت منزله، فإذا ليس في منزله منهم ديار، فدرت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة أخرى من أصحابه، فإذا ليس فيها داع ولا مجيب، فأقبلت إلى علي «عليه السلام»، فقال لي حين رأيته: أأمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟! قلت: بل ظعنوا.

قال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود، أما والله لو قد أشرعت لهم الأسنة، وصبت على هامهم السيوف، لقد ندموا، إن الشيطان قد استهواهم فأضلهم، وهو غداً متبرئ منهم، ومخل عنهم<sup>(1)</sup>.

---

(1) الغارات للثقفى ج 1 ص 332 - 336 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 113 - 116 عن عبد الله بن فقيم نحوه، وعن: أنساب الأشراف ج 3 ص 177 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 392 - 395 وذكر نحوه إلى قوله: قال عبد الله بن قعين في الكامل لابن الاثير ج 3 ص 364 و (ط أخرى) ج 2 ص 417.

ويتابع الثقفي، والطبري، وابن الأثير، والنص للطبري، فيقول:

فقام إليه زياد بن خصفة، فقال يا أمير المؤمنين! إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدهم فنأسى عليهم، فإنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا، وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليه من أهل طاعتك، فأذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك إن شاء الله.

فقال له علي: وهل تدري أين توجه القوم؟!!

فقال: لا ولكني أخرج، فأسال وأتبع الأثر.

فقال له: اخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبي موسى، ثم لا تتوجه حتى يأتيك أمري، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس في جماعة، فإن عمالي ستكتب إلى بذلك، وإن كانوا متفرقين مستخفين، فذلك أخفى لهم، وسأكتب إلى عمالي فيهم.

فكتب نسخة واحدة فأخرجها إلى العمال:

أما بعد، فإن رجالاً خرجوا هراباً، ونظنهم وجهوا نحو بلاد البصرة، فسل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، واكتب إلي بما ينتهي إليك عنهم، والسلام.

فخرج زياد، فأتى داره وجمع أصحابه من بكر بن وائل، وأعلمهم الخبر، فسار معه مائة وثلاثون رجلاً، فقال: حسبي.

ثم سار حتى أتى دير أبي موسى، فنزله يوماً ينتظر أمر علي،

وأتى علياً كتاب من قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أنهم توجهوا نحو نفر (1)، وأنهم قتلوا رجلاً من الدهاقين (2) كان أسلم [اسمه زاذان بن فروخ، وقد قتلوه، لأنه قال لهم: إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» وسيد المسلمين.. وأطلقوا سراح رجل من أهل الذمة].

فأرسل علي إلى زياد يأمره باتباعهم، ويخبره خبرهم، وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً، ويأمره بردهم إليه؛ فإن أبوا ينجزهم (3).

وسير الكتاب مع عبد الله بن وال، فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد، فأذن له، وقال له: إني لأرجو أن تكون من أعواني على الحق، وأنصاري على القوم الظالمين.

قال ابن وال: فوالله ما أحب أن لي بمقالته تلك حمر النعم..

وسار بكتاب علي «عليه السلام» حتى سلمه إلى زياد، فسار في أثرهم حتى أتوا نفر، ففيل: إنهم ساروا نحو جرجرايا، فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمدار (4) وهم نزول قد أقاموا

---

(1) نفر: قرية على نهر النرس من بلاد الفرس راجع: معجم البلدان ج5 ص295.

(2) الدهقان: رئيس القرية، ومقدم التناء، وأصحاب الزراعة، وهو معرب. راجع: النهاية ج2 ص145.

(3) المناجزة في الحرب: المبارزة. وأناجزك: أقاتلك وأخاصمك. راجع: النهاية ج5 ص21.

(4) المدار: مدينة في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان راجع:

يومهم وليلتهم واستراحوا.

فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه وتعبوا، فلما رأوهم ركبوا خيولهم،  
وقال لهم الخريت: أخبروني ما تريدون؟!

فقال له زياد وكان مجرباً رفيقاً: قد ترى ما بنا من التعب، والذي  
جنناك له لا يصلحه الكلام علانية، ولكن ننزل ثم نخلو جميعاً،  
فنتذاكر أمرنا، فإن رأيت ما جنناك به حظاً لنفسك قبلته، وإن رأينا  
فيما نسمع منك أمراً نرجو فيه العافية لم نرده عليك.  
قال: فانزل.

فنزل زياد وأصحابه على ماء هناك، وأكلوا شيئاً، وعلقوا على  
دوابهم. ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم  
[ورأى أصحابه تفرقوا، وتحلقوا حلقاً، فنهاهم عن ذلك خوفاً من  
مباغطة عدوهم لهم] وكانوا قد نزلوا أيضاً، وقال زياد لأصحابه: إن  
عدتنا كعدتهم وأرى أمرنا يصير إلى القتال، فلا تكونوا أعجز  
الفريقين.

وخرج زياد إلى الخريت [بعد أن أمر أصحابه بأن يكونوا رهن  
إشارته، فإذا أشار إليهم، فليأتوه مجتمعين، لا متفرقين].  
ثم دنا من القوم، فسمعهم يقولون: جاءنا القوم وهم كالون  
تعبون، فتركناهم حتى استراحوا!! هذا والله سوء الرأي.

فدعاه زياد، وقال له: ما الذي نقيمت على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعلينا حتى فارقتنا؟!!

فقال: لم أرض صاحبكم إماماً، ولا سيرتكم سيرة، فرأيت أن اعتزل، وأكون مع من يدعو إلى الشورى.

فقال له زياد: وهل يجتمع الناس على رجل يداني صاحبك الذي فارقتَه علماً بالله وسننه وكتابه، مع قرابته من الرسول «صلى الله عليه وآله»، وسابقته في الإسلام؟!!

فقال له: ذلك [ما] أقول لك.

فقال له زياد: ففيما قتلت ذلك الرجل المسلم؟!!

فقال له: ما أنا قتلته، وإنما قتله طائفة من أصحابي.

قال: فادفعهم إلينا.

قال: ما لي إلى ذلك سبيل.

فدعا زياد أصحابه، ودعا الخريت أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح، وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت، وعقرت عامة خيولهم، [خيلنا وخيلهم]، وكثرت الجراحة [فينا و] فيهم، وقتل من أصحاب زياد رجالان، ومن أولئك خمسة.

وجاء الليل، فحجز بينهما، وقد كره بعضهم بعضاً، وجرح زياد. فسار الخريت من الليل، وسار زياد إلى البصرة، [وفي نص آخر: ذهبوا واتبعناهم]، وأتاهم خبر الخريت أنه أتى الأهواز، فنزل بجانب منها، وتلاحق به ناس من أصحابهم، فصاروا نحو مائتين.

فكتب زياد إلى علي «عليه السلام» [بخبرهم]، وأنه مقيم [بالبصرة] يداوي الجرحى، وينتظر أمره.

فلما قرأ علي «عليه السلام» كتابه قام إليه معقل بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين! كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة [من المسلمين، فإذا لحقوهم استأصلوهم، وقطعوا دابرهم، فأما أن يلقاهم عددهم، فلعمري ليصبرن لهم، فإن العدة تصبر للعدة.

فقال: تجهز يا معقل إليهم، وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن المغفل الأسدي.

وكتب علي «عليه السلام» إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألفي رجل إلى معقل، وهو أمير أصحابه، حتى يأتي معقلاً، فإذا لقيه كان معقل الأمير. [ونعم المرء زياد، ونعم القبيل قبيله].

وكتب إلى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود.

واجتمع على الخريت الناجي علوج من أهل الأهواز كثير أرادوا كسر الخراج، ولصوص، وطائفة أخرى من العرب ترى رأيهم، وطمع أهل الخراج في كسره، فكسروه. وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس، وكان عاملاً لعلي «عليه السلام»، عليها في قول من يزعم أنه لم يمت سنة سبع وثلاثين.

فقال ابن عباس لعلي «عليه السلام»: أنا أكفيك فارس بزياد،

يعني ابن أبيه، فأمره بإرساله إليها، وتعجيل تسييره.

فأرسل زياداً إليها في جمع كثير، فوطئ بلاد فارس، فأدوا الخراج واستقاموا.

وسار معقل بن قيس، ووصاه علي «عليه السلام»، فقال له: اتق ما استطعت، ولا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمة، ولا تتكبر، فإن الله لا يحب المتكبرين.

[فقال: الله المستعان.]

فقال علي «عليه السلام»: خير مستعان].

فقدم معقل الأهواز ينتظر مدد البصرة، فأبطأ عليه، فسار عن الأهواز يطلب الخريت، فلم يسر إلا يوماً حتى أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي، فساروا جميعاً، فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز.

فصف معقل أصحابه، فجعل على يمينته يزيد بن المغفل، وعلى ليسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة.

وصف الخريت أصحابه، فجعل من معه من العرب ميمنة، ومن معه من أهل البلد والعلوج، [ومن أراد كسر الخراج] ميسرة، ومعهم الأكراد، وحرص كل واحد منهما أصحابه.

[قال معقل: «لا تعدلوا القوم بأبصاركم: غضوا الأبصار وأقلوا الكلام. ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم. إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً منعوا

الخراج، وأكراداً إلخ..»].

وحرك معقل رأسه [رايته] مرتين، ثم حمل في الثالثة، فصبروا له ساعة، ثم انهزموا، فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلاً من بني ناجية، ومن معهم من العرب، وقتلوا نحو ثلاثمائة من العلوج والأكراد، وانهزم الخريت بن راشد، فلحق بأسياف البحر، وبها جماعة [كثير] كبيرة من قومه.

فما زال يسير فيهم، ويدعوهم إلى خلاف علي «عليه السلام»، ويخبرهم أن الهدى في حربه، حتى اتبعه ناس كثير. وأقام معقل بأرض الأهواز، وكتب إلى علي «عليه السلام» بالفتح.

[وجاء في كتابه: «إنا لقينا المارقين. وقد استظهروا علينا بالمشركين المارقين، فقتلناهم قتل عاد وإرم، مع أنا لم نعد فيهم سيرتك، ولم نقتل من المارقين مدبراً، ولا أسيراً، ولم ندفع منهم على جريح»].

فقرأ علي «عليه السلام» الكتاب على أصحابه، واستشارهم. فقالوا كلهم: نرى أن تأمر معقلاً يتبع آثار الفاسق حتى يقتله، أو ينفيه. إنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس. فكتب إلى معقل يثني عليه وعلى من معه، ويأمره باتباعه وقتله، أو نفيه.

فسأل معقل عنه، فأخبروه بمكانه بالأسياف، وأنه قد رد قومه عن

طاعة علي «عليه السلام»، وأفسد من عنده من عبد القيس، وسائر العرب.

وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين، وذلك العام. [فكان عليهم عقالان].

فسار إليهم معقل [في ذلك الجيش من أهل الكوفة والبصرة]، فأخذ على فارس، وانتهى إلى أسياف البحر.

فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج [سراً]: أنا على رأيكم، وإن علياً «عليه السلام» لم ينبغ له أن يحكم، وقال للآخرين من أصحابه: إن علياً «عليه السلام» حكم [حكماً] ورضي [به]، فخلعه حكمه الذي ارتضاه، [فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه].

وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة، وإليه كان يذهب. وقال سراً للعثمانية: أنا والله على رأيكم، قد والله قتل عثمان مظلوماً، فأرضى كل صنف منهم.

وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم، [وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم]، وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا. فلما اختلف الناس قالوا: والله! لدينا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء، لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء.

فقال لهم الخريت: ويحكم [أتدرون حكم علي «عليه السلام» في من أسلم من النصارى، ثم رجع إلى نصرانيته؟! لا والله ما يسمع لهم

قولاً، ولا يربى لهم عذراً، ولا يقبل منهم توبة، ولا يدعوهم إليها، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يتمكن منهم]. لا ينجيكم من القتل إلا قتل هؤلاء القوم، والصبر. فإن حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل، ولا يقبلون منه توبة ولا عذراً، فخذعهم جميعهم.

وأتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير.

[وقد كتب «عليه السلام» كتاباً إليهم يقول:

**بسم الله الرحمن الرحيم.**

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى من يقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، والنصارى والمرتدين.  
سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وكتابه والبعث بعد الموت، وأوفى بعهد الله، ولم يكن من الخائنين.

أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والعمل بالحق، وبما أمر الله في الكتاب، فمن رجع إلى أهله منكم وكف يده، واعتزل هذا الهالك الحارب، الذي جاء يحارب الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنا بالله عليه، وجعلنا الله بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً].

فلما انتهى معقل إلى الخريت نصب راية أمان، وقال: من أتاها من الناس، فهو آمن، إلا الخريت وأصحابه الذين حاربونا أول مرة.

فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه، وعباً معقل أصحابه، وزحف نحو الخريت، ومعه قومه، مسلمهم ونصرانيهم، ومانع الزكاة منهم.

فقال الخريت لمن معه: قاتلوا عن حريمكم، [وقاتلوا عن نسائكم]، وأولادكم، فوالله لئن ظهرنا عليكم ليقتلنكم وليسببنكم. فقال له رجل من قومه: هذا والله ما جرت علينا يدك ولسانك. فقال سبق السيف العذل.

وسار معقل في الناس يحرضهم، ويقول: أيها الناس! ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الأجر العظيم؟! إن الله ساقمكم إلى قوم منعوا الصدقة، وارتدوا عن الإسلام، ونكثوا البيعة ظلماً، فأشهد لمن يقتل منكم بالجنة، ومن بقي منكم، فإن الله مقر عينه بالفتح. ثم حمل معقل وجميع من كان معه، فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا له.

ثم إن النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخرية، فحمل عليه، فطعنه، فصرع عن دابته، ثم اختلفا ضربتين، فقتله النعمان، وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل، وذهب الباقيون يميناً وشمالاً. وسبي معقل من أدرك من حريمهم وذرياتهم، وأخذ رجالاً كثيراً. فأما من كان مسلماً فخلأه، وأخذ بيعته، وترك له عياله.

وأما من كان ارتد فعرض عليهم الإسلام، فرجعوا، فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم إلا شيخاً كبيراً نصرانياً منهم، يقال له: الرماحس لم

يسلم. فقتله.

وجمع من منع الصدقة من المسلمين، وأخذ منهم صدقة عامين.  
وأما النصارى وعيالهم: فاحتلمهم مقبلاً بهم، وأقبل المسلمون  
معهم يشيعونهم، فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى  
بعض، حتى رحمهم الناس.

وكتب معقل إلى علي «عليه السلام» بالفتح (1).

**الخرية ينصح علياً X:**

1 - قال أبو مخنف: وحدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني  
أبي، قال: لما بلغ علياً «عليه السلام» مصاب بني ناجية وقتل  
صاحبهم قال: هوت أمه! ما كان أنقص عقله، وأجراه على ربه! [فإنه  
جاءني مرة، فقال لي: (2). فإن جئاً جاءني مرة، فقال لي: [إن] في  
أصحابك رجالاً [رجالاً] قد خشيت أن يفارقوك، فما ترى فيهم؟!

فقلت له: إني لا آخذ على التهمة، ولا أعاقب على الظن، ولا  
أقاتل إلا من خالفني وناصرني، وأظهر لي العداوة، ولست مقاتله حتى  
أدعوه، وأعذر إليه، فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه، وهو أخونا، وإن

(1) الكامل في التاريخ ج 3 ص 364 - 370 وتاريخ الأمم والملوك ج 5

ص 113 - 128 و (ط أخرى) ج 3 ص 139 والغارات للثقفي ج 1

ص 336 - 362.

(2) الغارات للثقفي ج 1 ص 371.

أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله، وناجزناه.

فكف عني ما شاء الله، ثم جاءني مرة أخرى، فقال لي: قد خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب الراسبي، وزيد بن حصين، إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما عليها حتى تقتلهما، أو توبقهما [توثقهما]، فلا تفارقهما من حبسك أبداً.

فقلت: إني مستشيرك فيهما، فماذا تأمرني به؟!

قال: فإني أمرك أن تدعو بهما، فتضرب رقابهما، فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل.

فقلت: والله ما أظنك ورعاً، ولا عاقلاً نافعاً، والله! لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول: اتق الله، لم تستحل قتلهم، ولم يقتلوا أحداً، ولم ي نابذوك، ولم يخرجوا من طاعتك!

**وحسب نص الثقفي:** «والله ما أظن أن لك ورعاً ولا عقلاً نافعاً، والله كان ينبغي لك أن تعلم أنني لا أقتل من لم يقاتلني، ولم يظهر لي عداوته، ولم يناصرني بالذي كنت أعلمته من رأيي، حيث جئني في المرة الأولى، ووصفت أصحابك عندي.

ولقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول لي: إتق الله، لم تستحل قتلهم؟! ولم يقتلوا أحداً، ولم ي نابذوك، ولم يخرجوا من طاعتك»(1).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص131 و 132 وبحار الأنوار ج33 ص

2 - جاء في بعض النصوص أن ما جرى على بني ناجية، قد كان بعد هزيمة أهل البصرة في حرب الجمل، باعتبار أن أهل البصرة بعد الهزيمة دخلوا في الطاعة غير بني ناجية، فإنهم عسكروا، فبعث إليهم علي «عليه السلام» رجلاً من أصحابه في خيل ليقاثلهم، فأتاهم، فقال: ما بالكم عسكرتم، وقد دخل الناس في الطاعة غيركم؟! غيركم؟! غيركم؟!

فافترقوا ثلاث فرق: فرقة قالوا: كنا نصارى، فأسلمنا إلخ.. (1).  
ثم تذكر الرواية ما جرى لهم.

### مصقلة يهرب من معاوية:

ثم أقبل معقل بالسبي حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل علي على أردشير خُره، وهم خمسمائة إنسان، فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا أبا الفضل! يا حامي الرجال ومأوى المعضب وفكاك العناة، امنن علينا، واشترنا وأعتقنا!  
فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليكم! إن الله يجزي المتصدقين.

فبلغ قوله معقلاً، فقال: والله لو أعلم أنه قالها توجعاً عليهم،

---

والغارات للثقي ج 1 ص 371 و 372 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج.. ص..

(1) الغارات للثقي ج 1 ص 330 و 331.

وإزراء علينا لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر.  
ثم إن مصقلة [بعث إلى معقل، فطلب منه أن يبيعه الأسارى،  
فطلب منه ألف ألف درهم، فلم يزل يراوده حتى] اشتراهم من معقل  
بخمسمائة ألف، فقال له معقل: عجل المال إلى أمير المؤمنين.  
فقال: أنا أبعت الآن ببعضه ثم كذلك، حتى لا يبقى منه شيء.  
وأقبل معقل إلى علي «عليه السلام»، فأخبره بما كان منه، [فقال  
له: أحسنت وأصبحت].

وبلغ علياً «عليه السلام» أن مصقلة أعتق الأسرى ولم يسألهم أن  
يعينوه بشيء، فقال: ما أظن مصقلة إلا قد تحمل حمالة سترونه عن قريب  
منها مبلدحاً.

ثم إنه كتب إليه: أما بعد، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة،  
وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام، وعندك من حق المسلمين  
خمسمائة ألف، فابعت بها إلي ساعة يأتيك رسولي، وإلا فأقبل حين  
تنظر في كتابي، فإني قد تقدمت إلى رسولي إليك ألا يدعك أن تقيم  
ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال؛ والسلام عليك.  
وكان الرسول أبو جرة الحنفي، فقال له أبو جرة: إن يبعث بالمال  
الساعة وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين.

فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة، فمكث بها أياماً.  
ثم إن ابن عباس سألته المال، وكان عمال البصرة يحملون المال  
من كور البصرة إلى ابن عباس، ويكون ابن عباس هو الذي يبعث به

إلى علي «عليه السلام».

فقال له: نعم، أنظرني أياماً، ثم أقبل حتى أتى علياً فأقره أياماً، ثم سأله المال، فأدى إليه مائتي ألف، ثم إنه عجز فلم يقدر عليه.

قال ذهل بن الحارث: فاستدعاني ليلة، فطعمنا ثم قال: إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال ولا أقدر عليه. فقلت: والله لو شئت ما مضت جمعة حتى تحمله.

فقال: والله ما كنت لأحملها قومي، أما والله لو كان ابن هند ما طالبني بها، أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج أذربيجان مائة ألف في كل سنة!

فقلت له: إن هذا لا يرى هذا الرأي لا والله ما هو ببازل شيئاً كنت أخذته، فسكت ساعة، وسكت عنه.

فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية.

وبلغ علياً «عليه السلام» ذلك فقال: ما له، ترحه الله، فعل فعل السيد، وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر!

أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم نقدر على مال تركناه.

ثم سار علي «عليه السلام» إلى داره، فهدمها وأجاز عتق السبي وقال: أعتقهم مبتاعهم، وصارت أثمانهم ديناً على معتقهم.

وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعه لعلي، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له: إن معاوية قد

(1) العرضنة: البغي في المشى من النشاط.

فطلبوا منه دية صاحبهم، فوداه لهم.

وقال بعض الشعراء في بني ناجية:

سما لكم بالخيّل قوداً عوابساً      أخو ثقةٍ ما يبرح الدهر غازياً  
فصحبكم في رجله وخيوله      بضرب ترى منه المدجج هاوياً  
فأصبحت من بعد كبرٍ ونخوةٍ      عبيد العصا لا تمنعون  
الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة:

لعمري لئن عاب أهل العراق      علي انتعاش بني ناجيه  
لأعظم من عتقهم رقهم      وكفي بعثتهم ماليه  
وزايدت فيهم لإطلاقهم      وغاليت إن العلى  
غاليه(1)

خبر الخريت عند ابن أعثم:

قال ابن أعثم:

كان علي رضي الله عنه استخلف رجلاً يقال له: الخريت بن  
راشد على بلاد الأهواز قبل خروجه إلى صفين، فلما كان بعد رجوع  
علي من صفين خالف عليه هذا الخريت وجعل يجمع الجنود ويدعو  
إلى خلع علي والبراءة منه، حتى أجابه إلى ذلك خلق كثير، ثم إنه

(1) الكامل في التاريخ ج 3 ص 370 - 372 وتاريخ الأمم والملوك ج 5  
ص 128 - 131 والغارات للثقي ج 1 ص 364 - 370 .

احتوى على البلاد وجبى الأموال، وبلغ ذلك عليا فدعا رجلا من خيار أصحابه يقال له: معقل بن قيس الرياحي، فضم إليه أربعة آلاف رجل ووجهه إلى الخريت.

قال: فسار الخريت في عشرة آلاف رجل من أهل الأهواز، ومن بني ناجية ومواليهم.

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، فقال معقل بن قيس: أيها الناس! أين الخريت بن راشد؟! فليخرج إلي فإني أريد كلامه.

قال: فخرج إليه الخريت حتى واقفه، ثم قال: أنا الخريت فهات ما الذي تريد!

فقال له معقل: ويحك لم خرجت على أمير المؤمنين ودعوت الناس إلى خلعه والبراءة منه، وقد كنت من خيار أصحابه، وأوثق الناس عنده؟!!

فقال: لأنه حكم في حق هو له.

فقال له معقل: ويحك! أمن أهل الإسلام أنت؟!!

قال: نعم، أنا من أهل الإسلام، فقل ما بدا لك.

فقال له معقل: خبرني لو أنك خرجت حاجاً، فقتلت شيئاً من الصيد مما قد نهى الله عز وجل عنه، ثم أتيت علياً فاستفتيته في ذلك فأفتاك، هل كان عندك رضى؟!!

فقال: بلى، لعمرى إنه عندي لرضى، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أقضاكم علي.

فقال له معقل بن قيس: فكيف ترضى به في علمه، ولا ترضى فيما حكم؟!<sup>(1)</sup>

فقال: لأنني لا أعلم أحداً من الناس حكم في شيء هو له.  
فقال: يا هذا! إن الذي لا تعلمه أنت هو أكثر من الذي علمته، إنا وجدنا علياً يحكم في جميع ما اختلفنا فيه، وقد رضينا بحكمه، فاتق الله وإياك وشق العصا! وارجع إلى ما كنت عليه من السمع والطاعة، فأمر المؤمنين أعلم بما يأتي ويذر.  
فقال الخريت: لا والله، لا يكون ذلك، ولا تحدثت العرب به أبداً، وما لكم عندي ولصاحبكم إلا السيف.  
قال: ثم صاح بأصحابه، وحمل على معقل بن قيس، وحمل عليهم معقل في أصحابه، واختلط القوم بعضهم من بعض، فقصد معقل من بين أصحابه، فضربه ضربة على أم رأسه فجذله قتيلاً.  
قال: وحمل أهل الكوفة على أهل الأهواز من بني ناجية، فقتل منهم من قتل، وهرب من هرب، وأسر من أسر من بني ناجية.  
وأمر معقل بن قيس بهؤلاء الأسارى فجمعوا. ثم أمر برأس الخريت بن راشد، فأخذ واحتوى على أمواله، وسار إلى علي رضي الله عنه بالأسارى والأموال<sup>(1)</sup>.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 234 و 244.

### حديث مصقلة عند ابن أعثم:

قالوا: كان مصقلة بن هبيرة الشيباني أيضاً عاملاً لعلي بن أبي طالب على بلد من بلاد الأهواز، فنظر إلى هؤلاء الأسارى الذين قد أتى بهم معقل بن قيس، كأنه اتقى عليهم أن يقتلوا، فقال لمعقل: ويحك يا معقل! هل لك أن تبيعني هؤلاء الأسارى، ولا تمضي بهم إلى أمير المؤمنين؟! فإني خائف أن يعجل عليهم بالقتل.

قال معقل: قد فعلت، فاشترهم مني إذا حتى أبيعك.

قال له مصقلة: قد اشتريتهم منك بخمسمائة ألف درهم.

قال: قد بعثك فهات المال!

فقال مصقلة: غدا أعطيك المال.

فسلم إليه معقل بن قيس الأسارى، فأعتقهم مصقلة بأجمعهم، فمضوا حتى لحقوا ببلادهم.

فلما كان الليل هرب مصقلة إلى البصرة إلى عبد الله بن العباس.

قال: وكتب معقل بن قيس إلى عبد الله بن عباس يخبره بخبر مصقلة وما فعل.

قال: فدعا ابن عباس مصقلة فقال: هات المال!

فقال: نعم وكرامة، إن معقل بن قيس أراد أن يأخذ المال مني، وأنا فلم أحب أن أعطيه ذلك، ولكن ادفع هذا المال إليك، لأنك ابن عم أمير المؤمنين، وعامله على البلاد.

قال ابن عباس: فقد أحسنت إذا وأصبت فهات المال.

قال: وانصرف مصقلة إلى منزله، فلما كان الليل هرب إلى الكوفة إلى علي بن أبي طالب، قال: وكتب معقل بن قيس إلى علي يخبره بذلك.

وكتب أيضاً عبد الله بن عباس إلى علي بذلك.

قال: فدعا به علي وقال: هات المال يا مصقلة!

فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن معقل بن قيس وعبد الله بن عباس أرادا مني أن أدفع المال إليهما، وأنت أولى بحقك منهما.

قال علي: قد أحسنت إذا وأصبت فهات المال!

فقال: وجه من يحمل المال، فدفع إليه في ذلك اليوم مائة ألف درهم وبقيت عليه أربعمائة ألف درهم قال، فلما كان الليل هرب إلى معاوية، وطلبه علي فلم يقدر عليه.

فقال له (1) الأسارى من بني ناجية، فقد جرى عليهم العتق، وليس لنا عليهم من سبيل، وأما مصقلة فقد بقي عليه هذا المال.

قال: ثم أمر علي بهدم دار مصقلة، فهدمت حتى وضعت بالأرض.

قال: وكان نعيم بن هبيرة أخو مصقلة عند علي بن أبي طالب ومن خيار أصحابه، فكتب إلى أخيه مصقلة بهذين البيتين يقول:

---

(1) الظاهر: أن الصحيح هكذا: فقال علي: أما الأسارى من بني ناجية الخ..

تركت نساء الحي بكر بن وائل وأعتقت سبيا من لؤي بن غالب

وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب

قال: ولم يبق بالعراق أحد من ربيعة إلا وذكر مصقلة بن هبيرة بكل قبيح إذ فارق عليا وصار إلى معاوية، فأنشأ مصقلة يقول:

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| لعمري لئن عاب أهل العراق | علي عتاق بني ناجية        |
| لأعظم من عتقهم رقهم      | وكفي بعثتهم عالية         |
| وزايدت فيه لإعتاقهم      | وغاليت إن العلى غالية     |
| وقلت لنفسي على خلوة      | وصحبي الذين معي ناجية     |
| أخاف على القوم أن يقتلوا | وصاحبهم حية قاسية         |
| إذا نهشت ومشى ريقها      | فأم السليم لها هاوية      |
| فإن نفثت سمها نفثة       | فما إن لها اليوم من راقية |
| وبالشام أمن ومستوطن      | وأهل السنى أكلب عاوية     |
| وكم في سبايا بني ناجية   | من الناس باك ومن باكية    |
| وهذا ابن هند سيجزي بها   | وعليا قریش بها حازية      |
| كذاك ربيعة أيامها        | أمور مكارهها باقية        |
| وما في علي لمستعتب       | مقال سوى هذه الجائية      |

قال: فلما فرغ نعيم من شعره أقبل إلى جماعة من بني عمه من بني بكر بن وائل فقال: إنه قد وردت علي هذه الأبيات من عند أخي مصقلة، وقد علمت أنه يحب الرجوع إلى العراق، وأنا والله مستحي

من أمير المؤمنين أن أكلمه فيه، ولكن أحب أن تكتبوا إليه كتابا عن جميعكم، وليكن ذلك عن رأي أمير المؤمنين.

قال: فاجتمع نفر من ربيعة إلى علي رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن نعيم بن هبيرة مستحي منك لما فعل مصقلة أخوه، وقد أتانا الخبر اليقين بأن مصقلة ليس يمنعه من الرجوع إلى العراق إلا الحياء، ولم يبسط منذ خرج من العراق علينا لسانا ولا يدا، ولا نحب أن يكون رجلاً منا مثل مصقلة عند معاوية، فإن أذنت لنا كتبنا إليه كتابا من جماعتنا، وبعثنا إليه رسولا فلعله أن يرجع!

فقال علي رضي الله عنه: اكتبوا ما بدا لكم، وما أراكم تنتفعون بالكتاب.

فقال الحضير بن منذر السدوسي: يا معشر بني بكر بن وائل! إن أمير المؤمنين قد أذن لكم في الكتاب فقلدوني كتابكم. فقالوا: قد فعلنا ذلك فاكتب ما بدا لك.

قال: فكتب إليه الحضير بن المنذر: أما بعد، يا مصقلة! فإن كتابنا هذا إليك من جماعة بني بكر بن وائل، وقد علمنا بأنك لم تلحق بمعاوية رضي منك بدينه، ولا رغبة في دنياه، ولم يقطعك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه، ولكنك توسطت أمرا قويت فيه بديا ثم ضعفت عنه أخيراً.

وكان أول أمرك أنك قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية.

ولعمري ما استبدلت الشام بالعراق، ولا السكاسك بريبعة، ولا

معاوية بعلي، ولا أصبت ذنبا بهما، وإن أبعد ما يكون من الله أقرب ما يكون من معاوية.

فارجع إلى مصرك فقد غفر لك الذنب وحمل عنك الثقل، واعلم بأن رجعتك اليوم خير منها غدا، وكانت أمس خير منها اليوم، وإن كان قد غلب عليك الحياء من أمير المؤمنين فما أنت فيه أعظم من الحياء، فقبح الله امراء ليس فيه دنيا ولا آخرة - والسلام -.

قال: ثم أثبت في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

أمصقل لا تعدم من الله مرشدا      ولا زلت في خفض من العيش  
أرغدا  
وإن كنت قد فارقت قومك خزية      يمد بها الشائء إلى رهطك  
الي  
وكنيت إذا ما ناب أمر كفيته      ربيعة طرا غائبين وشهدا  
تدافع عنها كل يوم كريهة      صدور العوالي والصفوح  
المهن  
يناديك للعلياء بكر بن وائل      فتثني لها في كل جراحة يدا  
فكنت أقل الناس في الناس لانما      وأكثرهم في الناس خيرا معددا  
تخف إلى صعلوكنا فيجيبيه      فكنت بهذا في ربيعة سيدا  
ففارقت من قد يحسن الطرف دونه      جهارا وعاديت النبي محمدا  
فإن تكن الأيام لاقتك غيرة      قم الآن فارجع لا تقولن غدا  
غدا

**ولا ترض بالأمر الذي هو صائر فقد جعل الله القيامة موعدا**

قال: فلما ورد هذا الكتاب على مصقلة بن هبيرة وقرأه ونظر في الشعر، أقبل على الرسول فقال: هذا كلام الحُضَيْن بن المنذر، وشعره لم يشبه كلام أحد من الناس.

فقال له الرسول: صدقت هذا كلام الحُضَيْن، فاتق الله يا مصقلة! وانظر فيما خرجت منه وفيما صرت إليه، وانظر من تركت ومن أخذت، ثم اقض بعد ذلك على هواك، أين الشام من العراق! وأين معاوية من علي! وأين المهاجرون والأنصار من أبناء الطلقاء والأحزاب! وأنت بالعراق تُتَبَّع وأنت بالشام تُتَبَّع.

قال: فسكت مصقلة عن الرسول فلم يجبه بشيء، ثم أخذ الكتاب فأتى به معاوية وأسمعه الشعر.

فقال له معاوية: يا مصقلة! أنت عندي غير ظنين، فإذا أتاك شيء من هذا فأخفه عن أهل الشام.

فقال: أفعل ذلك إن شاء الله.

قال: ثم رجع مصقلة وأقبل على الرسول فقال له: يا أبا بني بكر! إني إنما هربت بنفسي من علي خوفاً منه، ولا والله ما ينطلق لساني بعيبه ولا ذمه ولا قلت قط فيه حرفاً أعلم أنه يسوءه ذلك، وقد أتيتني بهذا الكتاب فخذ الجواب إلى قومك.

فقال الرسول: أفعل ذلك واكتب ما بدا لك.

فكتب مصقلة بن هبيرة:

فكيف بقائي بعد سبعين حجة  
أقول إذا أهدى له الله نعمة  
وماذا عسى غير الليالي القلائل  
بدا الدهر زده من مزيد  
الفضل

فقال الحضيض: يا أمير المؤمنين! والله ما به الحياء، ولكن

الرجوع قد كففنا عنه وأبعده الله(1).

وروي: أنه قيل لعلي «عليه السلام» حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا، ولم تستوف أثمانهم في الرق.

فقال: ليس ذاك في القضاء بحق، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم. وصار مالي ديناً على الذي اشتراهم(2).

**وفي نص آخر:** قال له أصحابه: يا أمير المؤمنين فيؤنا!!

قال «عليه السلام»: إنه قد صار على غريم من الغرماء، فاطلبوه(3).

**وبعد ما تقدم نقول:**

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة، سنحاول أن نقتصر على اليسير منها، فلاحظ الفصل التالي..

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص244 - 249.

(2) الغارات للثقي ج1 ص370 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص147 وبحار الأنوار ج33 ص417 ومستدرک وسائل الشيعة، باب نوادر ما يتعلق بأبواب كتاب العتق ج3 ص44 و (ط مؤسسة آل البيت سنة 1408هـ) ج15 ص486.

(3) الغارات للثقي ج2 ص330 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص147 وبحار الأنوار ج33 ص417.

## الفصل الثالث:

وقفات مع حديث الخرّيت..



## بداية:

سنحاول في هذا الفصل، والذي يليه.. تسجيل بعض ما لفت نظرنا، أو ما نستفيدة من النصوص المتقدمة في الفصل السابق، فنقول:

## أوهام الخريّت:

1 - لو أن الخريت احتمل أن علياً «عليه السلام» يبطش به لو أنه كلمه بهذه الخشونة لما جاء إليه، ولما قال الذي قاله، بل كان يذهب من فوره إلى بعض البلاد، ويحاول جمع الناس حوله، ثم يعلن منابذته له، وحربه عليه..

فإن هذا هو ما يفعله الناس مع حكامهم قبل ذلك وبعده، وإلى يومنا هذا.

ولكن الخريت قد لمس من أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه ينطلق في كل حركة له وسكون من مبادئ وأحكام لا يتعداها، وقد ألزم نفسه بها إلزاماً صارماً ونهائياً.

ولو أن الناس التزموا نهج أمير المؤمنين «عليه السلام» في جميع الحالات لاستراحوا، وأراحوا.. ولسهل عليهم العيش، ولم يروا إلا الرغد والسعادة والنماء والزيادة..

وقد كان يفترض في هذا الرجل أن يزداد تعلقاً بأمر المؤمنين «عليه السلام» لأجل هذا الأمر بالذات، ولكن حبه للدنيا، وطمعه بها قد ختم على سمعه وبصره، وساقه إلى الهاوية. وكانت أول خطوة خطاها نحو هذا المصير المشؤوم هي استفادته من هذه الخصوصية التي كان ينبغي له يوظفها في استئزال رضا الله ونيل بركاته، فوظفها في الحصول على الشقاء الأبدي، والعذاب الأليم، مع مرادة الشياطين في أسفل السافلين من دركات الجحيم..

2 - كان الخريت يظن أنه إن لم يطع أمر علي «عليه السلام»، ولم يصل خلفه، وفارقه في اليوم التالي يكون قد ألحق بعلي «عليه السلام» ضرراً، أو أنقص من مقامه، وسلبه أمراً كان ينتفع به، وبذلك يكون قد آذاه، وانتقم منه، وشفأ غيظه منه..

### ولعل سبب فهمه هذا:

**ألف:** بالنسبة لطاعة أمر علي «عليه السلام»، لعل الخريت يحسب أن علياً «عليه السلام» يرى أن الحكم امتياز له، ومن موجبات عظمته، ويعطيه كرامة وأبهة ومجداً لنفسه.. وظن أنه يتلذذ بإصدار الأوامر، وأنه يشمخ ويتعالى وهو يرى الناس ينقادون ويسارعون إلى تنفيذ أوامره..

فإذا رأى أن أمره يعصى، وأن ثمة من لا يهتم له، فإنه سيفقد تلك اللذة، وستحول إلى مظهر من مظاهر المذلة والضعف والإستكانة، وسيسقط من عليائه، وتتلاشى عظمته، ويتحول التعالي إلى تصاغر، والشموخ إلى تطامن وانكماش وضمور..

ب: بالنسبة للصلاة خلفه، لعل الخريت يظن أنه إذا صلى خلف علي «عليه السلام»، فإنه يمنحه وسام شرف، من حيث أن الصلاة خلفه بمثابة شهادة له بالإستقامة، وتشير إلى أن المصلي يمنح الإمام ثقته، ويعترف بدينه وبأمانته، وصدقه.

فإذا لم يصلّ خلفه، فكأنه يوجه له اتهاماً بضد ذلك كله، ويضع حوله علامة استفهام، بل هي شهادة بفقدانه «عليه السلام» الأهلية ومقومات الإعتقاد، وسقوطه عن درجة الصلاح..

ج: أما فيما يرتبط بمقارفته له.. فلعله يظن أن حضوره معه إنما هو خدمة ومعونة.. وليس من مصلحة علي «عليه السلام» فقدان النصير والمعين..

#### واقعية أمير المؤمنين X:

وقد اختصر أمير المؤمنين «عليه السلام» رؤيته للأمور، وفند أوهام الخريت بكلمتين أجابه بهما، فقال:  
«ثكلتك أمك، إذن تنقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك».

فأما بالنسبة لثكل أمه به، فهو الكلام الذي يجب أن يسمعه الخريت، لكي تتطامن نفسه، ويعود إلى حجمه الطبيعي، لأن هذه الكلمة تفهمه أنه قد أقدم على أمر بالغ السوء إلى حد لو أن أمه ثكلت به قبل أن يقدم عليه لكان خيراً له ولها.. فما عليه إلا أن يراجع حساباته، ليتبين صدق هذا الأمر..

وأما بالنسبة للأوهام التي جعلته يتخذ هذه القرارات الثلاثة، فقد أفهمه «عليه السلام» بوار هذا التفكير، وسوء هذه الأوهام، لأنها سوف ترتد عليه من عدة جهات، بينها له «عليه السلام»، كما يلي:

**ألف:** إنه يكون بهذه التصرفات قد نقض عهده. ونقض العهود أمر ترفضه النفوس الأبية، ولا يقدم عليه أهل الشهامة والكرامة..

وهو أيضاً خطأ في التدبير، وسوء في التقدير، لأن المجتمعات البشرية على اختلاف مذاهبها ومشاربها، وأديانها، وطوائفها، وأجناسها.. قد تواضعت واتفقت على الوفاء بالعهود، والعقود، حين رأوا أن الحياة لا تستقيم إلا بذلك.

**ب:** والأهم من ذلك: أن الشرع الشريف يلزمه بالوفاء بهذا العهد والعقد، بل اعتبر البيعة من أهم ما يجب الوفاء به، كما صرحت به الآيات المباركة.. ولذلك قال: «وتعصي ربك»، أي أنه تعالى هو الذي ألزمك بالوفاء ببيعتك، وفرض عليك طاعة إمامك، ولأن تمردك هذا على إمامك، من شأنه أن يفسد حياة الناس، وأن يخل بالنظام، ويجر على الناس الويلات، ويطمع الأعداء بالمسلمين..

**ج:** إن ما تخيله الخريت، من أن تصرفاته التي أعلنها سوف تضر بأمير المؤمنين «عليه السلام» كما بيناه آنفاً غير صحيح، بل الضرر كله سيكون متوجهاً إلى الخريت نفسه:

**أولاً:** لأن عدم طاعته يحرم الخريت من الثواب الذي أعده الله تعالى للمطيعين، الساعين في إعزاز الدين، والدفع عن المسلمين والمستضعفين..

**ثانياً:** إن علياً «عليه السلام» يميز بين التكليف المتوجه إليه، والتكليف المتوجه إلى غيره، وإن ما يسأله الله عنه هو الأول. أما الثاني، فالمسؤول عنه غيره. وليس السائل عنه هو علي «عليه السلام»، بل السائل عنه والمطالب به هو الرب الجليل القاهر والقادر، والحاضر والناظر، الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، فلماذا يغتم «عليه السلام» ويهتم لأمر ليس له فيه ناقة، ولا جمل؟!!

إلا إذا كان اهتمامه بهذا الأمر للدواعي الإنسانية التي هي مجرد خواطر ومشاعر تنفعل بها نفسه ترحماً على الغير، وتألماً لما جناه ذلك الغير على نفسه..

وهذا الشعور، وذلك الإهتمام ليس من مفردات الإضرار بعلي «عليه السلام»، بل هو من موجبات المثوبة ورفعته المقام له عند الله، ومن مظاهر كماله وتوازنه، وسموه في مزاياه الإنسانية..

ومن البديهي أن الله تعالى قد وعد بأن ينصر دينه وعباده

الصالحين، فإذا تقاعست طائفة، أو أنفت من نصرتهم ومعونتهم، فإنما عن حظهم تقاعسوا، وبأنفسهم أضروا، لأن الله تعالى أخبر في كتابه الكريم: بأنه يجرى فيهم قانون الاستبدال، فقال: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)(1).

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(2).

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله للخریت: «ولا تضر إلا نفسك».

وحسب الخريت بموقفه هذا: أنه يكون من مصاديق قوله تعالى: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(3).

(1) الآية 38 من سورة محمد.

(2) الآية 54 من سورة المائدة.

(3) الآية 17 من سورة الحجرات.

### ثناء أمير المؤمنين × على ابن خصفة:

وتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أثنى على زياد بن خصفة وأصحابه، في كتابه إلى ابن عباس، فقال: «فنعم المرء زياد، ونعم القبيل قبيلة..».

وهذا يدل: على أنه «عليه السلام» كان يراه كذلك بالفعل، لأنه قاله لغيره، وفي حال غيابه.. ولو أنه قاله له، فلربما يتوهم أنه يهدف تشجيعه، وتثبيته، وتهيئته لمواصلة مسيرة الصلاح.. ومكافأته على أمر جميل صدر منه، كما في قوله له في كتابه إليه: «أنت وأصحابك مأجورون، فقد أطعتم، وسمعتهم، وأحسنتم البلاء»..

ولزياد بن خصفة «رحمه الله» بلاء جميل في صفين (1)، وهو قاتل عبيد الله بن عمر (2)، وله كلام قوي وحاسم مع معاوية (3). وله مواقف محمودة في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» (4).

- 
- (1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 10 و 11 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 25 والكامل في التاريخ ج 3 ص 365 وصفين للمنقري ص 297.
- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 18 وتاريخ مدينة دمشق ج 69 ص 64.
- (3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 22 - 23 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 7 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 3 والكامل في التاريخ ج 3 ص 290 وصفين للمنقري ص 197 - 199 وبحار الأنوار ج 32 ص 454 و 455 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 96 و 97.
- (4) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 5 و 79 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 2

وهو من الذين أعلنوا تأييدهم للإمام الحسن «عليه السلام»، وأثنى عليهم الإمام خيراً، وصدّقهم فيما قالوا، ودعا لهم.. فراجع (1).

### معقل بن قيس: يخالف وصية علي × :

لقد كان معقل بن قيس صاحب شرطة علي «عليه السلام» (2)، فارساً شجاعاً، مخلصاً لإمامه، متفانياً في معونته على إقامة الدين، وقمع الظالمين.. إلى أن استشهد «عليه السلام» (3).

ولكن بالرغم من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد نهى شيعته عن مقاتلة الخوارج بعده، فإنه ليس من طلب الحق، فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه.. فقد كانوا في بداية أمرهم يرفعون الحق شعاراً،

---

وصفين للمنقري ص 388 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 226 وج 4 ص 85 وقاموس الرجال ج 5 ص 500 وج 4 ص 499 والغارات ج 2 ص 637 و 528 و 530 وتاريخ مدينة دمشق ج 65 ص 149 والكامل في التاريخ ج 3 ص 289.

(1) مقاتل الطالبين ص 70 و (ط المكتبة الحيدرية) ص 40 وشرح نهج البلاغة

للمعتزلي ج 16 ص 39 وبحار الأنوار ج 44 ص 50.

(2) الإصابة ج 6 ص 241 وتاريخ مدينة دمشق ج 59 ص 368.

(3) قد أورد العلامة الأحمدي «رحمه الله» نصوصاً كثيرة تدل على إخلاصه

لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وعلى صدقه وصلاحه وجهاده معه،

فراجع تلك النصوص في كتابه: مكاتيب الإمام علي «عليه السلام» ج 2

ص 43 - 47.

ويلزمون أنفسهم به، وإن كانوا يريدون به الدنيا. أما بنو أمية، فلا يرفعون الحق شعاراً، ولا يلزمون أنفسهم به من أولي الأمر. بل شعارهم هو الباطل، ويريدون إشاعته وترسيخه وتقويته.

نعم.. بالرغم من ذلك - نجد معقلاً قد حارب المستورد الخارجي في سنة 43 هـ. بأمر من معاوية، فقتل كل منهما صاحبه بدجلة(1)، فكيف خالف معقل وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن لا يقاتلوا الخوارج بعده.

**يضاف إلى ذلك:** أنه لا يتوقع من معقل أن يقاتل تحت راية معاوية، وأن يدافع عن حكومته الغاشمة..

**ونجيب بما يلي:**

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «يحتمل أن يكون مجبوراً لا خيار له، أو حاربهم من أجل أنهم يبغضون علياً «عليه السلام» ويكفرونه»(2).

ربما يناقش في هذه الإجابة: بأن علياً «عليه السلام» حين أوصى

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 15 ص 92 و 93 والغارات للثقف ج 2 ص 782 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 59 ص 367 و 368 والأنساب للسمعاني ج 4 ص 227 والكامل في التاريخ ج 3 ص 435 والكامل للمبرد ج 3 ص 1163 والإصابة ج 6 ص 241 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 12 ص 309.

(2) مكاتيب الإمام علي «عليه السلام» ج 2 ص 47.

شيئته بأن لا يحاربوا الخوارج الذين يكفرونه ويستحلون دمه، وهم إنما يصيرون خوارج، ويستحقون هذا الاسم إذا قالوا بهذه المقالة الشنيعة، ولا يوجد خوارج لا يقولون بهذه المقالة.

إلا إذا كان «عليه السلام» يقصد بكلمة الخوارج معناها اللغوي، وهم كل من يخرج على الحاكم، لا معناها الإعتقادي المعروف.

وأما ما ذكره العلامة الأحمدي «رحمه الله» عن موضوع إكراه معقل على الحرب تحت راية معاوية.. فلا ندري لماذا اختص هذا الإكراه بمعقل دون سواه! فإن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا كثيرين، ولم يكن معاوية يستعين بهم، وهم على رأيهم في ولائهم لعلي «عليه السلام» وأهل بيته، بل كان يحاول أن يردهم عن مقاتلتهم في علي «عليه السلام» قبل أن يستعين بهم.

فإن لم يستطع ذلك، اعتبرهم أعداءه، ونكل بهم، ووجه إليهم التهم التي تجعل له السبيل للتخلص منهم، أو يدس إليهم، ولو شربة من عسل يكون فيها حتفهم، أو يضطربهم للتواري عن الأنظار، والهجرة إلى حيث لا تصل يده إليهم.. إلى غير ذلك من السياسات التي كان يتبعها فيهم..

فأما أن يكون معقل قد غير وبدل، وصار من أنصار معاوية، فنحن نجله عن أمر كهذا، إلا إذا كان قد استعمل التقية في تعامله مع المستجدات، أو أنه رأى في المستورد خطراً داهماً على قومه، أو على الشيعة، أو نحو ذلك..

## من هو ابن حجية؟!:

وأما يزيد بن حجية، فإنه وإن كان في زمن علي «عليه السلام» من أصحابه «عليه السلام» (1)، وشهد معه حروبه (2)، وقد استعمله «عليه السلام» على الري ودستبي (3) وشهد على وثيقة التحكيم (4).. ولكنه خان علياً «عليه السلام» في ثلاثين ألف درهم اختلسها من

- 
- (1) تاريخ مدينة دمشق ج 65 ص 147 والأعلام للزركلي ج 3 ص 239 واللباب في تهذيب الأنساب ج 2 ص 308 وشرح الأخبار ج 2 ص 96 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 7 ص 44.
- (2) الأخبار الموفقيات ص 374 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 262 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 7 ص 44 وج 12 ص 328 والأعلام للزركلي ج 3 ص 239 واللباب في تهذيب الأنساب ج 2 ص 308.
- (3) راجع: الغارات للثقفني ج 2 ص 525 وأنساب الأشراف ج 3 ص 215 و 216 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص 335 و 459 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 262 وج 4 ص 83 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 97 وتاريخ دمشق ج 65 ص 147 والموفقيات ص 374 وراجع: بحار الأنوار ج 34 ص 290 والثققات لابن حبان ج 2 ص 298 وفتوح البلدان ج 2 ص 391.
- (4) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 54 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 39 والكامل في التاريخ ج 2 ص 389 و (ط دار صادر) ج 3 ص 321 وتاريخ دمشق ج 20 ص 141 وج 65 ص 147 وصفين للمنقري ص 511 والثققات لابن حبان ج 2 ص 294 والأخبار الطوال ص 196 .

بيت المال، فطالبه «عليه السلام» بها، فأنكرها، فجلده «عليه السلام» وسجنه، ففر من السجن إلى معاوية<sup>(1)</sup>.  
ثم شهد على حجر بن عدي حين أراد معاوية قتله<sup>(2)</sup>.

**أي شورى يريدونها الخريت؟!:**

**ادعى الخريت:** أنه يريد أن يرجع الأمر شورى بين المسلمين.. وهذا تعلل باطل، يدل على جهل الخريت، وقلة عقله.. ولعل هذا هو السبب الذي دعا علياً «عليه السلام»، لأن يعتبره مع القاسطين، أعني معاوية وبني أمية، ومن شايعهم وتابعهم.

**وعلى كل حال، فإننا نبين ما نرمي إليه ضمن النقاط التالية:**

**1 -** إن الشورى التي يريد الخريت أن يرجع الناس إليها تدعونا إلى سؤاله عن أهلها وأربابها، فإن كانوا هم المهاجرون والأنصار، أو أهل بدر، أو أهل بيعة الرضوان، فهؤلاء أنفسهم هم الذين اختاروا

---

(1) الغارات للثقي ج 2 ص 525 - 528 وبحار الأنوار ج 34 ص 290 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 262 وج 4 ص 83 والثقات لابن حبان ج 2 ص 298 وتاريخ مدينة دمشق ج 65 ص 147 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص 459 واللباب في تهذيب الأنساب ج 2 ص 308.

(2) الغارات للثقي ج 2 ص 528 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 273 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 203 وعن أنساب الأشراف ج 5 ص 268 وتاريخ مدينة دمشق ج 8 ص 23 والغدير ج 11 ص 50.

أمير المؤمنين «عليه السلام» للخلافة، وبقوا أياماً كثيرة يلاحقونه،  
ويصرون عليه، حتى رضي في آخر الأمر..

ثم إنهم كانوا معه، وحاربوا عدوه، واستشهد كثير من خيارهم  
وكبارهم بين يديه، وكانوا وما زالوا يرونه محقاً، وخير هاد وحافظ  
لهذا الدين..

وإن كان يريد أن يطلقاء وأبناءهم هم أهل الشورى، فقد بين أمير  
المؤمنين «عليه السلام» أن هؤلاء ليس لهم في أمر الخلافة والشورى  
ناقة ولا جمل، وليس لهم فيها نصيب.

ثم هو يقول: إنه من الخوارج ومعهم، فكيف يريد أن يكون مع  
من يدعو إلى الشورى؟! فإن الذي كان يدعي زوراً وبهتاناً أنه مع  
الشورى هو معاوية وبنو أمية، الذين يدعي الخريت أنهم كفار أيضاً،  
ويجب قتالهم.. فكيف يمكنه الجمع بين خارجيته، وبين ما يدعو إليه  
علي «عليه السلام»؟!!

على أن معاوية لم يكن جاداً في دعوته إلى إرجاع الأمر شورى،  
لأن البيعة لعلي قد تمت بإجماع المهاجرين والأنصار، وأهل بدر،  
وأهل بيعة الرضوان، وهؤلاء هم أهل الشورى، حسب ما هو  
مفروض، لأن الإطلاق وأبناءهم لا حق لهم فيها..

وإن كان يريد أن يدخل الناس كلهم في الشورى، فذلك يعني أنه  
إنسان مختل العقل، ظاهر العمى والجهل، ليست لديه بصيرة في  
الدين، بل هو من المضلين والمفسدين، بل من أفسد الفاسدين.

2 - إن الشورى لو كان لها أي اعتبار، فإنما تكون حين لا يكون هناك حاكم قائم بالأمر قد بايعه الناس بيعة صحيحة. ولم يكن الأمر كذلك حين خرج الخريت!!

3 - ولو سلمنا جدلاً أن للشورى أية قيمة، فإنما تتصور حين يكون هناك أشخاص تتكافأ قدراتهم، وتتقارب خصالهم وميزاتهم..

ولكن هل يوجد في الأولين والآخرين من يحتمل في حقه أن يداني أو يقارب، أو يمكن أن يقاس بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» في العلم والورع والتقوى والعقل والتدبير، والبصيرة في أمور الدين، والدنيا، والزهد، والإستقامة، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، والعلم بالقضاء، وهو الذي عنده علوم الأولين والآخرين.. فضلاً عما سوى ذلك من الميزات التي يحتاج إليها الحاكم، وفي غير ذلك من الكمالات، والفضائل، والأخلاق؟!!

4 - إن الإمامة والإمام ليست من الأمور التي يرجع القرار فيها للبشر، بل هي بيد الله تبارك وتعالى، وليس لأحد سواه أن يتدخل فيها، أو أن يتصدى لها بدون إذن منه سبحانه..

والشورى إنما يصح التعامل بها، والإستناد إليها في خصوص الأمور التي يعود أمر البت فيها للبشر، فقد قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

**يُنْفِقُونَ**(1). فلا بد أولاً من إحراز أن يكون الأمر لهم ومن شؤونهم، لكي يجوز الرجوع إلى الشورى فيه، فلا بد من العرش ثم النقش.

**ومن الواضح:** أن الحكم لا يثبت موضوعه، كما أن الإبن لا يكون سابقاً على وجود أبيه، ولا يمكن استناد الأب في وجوده إلى الإبن..

على أن آيات القرآن، وأحاديث الرسول، وبيعة الغدير، وآية التصديق في حال الركوع على الفقير.. قد حسمت الأمر في الإمامة والخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد تحدثنا عن موضوع الشورى في الآيات الكريمة أوائل غزوة أحد في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج 7 ص 67 فما بعدها.

### مفارقات خريتيّة:

والذي نود الإشارة إليه: أن الخوارج أنفسهم - والخريبت منهم كما يدعيه - قد أخذوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه بتحكيمة قد ضيّع الوصية، أعني وصية النبي «صلى الله عليه وآله» بالإمامة بعده.. فكيف يريد الخريبت الخارجي أن يعيد الأمر شورى؟! ولماذا لا يكفره أصحابه بمخالفته لو وصية النبي «صلى الله عليه وآله»؟! فضلاً عن نقضه لبيعته، وخروجه على إمامه؟! وغير ذلك مما أشرنا إليه

---

(1) الآية 38 من سورة الشورى.

أكثر من مرة.

بل إن الخريّت الخارجي قد زعم لمن لهم هوى في عثمان: أن عثمان قتل مظلوماً.. مع أن هذا القول من موجبات الكفر عند الخوارج. فلماذا لم يكفره أصحابه بقوله هذا؟! إن كانوا يعرفونه منه، أو عنه؟!!

هذا فضلاً عن أن أكاذيبه على أنصاره حين كان يخبرهم أن علياً «عليه السلام» سوف يقتلهم، ويسبي نساءهم، ويأخذ أموالهم. كانت تحتم قتله حسبما يقوله الخوارج، لأنهم يقولون بكفر مرتكب الكبيرة، والكذب من الكبائر..

**أين قتل الخريّت؟!:**

**وذكر المسعودي: أن الخريّت قتل بساحل البحرين(1).**

**وذكر اليعقوبي: أن علياً «عليه السلام» وجه معقل بن قيس إلى عُمان، فقتل الخريّت، وسبى بني ناجية(2).**

**مع أن ظاهر كلمات الطبري والثقفى، وغيرهما: أن معقلاً قتل في أسياف البحر، ولم يشيروا إلى عُمان، وظاهرة أنها قرب الأهواز. أو قرب رامهرمز، فيحتاج الأمر إلى مراجعة وتحقيق لمن أراد.**

(1) مروج الذهب ج2 ص408.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص195 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص392.

### ما فعله الخريّيت في الكوفة:

ولم أستطع التحقق من دقة الخبر الذي أورده اليعقوبي أيضاً، عن أن الخريّيت وأصحابه: «جردوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الخريّيت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يمرون ببلد إلا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سيف عمان». فإنني لم أجد ذلك عند غير اليعقوبي، فيما بين يدي من مصادر.

### من الذي قتل الخريّيت؟!:

وذكر الثّقفي، والطبري، ومن تابعهما: أن الذي قتل الخريّيت هو النعمان بن صهبان الراسبي.

لكن ابن أعثم يقول: «فقصده معقل من بين أصحابه، فضربه ضربة على أم رأسه، فجذله قتيلاً».

### هل هو الخريّيت أم الحارث؟!:

واختلفوا أيضاً في اسم الخريّيت، فبينما نجد بعض المصادر تسميه «الخريّيت» نجد المسعودي يقول: أن اسمه «الحارث» (1). وفي بعضها: أن اسمه «الحريث». وربما كان الخريّيت لقباً له. وقد اشتهر وعرف به.

(1) مروج الذهب ج 2 ص 407 و 408.

وربما كانت إحدى الكلمتين تصحيفاً للأخرى.

**هل هو نصراني أم خارجي؟!:**

وفي حين نجد البعض - وهم الأكثر - يعتبرون الخريت خارجياً.. نجد بعضهم يقول: إنه ارتد هو وأصحابه إلى دين النصرانية(1). ولكن ملاحظة الروايات المتقدمة تعطي: أنه كان يبحث عن السلطة، ويتعامل بدهاء ومكر، فيعطي كل فئة ما يروق لها، ويقول لها: أنا معكم.

**خطأ وقع فيه البلاذري:**

قال البلاذري: «فكتب علي «عليه السلام» إلى أبي موسى الأشعري: «إني كنت أمرتك بالمقام في دير أبي موسى في من ضمنت إليك إلى أن يتضح خبر القوم الظالمي أنفسهم». ثم ذكر له مرور الخريت بقرية نفر. وأمره باللاحق بهم). ثم قال: «ويقال: إن علياً «عليه السلام» لم يكتب إلى أبي موسى في هذا بشيء، وكان علي «عليه السلام» قد وجه زياد بن خصفة، وعبد الله بن وال التيمي في طلبهم إلخ..»(2).

(1) مروج الذهب ج2 ص407 وأعيان الشيعة ج7 ص76.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي - ط سنة 1416 هـ) ج2 ص316 و (ط الأعلمي سنة 1394 هـ) ص413.

وهذا هو الصحيح، فإن أبا موسى قد فارق عمرو بن العاص في دومة الجندل، وتوجه إلى مكة، ولم يعد إلى علي «عليه السلام».. بل كان علي قد عزل أبا موسى عن الكوفة قبل حرب الجمل، وذلك عندما ظهر أنه كان يخذل الناس عنه.. ولكن الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج قد عادوا ففرضوه حكماً، فكان منه ما هو معلوم.

### الخِريت يخشى حجة علي X :

**وتقدم:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد طلب من الخِريت، أن يأتي إليه لأجل أمور ثلاثة، وقد بينها «عليه السلام» في خمس فقرات هي:

1 - ويحك..

2 - هلم إلي..

3 - أدارسك الكتاب..

4 - وأناظرك في السنن..

5 - وأفاتحك أموراً من الحق، أنا أعلم بها منك..

**ثم جعل علة هذه الدعوة:**

**ألف:** لعلك تعرف ما أنت له - الآن - منكر.

**ب:** وتستبصر ما أنت به - الآن - عنه عم، وبه جاهل..

وهذه الكلمات تحتاج على بيان، نوجزه ضمن النقاط التالية:

**ويحك!!:**

**قد يتوهم متوهم:** أنه «عليه السلام» قد بدأ كلامه مع الخريت بطريقة لا تخلو من جفاء، فهو تارة يقول له: ثكلتك أمك! وأخرى يقول له: ويحك! وقد كان يمكن أن يكون به رفيقاً.

نقول هذا، وإن كنا لا ننكر أن الخريت يستحق أكثر من هذا، لأنه قد تجاوز حدود الأدب واللياقة بصورة صريحة، وواضحة، ولكننا ندعي: أن المتوقع من علي «عليه السلام» هو الرفق، والصفح والعفو عن أساء إليه، كما تعودناه منه..

**ونجيب:**

**أولاً:** بأنه «عليه السلام» إنما قال للخريت: ثكلتك أمك.. من موقع إظهار شدة غيظه على مصلحته، وعظيم شففته عليه من المهالك التي يوشك أن يوقع نفسه فيها، حتى ليصير الدعاء عليه بالهلاك قبل الوصول إلى تلك النهاية البشعة، هو الأصلح له، لأن هلاكه وهو ملتزم بالحق خير له من أن يهلك بعد ارتكاب جريمة الخروج على إمامه، والإيغال في دماء المسلمين، والتغريب بالسذج والبسطاء، ثم يموت وهو ضال عن الحق، مستحق للخلود في النار..

**ثانياً:** إن كلمة «ويحك» ليس فيها شتيمة، ولا قسوة، بل هي كلمة ترحم وتوقع عليه. كما نص عليه أهل اللغة.

وقد قال أبو حاتم: «أما ويلك، فكلام فيه غلظ وشتم، وأما ويح،

فكلام ليّن وحسن»(1).

**هَلَمْ إِلَيَّ:**

وقد أمره «عليه السلام» بعد إظهار الترحم والتوجع له، والشفقة عليه: أن يسرع إليه، ليخرجه من المأزق الذي هو فيه، وليعيّنه على تجنب الهاوية التي يكاد أن يقع فيها..

**أَدَارِسْكَ الْكِتَابَ!:**

**واللافت هنا:** أنه «عليه السلام» يعرف أن الوصول إلى آيات القرآن، والإطلاع عليها كان ميسوراً لكل أحد. ولكن المطلوب هو فهم معانيه، وإدراك مراميّه.. وهذا هو ما دعا إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» الخريت، حيث قال له: هَلَمْ أَدَارِسْكَ الْكِتَابَ.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يتعال عليه في خطابه له، فلم يقل له: تعال لكي أعلمك، أو لكي أفهمك معاني القرآن.. لكي لا ينفر من نسبة عدم الفهم إليه، أو ضعف الإدراك لديه. فساواه بنفسه، وقال له: هَلَمْ إِلَيَّ أَدَارِسْكَ..

وهذا غاية الرفق والتواضع، والإنسجام مع مقتضيات الرحمة والشفقة، لأن ألف المفاعلة في كلمة المدارس تدل على أن هذا العمل

---

(1) أقرب الموارد ج 2 ص 1493 مادة: ويس، ولسان العرب ج 6 ص 259 وتاج العروس ج 9 ص 36.

سوف يصدر من كلا الطرفين.. وهل يمكن لأحد أن يعطي لعلّي درساً في القرآن؟! أو أن يعرف فيه ما لا يعرفه؟!!

ولكنه «عليه السلام» يهضم نفسه أمامه، لكي يجتذبه إلى تداول معاني القرآن، ليقم عليه الحجة بها. وهذا غاية الإنصاف للخصم..

### وأنظرك في السنن:

كما أنه «عليه السلام» لم يقل له: أنت لا تعرف السنن، بل عامله وكأنه عارف بشيء منها أيضاً.. ولكنه يحتاج إلى مجرد تبادل وجهات النظر معه في دلالاتها ومراميها..

والكلام في هذا التعبير يساوق الكلام في المدارس من حيث دلالاته على غاية الإنصاف، وعلى هضم النفس طلباً لرضا الطرف الآخر بالنظر في الأمور بروح التعقل، والقبول بالحجة..

وقد استفاد «عليه السلام» أيضاً من ألف المفاعلة للدلالة على صدور الأمر من كلا الطرفين حسبما بيناه..

### المفاتحة بأمور من الحق:

وأما الحديث عن المقاتحة بأمور من الحق، ففيه إغراء للخريت، بأنه سوف يطلعه على أمور وخفايا وأسرار خاصة، لو اطلع عليها الخريت لظهرت له أوجه الصواب فيما يقدم عليه «عليه السلام» من مواقف.

وامتلاك بعض الناس لبعض الخفايا والأسرار أمر طبيعي، ويعترف به كل أحد.

والإطلاع على الخفايا والأسرار التي في الزوايا أمر يطمع فيه أصحاب الهمم، وتشتاق إليه النفوس، وتأنس به الأرواح، وتنشد إليه القلوب.. وهذا ما حاول «عليه السلام» أن يغري به الخريت ليرضى باللقاء معه.

### لعلك تعرف:

1 - وحين انتهى إلى الحديث عن نتائج هذا اللقاء، لم يجزم له بأن موقفه لا بد أن يتغير عما هو عليه، لكي لا يتوهم أنه «عليه السلام» قد حدد نتيجة اللقاء مسبقاً، وفرضها عليه كقرار حاسم ونهائي. بل قال له: «لعلك تعرف ما أنت له - الآن - منكر».. فكلمتا: «لعلك» و «الآن» تشيران إلى أمرين:

**أولهما:** أنه لم يتهمه في قناعاته، بأنها قناعات مدعاة، ومزورة، وأن وراءها نوايا مبيتة، تحتم الإصرار عليها، حتى بعد أن يتمخض البحث عن معطيات توجب التخلي عن تلك القناعات.. وإنما هو يعطيه مقام الإنسان السوي الذي يفكر بصورة سليمة، ومنصفة، ولا يتعمد الباطل طمعاً بأمر دنيوي يسعى للحصول عليه من وراء موقفه هذا..

**الثاني:** إنه لم يدع له أنه «عليه السلام» يملك ما يزيل تلك القناعات ويقتلعها من جذورها، بل أبقى له فسحة لاحتمال أن يكون

هو الذي يؤثر بحججه، وبالمعطيات التي لديه على قناعات أمير المؤمنين «عليه السلام».. وهذا من شأنه أن يوحى له بإيجابية هذا اللقاء، وبأنه سيكون فيه على قدم المساواة معه، ويجعل من تخليه عنه أمراً محرّجاً، بل مخجلاً له أمام نفسه، وأمام الناس.. ويستلّب منه فرصة التعلّل بأي علة، أو عذر مهما كان..

2 - ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد مهّد أيضاً لتقبل حدوث تغيير في قناعات الخريت، حيث لم يرم الخريت بالجهل المطبق والمطلق، بل اعتبر حالته التي هو فيها أمراً عارضاً، وأنياً.. وهي حالة ليست مستعصية على الفهم والتبرير، بل هي قابلة للمعالجة والزوال، إذا وجدت مبررات زوالها..

3 - وبديهي: أن الأمر إذا بلغ بالخريت إلى هذا الحد، فإنه يصبح أمام خيارين: فإما أن يختار طريق الجنة بالإستجابة إلى هذا الطلب المنصف، من رجل رحيم وشفيق عليه وعلى الأمة.. وإما أن يختار طريق البوار والدمار، والفضيحة في الدنيا قبل الآخرة، ودخول النار..

وهذا ما حذره منه أمير المؤمنين «عليه السلام»، حين تملص الخريت من قبول هذا الطلب، ووعد بأن يعود إليه في اليوم التالي.. فإنه «عليه السلام» قد أحس بما ينويه، ولذلك قال له: «اغد، ولا يستهوينك الشيطان، ولا يتقحمن بك رأي السوء، ولا يستخفّنك الجهلاء الذين لا يعلمون»..

### لو فعلنا هذا ملأنا السجون:

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» بالرغم مما سمعه من الخريت من كلام خشن، فإنه لم يتخذ قراراً باعتقاله وسجنه.. بل ذكر لعبد الله بن قعين: أنه لا يزال يعتبره مجرد متهم، وأنه لا يحق له اعتقاله، لأنه لم يظهر الخلاف!! أي أنه «عليه السلام» لا يعتبر قول الخريت: إنه لا يطيع أمره، ولا يصلي خلفه، وإنه سوف يفارقه في غده - لا يعتبره - من إظهار الخلاف، الذي يبرر الاعتقال، والحبس والعقوبة.. لأن إظهار الخلاف عنده هو استعمال السلاح، والتجرد للحرب بصورة عملية..

إلا أن يقال: إن سياق كلامه «عليه السلام» لابن قعين لا يعني أنه لا يحق له «عليه السلام» ذلك، بل غاية ما يدل عليه أنه ليس من المصلحة فعل ذلك.. لأن السجون ستمتلئ بهؤلاء، ولأن فعل ذلك قد يتسبب بمشكلات أكبر وأخطر، حين يوجب اعتقالهم إثارة مشاعر قبائلهم واعتراضاتهم على هذا الإجراء.. وربما حركهم ذلك إلى أكثر من مجرد الاعتراض، ليصل إلى نوع من التمرد والعصيان، واعتبار هذا التصرف مخالفاً للحكمة، والسياسة، لأن المطلوب هو الفرق والعفو، والتجاوز، وتأليف الناس، لا تحريكهم ودفعهم إلى الخلاف..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: إنه لا يسعه فعل ما يطلبه منه ابن قعين، لأن فعله هذا مع الخريت يستوجب تعميمه إلى كل من هو على شاكلته، وهذا ما لا يمكن أن يكون..

### ضرورة اليقظة والمتابعة:

وقد تقدم: أنه «عليه السلام» أمر ابن قعين بأن يستعلم عن حال الخريت، وما كان منه..

وقال «عليه السلام»: «فإنه قل يوم لم يكن يأتيني فيه قبل هذه الساعة».

### وهذا يدل على:

1 - أنه «عليه السلام» كان يتوقع من الخريت أن لا يفي بوعده بأن يعود إليه في اليوم التالي..

2 - أن شكوكه هذه قد تأكدت بسبب تأخر الخريت عن مواعده في مجيئه إليه في الساعة التي اعتاد أن يأتيه فيها..

3 - أنه «عليه السلام» يدرس تصرفات الناس، ويستدل بها على ما سيكون منهم، ثم هو يلاحق أخبارهم بالإستناد إلى ما يلاحظه في سلوكياتهم التي رصدها منهم.

4 - ويمكن أن نضيف أمراً آخر، وهو: أنه «عليه السلام» كان قد رصد حدثاً دلّ على أن الخريت ناقص العقل جداً، بل لا عقل له نافعاً، ولا ورع لديه. وذلك حين طلب منه الخريت أن يقتل عبد الله بن وهب الراسبي وآخرين معه، كانوا يذكرونه «عليه السلام» بأمور لا ينبغي له أن يسكت عليها.

### البحث عن الخريت الهارب:

وحين عاد ابن قعين إلى علي «عليه السلام» بخبر رحيله هو وجماعته. بادر «عليه السلام» إلى الأمر بملاحقتهم..

فأمر زياد بن خصفة بالخروج مع جماعة من قومه إلى دير أبي موسى، وينتظر هناك إلى أن يأتيه أمره «عليه السلام»..

وقد لفت نظرنا في متابعة علي «عليه السلام» لهذا الأمر ما يلي:

**ألف:** إنه «عليه السلام» لم يرض بما عرضه عليه زياد بن خصفة، من أنه يذهب في جماعة من الناس، ويبحث عن الخريت بطريقة السؤال عنه هنا، وهناك.. لأن هذه الطريقة فاشلة، فإن بلاد الله واسعة، ولعل الخريت ذهب شرقاً - مثلاً - حتى غاب عن الأنظار، ثم عاد بطريقة إتفاقية في وسط الصحراء.. ليصبح سيره إلى جهة الغرب أو الشمال أو الجنوب، حتى لا يتمكن أحد من اقتفاء أثره..

**ب:** يضاف إلى ذلك: أن من الجائز أن يعتمد الناس الذين يسألهم ابن خصفة عن الخريت تضليل زياد عنه، وأن يعطوه معلومات خاطئة. إما لأنهم من الخوارج الذين يرون رأي الخريت، وإما لأن لهم صلة قرابة أو صداقة له، وإما لأنهم لا يريدون أن يدخلوا في صراع معه، لا اعتبارات عشائرية.. أو لغير ذلك من أسباب..

**ج:** على أن تشعبات الطرق كثيرة جداً، وقد تجد تفرعات متعددة في كل ميل أو فرسخ باتجاهات مختلفة..

د: إنه «عليه السلام» اختار طريقة للبحث عن الهاربين لا مجال للتضليل فيها، كما لا سبيل للامتناع عن إعطاء الإجابة الصحيحة والدقيقة عنها.. ولا يمكن أن تراعى فيها الإعتبارات العشائرية في الإرشاد إلى أولئك الهاربين. كما أنها لا تؤدي إلى الضياع في خضم تشعبات الطرق، ولا تتأثر بتغيير الهاربين لمسيرهم.

وهذه الطريقة هي أخذ الخبر عن الهاربين من السلطات الحاكمة والمسؤولة في البلاد التي يعنيها أمر رصد كل حركة تمرد، أو اغتاشاش في محيطها.. وتكون معنية في متابعة تلك الحركة، والتخلص منها..

هـ: إنه «عليه السلام» استطاع أن يحدد بنفسه مسار هؤلاء المتمردين، وذلك لمعرفته «عليه السلام» بالخريطة الجغرافية، والنسيج السكاني، في خصوصياته العشائرية، وفي ميوله السياسية، وفي غير ذلك من خصوصياته، فترجح لديه «عليه السلام» أن مسار الهاربين كان باتجاه البصرة، لأنه يعلم أن الخريت سيسعى للوصول إلى بلاد يجد فيها أنصاراً وأعواناً..

وليس ذلك إلا في بني ناجية، وفي المحيط الذي يعيشون فيه. كما أنه يجد في ذلك المحيط الكثير من الأنصار من سائر الفئات التي كانت تعيش في تلك المناطق، كالأكراد، والعلوج، واللصوص، والعثمانية، والنصارى وغيرهم..

وقد كتب «عليه السلام» إلى عماله في البلاد، يسألهم عن هؤلاء

الهاربين مشيراً إلى استنتاجه هذا.

و: إنه «عليه السلام» أمر عماله بأن يجعلوا العيون على الهاربين في كل ناحية من أرضهم، وهذا الإستيعاب من شأنه أن يسهل على الجيش الذي سيرسله أمر ملاحقتهم، ولا يبقى مجالاً للمطلوبين للإفلات أبدأً.

فما أسرع ما جاءت الإجابة من قرظة بن كعب، الذي أرشد إلى مسيرهم، وأنهم خرجوا نحو بلد يقال له: «نفر».. فوجه إليهم «عليه السلام» زياد بن خصفة كما تقدم.

#### من مواصفات القادة:

وقد طلب «عليه السلام» من ابن عباس أن يعين الجيش الذي أرسله بمجموعة أخرى من عنده.

**ونلاحظ:** أن أمير المؤمنين قد ترك أمر اختيار القائد العسكري لهذه المجموعة إلى ابن عباس، واكتفى بتحديد صفتين لشخص القائد هما:

1 - أن يكون شجاعاً.

2 - أن يكون من أهل الصلاح..

وأشار بصورة ضمنية إلى خصوصية ثلاثة تجب مراعاتها في هذا القائد، وهي: أن يكون من أهل البصرة.

والوصفان الأولان إن توفرا في رجل، فلا حاجة إلى النظر في

سائر أحواله. لأنهما بيت القصيد في القائد، وهما المطلوب الأهم، بل الأول والأخير فيه..

فأما الشجاعة، فتوفرها في القائد من البديهيات..

وأما الصلاح، فهو الوصف الجامع لسائر الأوصاف، ويمكن المطالبة به لو حدث أي خلل مهما كان. وذلك لأن الصلاح وصف جامع لسائر الأوصاف. إذ المقصود بالصلاح الملائمة للمطلوب في مختلف الجهات، وسائر الميزات، فلا يكون قاصراً عنه، ولا متجاوزاً لما يطلب فيه..

ولا يختص الصلاح بالصلاح الإيماني، أو الإلتزامات الدينية والعبادية، بل الصلاح المطلوب يشمل الملائمة للمطلوب في كل مجال: في تدبيره للأمور، وفي تعامله مع من هم تحت يده، وفي أخلاقه، وفي علاقاته بالناس، وفي عقله، ونظرته للأمور، وفي سائر ما يحتاج إليه في إنجاز المهمة الموكلة إليه على أكمل وجه.

والمح أيضاً إلى أنه لا يكفي أن يعرفه ابن عباس فقط بالصلاح، بل لا بد أن يكون معروفاً به عند الناس أيضاً، وذلك يمنع ابن عباس من أعمال مزاجه وهواه في اختياره..

كما أنه «عليه السلام» أراد أن يكون هذا القائد من أهل البصرة على الخصوص، لأنه يكون أعرف بمحيطه، وبأحوال وعلاقات، وميول، وبأخلاقيات الناس الذين سيكونون تحت يده، عارفاً بأوضاع وبعلاقات عشائريهم، مع بعضها البعض. كما أنه يعرف المنطقة من

الناحية الجغرافية، وبكثير من أحوال سكانها، سواء من الناحية المعيشية، أو الدينية، أو الميول والأهواء، أو غير ذلك..

**ويلاحظ هنا:** أنه «عليه السلام» أشار إلى خصوصية كون القائد من أهل البصرة بصورة تظهر عليها مسحة العفوية، لأنه من جهة يريد أن يتلافى سلبيات اختيار قائده من بلد آخر على جماعة من غير بلده، لأنهم ربما يستهينون به، ويمارسون معه نوعاً من النكد، أو قلة المبالاة، أو السعي لاختبار قدراته، أو تسجيل نوع الهفوات، أو الإخفاقات عليه، لدواع خاصة، أو لتأثير عصبية عشائرية، أو مناطقية، أو غيرها فيهم. أو لمجرد العبث من بعض أهل العبث والطيش، الذين لا تخلو الجماعات منهم عادة.

**أن اجتماعاً، فمعقل هو الأمير:**

وقد وضع «عليه السلام» طريقة محددة للتعامل بين القادة، وحدد أيضاً زمان انتهاء صلاحيات القائد الذي ينصبه ابن عباس، فقرر أن يستمر في منصب القيادة إلى أن يلتقي بالقائد الآخر، فإذا التقيا انتهت مهمته كقائد بصورة تلقائية، وصار هو ومن معه بإمرة القائد الآخر، وهو معقل بن قيس..

**ويلاحظ هنا:**

**أولاً:** إن هذا الإجراء لا ضير فيه، فإن القائد الذي انتهت مدة ولايته لم يكن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي اختاره، عن معرفة مباشرة، وبصيرة بأمره، عن حس، وعن قرب.

**والمطلوب:** هو أن يبقى هو «عليه السلام» مهيمناً على حركة قائده من موقع بصيرته هو فيه، لا من موقع بصيرة غيره، حتى لو كان ابن عباس.

**ثانياً:** إن هذا التدبير هو نفسه التدبير الذي اتخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين جعل خالداً أميراً على جماعة وأرسلهم في مهمة، يلتقي فيها مع علي «عليه السلام»، قال لخالد: إنه إذا التقى بعلي «عليه السلام»، فعلي هو الأمير..

**ثالثاً:** إن هذا الإجراء هو الصواب بعينه، إذ ليس من الحكمة وجود أكثر من قائد لمعركة واحدة، ولجماعة واحدة، تريد أن تخوض حرباً مع جماعة أخرى، فإن تعدد القادة يوجب الإضطراب، ويشيع الفوضى، وربما أدى إلى التناقض في الخطط وفي الأوامر، وإلى الاختلاف في التدبير الحربي، ويؤدي في أكثر الأحيان إلى الفشل الذريع والمريع.

وإن كان ثمة نصر في نهاية الأمر، فربما كان باهظ الثمن، كبير الكلفة.

### التنويه بابن خصفة ومن معه:

وقد رأينا كيف أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يكتب إلى ابن عباس «رحمه الله» بالثناء على زياد بن خصفة وقبيله، ويقول: «فنعلم المرء زياد، ونعم القبيل قبيله»، عملاً منه «عليه السلام» بسنة الوفاء، وبواجب إعطاء كل ذي حق حقه.

كما أن هذا هو ما تفرضه سياسة العباد، من لزوم المبادرة إلى التنويه بإحسان من أحسن منهم، ليزداد رغبة في العمل الصالح.. ولأن ذلك يلبي حاجة نفسية تغذي الروح بما يوجب نشاطها، وتوثبها واندفاعها، ويخرجها من حالة التراخي والخمول والإنكماش.. هذا بالإضافة إلى أن هذا التنويه به، والثناء عليه يثير الرغبة لدى الآخرين بالإقتداء به، والمبادرة إلى مجاراته، بل إلى سبقه، على قاعدة: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (1).

وقد ورد في نهج البلاغة قوله «عليه السلام» في رسالة منه لأهل البصرة: «مع أنني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه» (2).

وقال «عليه السلام» للأشتر: «وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع، وتحرص الناكل إن شاء الله.. ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً،

(1) الآية 148 من سورة البقرة، والآية 48 من سورة المائدة.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 3 ص 36 الكتاب رقم 29 وبحار الأنوار ج 33 ص 496 وميزان الحكمة ج 4 ص 3279 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 16 ص 3.

ولا ضعة امرئ إلى أن تصغر من بلائه ما كان عظيماً..»(1).

**سهل بن حنيف كان حياً:**

**وتقدم قول الطبري:** إن الخريت بن راشد قد أخرج سهل بن حنيف من فارس، وكان عاملاً لعلي عليها - في قول من يزعم أنه لم يمت سنة سبع وثلاثين..

**ونقول:**

إن نفس قولهم: إن سهلاً كان عاملاً لعلي «عليه السلام» على فارس، وإن الخريت أخرجه منها يدل على عدم صحة قولهم: إنه مات سنة سبع وثلاثين، ويكون القائل بوفاته سنة سبع وثلاثين هو الذي وقع في الإشتباه.

**ولعل سبب قولهم بوفاته سنة سبع وثلاثين:** هو قولهم: توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه من صفين(2)، فظنوا: أن وفاته كانت فور رجوعه منها.. الذي كان في صفين سنة سبع

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص82 ( عهد الأشر ) الكتاب رقم 53 وبحار الأنوار ج33 ص605 وج74 ص249 وميزان الحكمة ج1 ص420 وج2 ص1413 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج4 ص295 وج7 ص62 وتحف العقول ص133 ونهج السعادة ج5 ص80 و81.

(2) هذه هي عبارة الشريف الرضي نهج البلاغة الحكمة رقم [111] فراجع.

وثلاثين.

ولم يلتفتوا إلى أن موت سهل بعد صفين، لعله لم يحصل مباشرة، بل تأخر أشهراً عديدة إلى أن دخلت سنة ثمان وثلاثين، فيصدق على من توفي سنة ثمان وثلاثين: أنه توفي بعد مرجعه من صفين أيضاً.. وقد صرح كثيرون بوفاة «رحمه الله» سنة ثمان وثلاثين<sup>(1)</sup>، بل ويعزز ذلك قولهم: إن ابن عباس قد أرسل زياداً إلى فارس في سنة

---

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 2 ص 92 و (ط دار الجيل) ج 2 ص 663 والإصابة ج 2 ص 87 و (ط دار الكتب العلمية) ج 3 ص 165 والمستدرک للحاكم ج 3 ص 462 و (بتحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي) ج 3 ص 408 و 409 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 472 والتمهيد لابن عبد البر ج 21 ص 192 وتاريخ خليفة بن خياط ص 198 و (ط دار الفكر) ص 149 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 596 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 352 والوافي بالوفيات ج 16 ص 6 وعمدة القاري ج 13 ص 278 والآحاد والمثاني ج 3 ص 455 والمعجم الكبير ج 6 ص 72 والإستذكار لابن عبد البر ج 8 ص 483 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص 157 والدرجات الرفيعة ص 390 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 472 وج 6 ص 15 وطبقات خليفة ص 153 والثقات لابن حبان ج 3 ص 170 ومشاهير علماء الأمصار ص 80 والتعديل والتجريح للباقي ج 3 ص 1278 وأسد الغابة ج 2 ص 365 وتهذيب الكمال ج 12 ص 185 وسير أعلام النبلاء ج 2 ص 325 وإسعاف المبطأ برجال الموطأ ص 44 و 45 والمعارف لابن قتيبة ص 291

تسع وثلاثين.. وذلك بعد إخراج سهل بن حنيف من فارس(1).  
إذ لا يعقل أن يموت سهل بن حنيف سنة سبع وثلاثين، ثم يتركها  
علي «عليه السلام» سنتين بلا وال عليها، ومدبر لشؤونها.

### مسلمون، وعلوج، وأكراد:

ثم إننا حين نقرأ النصوص المتقدمة يخيّل إلينا: أن ثمة روائح  
عنصرية في تصنيف الناس تزكم الأنوف، لأننا نراهم يقولون: قتلوا  
سبعين من بني ناجية ومن معهم من العرب.. ونحواً من ثلاث مئة من  
العلوج والأكراد.

فالتعبير بالأكراد وبالعرب.. يشير إلى أن ثمة فرقاً بين هذين  
الصنفين من الناس، لخصوصية العربية والكردية. وأن ثمة حقد زائداً  
على الأكراد دعا إلى قتل هذا العدد الكبير منهم!!  
غير أننا نقول:

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص137 و 122 و (ط الأعلمي) ج4  
ص105 حوادث سنة 39 وراجع: الإستيعاب (بهامش الاصابة) ج2  
ص92 و (ط دار الجيل) ج2 ص663 وأسد الغابة ج2 ص573 رقم  
2289 وتاريخ خليفة بن خياط (ط دار الفكر) ص144 والثقات لابن حبان  
ج2 ص295 والكامل في التاريخ ج3 ص367 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3  
ص554 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص351  
والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص183.

إن التأمل في النصوص يعطي: أن المقصود بالعرب: المسلمون منهم، والمقصود بالعلوج: هم النصارى من العجم، والمقصود بالأكراد: أناساً من اللصوص والمشايخين يبدو أنهم كانوا لا يرجعون إلى دين، وكان أكثرهم من الأكراد.

ولعلمهم هم الذين قصدهم معقل بن قيس حين كتب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يخبره بما جرى، حيث قال: لقينا المارقين (ويقصد بهم المسلمين من بني ناجية والعرب، بدليل أنه لم يقتل منهم مدبراً، ولا أسيراً، ولا ذف على جريح) «وقد استظهروا علينا بالمشركين»، وهو يقصد الأكراد والنصارى..

**وليس المقصود:** أنه يحارب الأكراد لمجرد أنهم أكراد، بل قتل هؤلاء لأنهم محاربون مسلمون، وقتل أولئك لأنهم مشركون، أو لأنهم مفسدون في الأرض بداعي اللصوصية، ونهب الأموال..

**لا تبغ، لا تظلم، لا تتكبر:**

**وقد لفتت نظرنا:** وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعقل بن قيس، فقد تضمنت ثلاث كلمات، هي:

1 - لا تبغ على أهل القبلة.

2 - ولا تظلم أهل الذمة.

3 - ولا تتكبر، فإن الله لا يحب المتكبرين..

وفي هذه الوصية جهات عديدة ينبغي التوقف عندها، هي التالية:

1 - إنه لم يطلب من معقل أن يفعل كذا.. وكذا.. وكذا.. لأنه لو أراد أن يعدد له ما يجب، أو ما ينبغي له أن يفعله لطلال به المقام.. كما أنه لا يمكنه أن يفتحه بما يجب عليه أن يفعله في المستجدات والمفاجآت، وهي قد يصعب حصرها. وربما لم يكن هناك مصلحة بقراءة أحداث المستقبل له قبل وقوعها. بل اكتفى بوضع حد له يبين له نهايات تصرفاته، وأفعاله.. وحدَّ النهاية التي يحظر عليه بلوغه هو البغي والعدوان.

وهكذا الحال في تصرفه مع أهل الذمة، فإن الحد الذي يجب أن يقف عنده هو الظلم لهم..

كما أن عليه أن يتصرف مع الناس بصورة طبيعية، ووفق ما يفرضه الحال. فلا يصل إلى التكبر عليهم، بل يجب التوقف عند هذا الحد أيضاً.

2 - والسبب في إنه «عليه السلام» لم يتحدث لمعقل عن الكيفية التفصيلية لتعامله مع المسلمين وأهل الذمة، ولا أشار إلى طبيعة نظرته إلى داخل ذاته، ولم يطلب منه مراقبة حالاته، هو أن جميع ذلك محكوم لضوابط وحدود مبينة في الشرع الشريف.. كما أن معقلاً مجرد قائد ميداني لقوة عسكرية مكلفة بإنجاز مهمة قتالية محددة، وليست لها ولا لقائدها مهمات سياسية، ولا ثقافية، ولا مشاريع عمرانية، ولا إقتصادية، ولا إجتماعية..

فيبقى مجال قائد هذه المجموعة محصوراً في الأمر والنهي في

نطاق التدبيرات العسكرية، ووضع الخطط بما يرتبط بالشؤون التي تهم العسكر..

3 - إن المسلمين لهم حرياتهم، وحقوقهم، وهي مضمونة لهم في الشرع الإسلامي، والبغي هو الاستطالة على الطرف الآخر، وتجاوز الحد معه، وليس لأحد على المسلمين من سبيل، إلا إذا جعلوا هم السبيل على أنفسهم بسوء اختيارهم. فلا بد في هذه الحالة من الإقتصار في ردعهم وردهم على القدر المسموح به شرعاً، والزيادة عليه تعتبر بغياً وعدواناً عليهم..

ومعقل بن قيس سوف يواجه هذه المشكلة في مسيره ذاك، لأن بعض أهل القبلة سيواجهونه بالحرب، فيحتاج إلى ردعهم، وعليه أن يقتصر على ما يدفع به غائلتهم، ولا يتجاوز ذلك.. لكي لا يصبح باغياً.

4 - كما أنه سوف يواجه أهل الذمة في مسيره ذاك، لأن بعض بني ناجية كانوا نصارى، ومن أهل الذمة. وكان الحكم فيهم أن يأخذ منهم الجزية، ويخلي سبيلهم، وسبيل عيالاتهم..

وأما النصارى المعاهدون، أو الذين جاؤوا ليحاربوا هذا الدين وأهله، وقد سباهم هم وعيالاتهم.. فهؤلاء هم الذين باعهم إلى مصقلة، فأعتقهم، وكان من أمره ما كان..

وحيث إن الظلم هو الحيف، والإنقاص من الحق، أو وضع الشيء في غير موضعه، فإن قتل أهل الذمة، أو استرقاقهم، أو أخذ

أموالهم، أو إنزال أية عقوبة أخرى بهم.. تعتبر حيفاً عليهم، وانتقاصاً من حقهم، ووضعاً للشيء في غير موضعه.. وهذا هو ما يسمى بالظلم.

ولذلك قال «عليه السلام» لمعقل: «لا تظلم أهل الذمة..»، ولم يقل: لا تبغ عليهم.

5 - ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يذكر له شيئاً عن النصارى من غير أهل الذمة، فإن النص المتقدم يشير إلى مشاركة بعضهم في الحرب.. لأن حكمهم معلوم، ولعله لم يذكرهم لقلتهم بينهم. أو لعله لأن حكمهم يعود إليه، ولا يريد أن يطمعهم في شيء، لأن ذلك قد يجروهم على شن الحروب على المسلمين.

6 - ويبدو أيضاً: أن المرتدين عن الإسلام قد ارتدوا هم وعيالاتهم، ولذا ذكر الثقي أنه «عليه السلام» أمر معقلاً بقتلهم إن لم يرجعوا إلى الإسلام.

قال الثقي عن بني ناجية: «صنفهم ثلاثة أصناف وقال:

أما المسلمون، فخذ منهم البيعة، وخل سبيلهم.

وأما النصارى فخذ منهم الجزية، وخل سبيلهم، وسبيل عيالاتهم.

وأما المرتدون فاغر بهم وبعيالاتهم، وأموالهم، ثم ادعهم إلى الإسلام ثلاث مرات، فإن أجابوك، وإلا فاقتل مقاتليهم، واسب ذراريهم..

فلم يجيبوه، فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، فاشتراهم مصقلة (1)، وإنما فعل بهم ذلك، لأنهم محاربون، ومعتدون، ولا يعد قتلهم، أو استرقاقهم ظلماً لهم.

7 - ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قال لمعقل أيضاً: لا تبغ على أحد من المسلمين.. لأنه «عليه السلام» وإن كان يعلم أن الخوارج عليه ليسوا بمسلمين كما صرح به النص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكنه لم يكن يريد أن يرخص للناس في أمر قتلهم، لأنه يعلم أن بعض الناس قد يشاركون في الحرب معهم لشبهة تعرض لهم، أو لأجل الحصول على شيء من حطام الدنيا، وربما شارك بعضهم في الحرب خوفاً من بطش الخوارج به.. وربما.. وربما..

وهذا وإن كان ذنباً عظيماً، ولكن المطلوب هو إخماد نار الحرب، ومعالجة الشبهات التي يثيرها أهل الباطل في أذهان الناس.. وليس المطلوب هو الإبادة والإستئصال.. إلا حين يصر أولئك الأشرار على مواصلة الحرب إلى أن ينتهي أمرهم ويعفى أثرهم..

**ولأجل ذلك:** أعطى «عليه السلام» ضابطة تقضي بمنع البغي عن كل مصلٍّ إلى القبلية. حيث يكتفى بدفع شرهم، وإخماد نارهم، وإنزال العقوبة بمن يستحقها منهم، فيقتل القاتل، ويمنع الباغي عن بغيه..

---

(1) الغارات للثقي ج 1 ص 329 و 330.

**8 -** أما نهيه «عليه السلام» معقلاً عن خصوص صفة التكبر، فلأن هذه الصفة هي التي تعني الناس الذين يكونون تحت إمرته، وهم الذين تتأذى أرواحهم بها، وتشمئز نفوسهم، وتنفر قلوبهم منها.. وهي الصفة التي يمقتها الله، ويبغضها في عباده، وتغذيها طاعة الأوامر، وهي التي تطيح بالمودة، وتختلس الكرامة، وتودي بالرياسة والزعامة..

### قطع رأس الخريت:

وذكرت رواية ابن أعثم: أن معقل بن قيس بعد أن انتهى من أمر بني ناجية، أمر برأس الخريت، فأخذ..  
وظاهر هذا الكلام: أن رأس الخريت قد قطع بعد موته.. لأنه صرح قبل هذا بثلاثة أسطر: بأن معقلاً كان قد قتله بضربة منه على أم رأسه، فجذله قتيلاً..

وقد تقدم معنا حين الحديث عن واقعة النهروان: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان ينهى عن مثل هذا.. ومن البعيد أن يتجرأ معقل على فعل أمر لا يرضاه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وينهى صراحة عنه، لأنه يعلم أن هذا الأمر سيبلغ علماً «عليه السلام» بواسطة عيونه الذين كان يرسلهم مع كل قائد سرية وجيش<sup>(1)</sup>.. ولن يسكت «عليه السلام» عن مؤاخذه معقل على هذا

(1) نهج البلاغة، قسم الخطب ج 3 ص 96، وراجع: قرب الإسناد ص 148

الأمر..

إلا إن كان معقل لم يبلغه هذا النهي عن أمير المؤمنين «عليه السلام».. وهذا بعيد.

ولذلك نرجح أن هذه الفقرة مدسوسة في الرواية..

### عدد جيش الخريت:

وأخيراً.. فإننا نرجح رواية ابن أعثم القائل: إن جيش الخريت كان يضم عشرة آلاف مقاتل، وإن جيش معقل كان أربعة آلاف، وقد قتل من قتل، وأسر من أسر، وأفلت من أفلت..

وعادة ما يهزم الجيش الذي يضم خليطاً من الأوباش واللصوص، وذوي الأطماع أمام الجيش المؤمن بقضيته، حين يكون قلباً واحداً، وله قيادة حكيمة وواعية، وشجاعة ومجربة. كما كان الحال في هذه المعركة..



## الفصل الرابع:

وقفات مع حديث مصقلة..



## بداية:

أما حديث مصقلة، ففيه أمور كثيرة جديرة بالتوقف عندها، ولكننا نختار منها الأمور التالية:

## أحسن وأصبت:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن معقلاً حين ذكر لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن مصقلة بن هبيرة اشترى منه أسارى بني ناجية وسببهم قال له «عليه السلام»: «أحسن وأصبت».

ولعل سبب هذا التحسين والتصويب: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يريد أن يحتفظ بسبي، يتداولهم الناس بالإسترقاق، وتتعاقب عليهم الأيدي، ولعل ذلك لأكثر من داع وسبب، وليس منها أنه قد نقض بسببه لهم ما سنه عمر في العرب، وبنو ناجية من العرب، لأننا نعرف أن علياً لا يهتم إلا بالحكم الشرعي الذي جاء به الرسول..

## ولكننا نقول:

لعل من أسباب استحسانه وتصويبه: أنه «عليه السلام» كان يعرف أن الإسلام وإن كان قد أجاز السبي، ولكنه لم يكن يريد أن يتكرس في الناس كأمر طبيعي، يمكن لأهل الأطماع أن يرغبوا فيه، وأن يتعاملوا به، ويلحقوه كمصدر رزق حيوي لهم، وأن يبحثوا عن مناشئه ومجالاته.

بل أجازة ليكون مجرد إجراء رادع فرضته الضرورة، ليكون استثناء عارضاً، لا بد أن ينتهي ويزول بمجرد اقتلاع أسبابه من الحياة الطبيعية.. للبشر بصورة عامة..

ولأجل ذلك كانت التشريعات الإسلامية متضافرة ومتوافرة على تفتيت ظاهرة الإسترقاق، وتذويبها بصورة تدريجية وهادئة، ومدرسة وملموسة.. حتى إن الناس لم يشعروا بانسلاخها واندراسها من حياتهم كلها.

وقد أظهر هذا الإستحسان والتصويب من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام» لما فعله مصقلة: أن أمر السبي يعود للإمام، فيمكنه أن يبيعه، ويمكنه أن يقسمه، ولا ينحصر الأمر بالتقسيم.

### الخيانة والغش:

ثم إن ملاحظة كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مصقلة لا تظهر أنه قد اتهم مصقلة بالخيانة، أو بالغش، وإلا لكان قد أرسل إلى ابن عباس: أن يأخذه ويحبسه، أو كان قد بادر إلى اعتقاله بمجرد دخوله الكوفة، ولم يصبر عليه أياماً كما ذكر في النصوص المتقدمة..

بل أراد «عليه السلام» برسالته تلك أن يحذره من أن ينتهي به الأمر إلى أحد أمرين: إما خيانة الأمة، أو غش الإمام..

والغش مقابل النصح. وهو أن يظهر له خلاف ما أضمره، ويزين له غير المصلحة.

والخيانة، مقابل الأمانة. فمن لا يؤدي الأمانة إلى صاحبها على حالها، فهو خائن. ويقال: خان العهد: أي نقضه.

**والمفروض:** هو أن لا يكون الإنسان غاشاً لإمامه، فلا يبتطن له خلاف ما يظهر، ولا يبغى الإضرار به في قول ولا في فعل..

**وواضح:** أن مصقلة مصداق للخائن هنا، لأنه كان يحاول أن يلحق الضرر بإمامه بالتسويق والتساهل في أداء المال، الأمر الذي يؤدي إلى اتهام الإمام بالتقصير في التدبير، فيكون مصقلة بذلك قد ألحق الضرر بإمامه، فهو غاش له..

كما أنه إذا كان بتسويفه ومماطلته في دفع المال ينوي أن يذهب بالمال الذي للأمة، فإنه يكون قد خان الأمانة، ولم يؤدها إلى أهلها.. كما أنه يكون قد نقض عهده مع الأمة، حيث إنه يدعي لها أنه أمين على مصالحها، ولا يفرط بأموالها ومنافعها..

فمن يتجرأ على خيانة الأمة في الأمانة التي لها عنده، وفي العهد الذي قطعه على نفسه، فإنه سيخون أحاد الناس، لأنهم أدنى خطراً من الأمة بنظره.

ومن يتجراً على غش إمامه، فلن يكون ناصحاً لغيره من سائر الناس، لأن الإمام أقوى من جميع الناس بنظر الناس..

علي × ليس كعثمان:

وقد أخطأ مصقلة حين توهم: أن علياً «عليه السلام» يتعامل معه كما تعامل عثمان مع الأشعث بن قيس وغيره من عماله. ولا ندري كيف وقع بهذا الخطأ، وهو يعاين شدته «عليه السلام»، ودقته في مراعاة أحكام الشرع، وفي محاسبة العمال.

بل إن مصقلة نفسه قد واجه المحنة مع علي «عليه السلام» في مرة سابقة على هذه، فكيف لم يتعلم منها؟! ولماذا لم يقدر أن علياً «عليه السلام» لا يتسامح في أموال الأمة؟!!

فقد بلغ أمير المؤمنين «عليه السلام» أن مصقلة يفرق في قومه وغيرهم من الشعراء والوافدين عليه أموال البلد الذي ولاه علي «عليه السلام» عليه، وهو «أزدشير خُرة». فكتب إليه «عليه السلام» يقسم بالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة: أن يفتش عن هذا الأمر، فإن وجده حقاً «لتجدنّ بنفسك عليّ هواناً، ولتخفنّ عندي ميزاناً» (1).

---

(1) كتاب سليم بن قيس ص 182 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج 3 ص 68 الكتاب رقم 43 وبحار الأنوار ج 33 ص 516 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 9 ص 137 وميزان الحكمة ج 4 ص 3694 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 16 ص 175 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب

فما باله يمني نفسه الآن: بأن يهبه علي «عليه السلام» هذا المال الذي لا يملكه علي «عليه السلام»؟!

### فعل السادة وقرار العبيد:

**وتقدم:** أنه لما هرب مصقلة إلى معاوية - ولم يؤد المال - قال «عليه السلام»: قبح الله مصقلة، فَعَلَ فَعَلَ السادة وفر فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكّته، ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره(1).

**وفي نص آخر:** بعد قوله: «وفر فرار العبيد»، لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه، فإن أعسر أنظرناه، وإن عجز لم نأخذه بشيء(2).

ج 12 ص 307 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 201 وأنساب الأشراف ج 3 ص 389.

(1) كتاب سليم بن قيس ص 182 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 95 الكتاب رقم 44 والغارات للثقف ج 1 ص 364 - 366 و (تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي) ج 2 ص 770 وبحار الأنوار ج 33 ص 405 وج 34 ص 41 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 8 ص 344 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 119 وأنساب الأشراف ج 3 ص 181 و 182 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 129 - 130 وتاريخ مدينة دمشق ج 58 ص 272 رقم 745 والفتوح لابن أعمش ج 4 ص 244 والبداية والنهاية ج 7 ص 310 والكامل في التاريخ ج 2 ص 421.

(2) مروج الذهب ج 2 ص 407 و 408 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب

## ونقول:

1 - لقد كان مصقلة - كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام» - في غنى عن هذه الفضيحة، فإن كان له مال أدى به ما عليه، وإن لم يكن له مال، فقد كان أمامه حلول كثيرة:

**أولها:** إن مصقلة معسراً، فقد كان يعلم أنه «عليه السلام» لا يخالف أحكام الشرع، وقد قال تعالى عن صاحب الدين: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ..)(1).

**الثاني:** كان باستطاعته أن يشتري الأسرى والسبايا، وقبل أن يعتقهم يشترط عليهم أن يعينوه في جمع ثمنهم..

**الثالث:** لو أنه أنف من ذلك، وأحب أن يتكرم عليهم، فقد كان يمكنه أن يطلب المهلة من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حين يتمكن من أداء دينه..

**الرابع:** إذا عجز عن أداء الدين، ولم يكن له مال.. فإنه يعلم أن علياً «عليه السلام» لا يحمله ما لا يطيق.. فلماذا يهرب إلى معاوية؟! فليقم في بلده، فإن تيسر له مال أدى دينه، ولم يتيسر له مال، فإن علياً «عليه السلام» لا يتعرض له شيء.

2 - إن مصقلة قد فعل أمراً جميلاً يستحسنه كل من سمع به، لأنه

يتضمن الإحسان لأناس أصبحوا في مأزق، وقد استرحموا فرحمهم..  
**لكن الذي يظهر لنا:** هو أن مصقلة لم يقدم على ما أقدم عليه عن  
 حس إنساني تبلور لديه، ودفعه لفعل ما أقدم عليه.. بل اندفع إلى ذلك  
 بدافع طلب الشهرة، وحباً بالدنيا..

وربما خالط ذلك شعور منه بأن هذا الإحسان سيلقى قبولاً عند  
 علي «عليه السلام»، وسيسامحه بالثمن الذي تعهد بإعطائه..  
 كما كان عثمان يسامح أقاربه، والمقربين عنده، والأثيرين لديه،  
 كالأشعث بن قيس كما صرح به زهل بن الحارث.. فيما رواه لنا عن  
 مصقلة نفسه.

وبذلك يكون قد أضمر الغش للأمة، والخيانة للإمام، كما ألمح  
 إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» في الرسالة التي كتبها إليه، ففضحه  
 الله تعالى، ولم يتهنأ بالثناء الذي توقعه، ولا اكتسب الشهرة التي  
 توخاها بفعله هذا.

**3 -** إن مصقلة قد فاجأ الناس بفعله المتناقض، فإنه لم يكد يفرغ من  
 ذلك الفعل الحسن الجميل والجليل، ويتسامع به الناس، حتى فاجأهم  
 بخبر هربه إلى معاوية، فمن يفعل هذا الفعل الجميل لا يهرب إلى  
 إنسان يقتل عشرات الألوف من المسلمين من أجل الملك، إلا إذا كان  
 الهارب إليه من نفس فصيلته، ويحمل نفس أفكاره.. وله نفس مشاعره  
 وأهوائه وطموحاته.

**4 -** إن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يسامح مصقلة بن هبيرة

بمال لا يملكه، ولا يحق له التخلي عنه، لأنه سيكون من قبيل من يسرق أموال اليتامى، ويتصدق بها على الفقراء. فلا مجال لتوقع مصقلة من علي «عليه السلام» أن يقدم على أمر كهذا..

بل يكون مصقلة محسناً وكريماً، ونبيلاً في هذه الحال، ويكون أمير المؤمنين «عليه السلام» خائناً لأمانته، سارقاً لأموال الناس، والعياذ بالله.

5 - فإذا سأل سائل عما يميز فعل السادة عن فعل غيرهم.

**فإن الجواب:** أن فعل السيد هو تصرف يختزن معنى الإقدام والمبادرة، والكبرياء، والاختيار، والإرادة والقوة، والحرية والاستقلال في اتخاذ القرار، وفي متابعته في مجال التنفيذ إلى أن يصبح أمراً واقعاً، وعينياً مشاهداً.

وأما فعل العبيد، فهو تابع للغير، ومرتهن به، وهو فاقد لكل هذه العناصر التي ذكرناها آنفاً.

6 - أما فرار العبيد، فهو الفرار الذليل الخاضع، والضعيف الخانع، الذي يحمل معه الروح المهزومة، والضياع في المجهول، وتترقب الأخذ بالخناق في كل وقت وحين، وقد قال الرسول الذي أرسله قوم مصقلة إليه في الشام، ليرده إليهم - قال مصقلة -: أنت بالعراق تُتَّبَع، وأنت بالشام تُتَّبَع.

فرار العبيد لا يعطيه الشعور بالحرية، ولا يعطيه كرامة ولا كبرياء، ولا استقلالية، ولا اختياراً، ولا قوة ولا يزيل معنى العبودية

والرق عنه، بل يحرمه الرعاية والحماية، ويفقده الأمن، ويلقيه في المجهول.

7 - أما قوله «عليه السلام» عن مصقلة: وخان خيانة الفاجر، فسيأتي الإشارة إليه في الفقرة التالية.

8 - يلاحظ: أنه «عليه السلام» قال كما في بعض النصوص، التي يدل اختلافها على تعدد ذكر مصقلة في كلامه «عليه السلام»، تبعاً لتعدد السؤال عن حاله وماله: «لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه» في إشارة منه لاحتمال أن يسعى مصقلة لإخفاء أمواله، أو التصرف فيها بطريقة تمنع من أخذها، ولو بأن يهبها لقريب أو حبيب، أو يبيعها بيعاً صورياً، أو ما إلى ذلك من تصرفات.

9 - والحبس الذي ذكره «عليه السلام» وهو يتحدث عن مصقلة، إنما يراد به الحبس المؤقت لاستبراء حال مصقلة في أمر المال.

### خيانة الفاجر:

وسياق رواية ابن أعثم يعطي: أن مصقلة قد بدأ المماطلة منذ اللحظة الأولى لشرائه للسبي، فقد فر إلى البصرة في نفس الليلة بعد أن اشتراهم بالنهار، ثم ماطل ابن عباس، وهرب إلى علي «عليه السلام» بالكوفة.

ويبدو: أنه كان يأمل أن تُعجبَ علياً «عليه السلام» مبادرته إلى شراء السبي، وتهزه الأريحية، ويهبه المال، ولكنه فوجئ بخلاف ما

ظنه، فبادر بعد أن حاول أن يرضي علياً «عليه السلام» بجزء من الثمن، فلما رأى أن ذلك لم يقنعه «عليه السلام» بادر إلى الفرار إلى معاوية بالشام.

**ويبدو لي:** أن مصقلة كان قادراً على إعطاء المال، ولكنه كان يماطل، ويحاول أن يستأثر به لنفسه.

وأستطيع أن أفهم ذلك من عدة قرائن، فمن ذلك من قول أخيه نعيم:

**لو كنت أديت مال الله مصطبراً للحق أحييت أحيانا وموتانا**

فإنه يشير إلى أن مصقلة كان قادراً على تأدية المال، ولكنه استعظم ذلك، وأراد من علي «عليه السلام» أن يسوغه إياه، كما كان عثمان يسوغ الأموال للأشعث ولغيره، فلم يفلح.

ويدل على ذلك قوله لأخيه:

**وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب**

وقد كتب له حزين: «وقد كان أول أمرك أنك قلت: أفوز بالمال، وألحق بمعاوية»<sup>(1)</sup>.

**ويلاحظ من سياق رواية ابن أعثم:** أن مصقلة كان ماكراً ماهراً، ومحتالاً باطناً وظاهراً، وما زال يتلون، ويتحايل، ويمكر، حتى انتهى به الأمر إلى أن يخون، ويفجر. وإن دل ذلك على شيء دل على

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 242.

تعمده الباطل، وقبوله بسمه الخيانة، فكان من الخائنين ومعهم.

**ولذلك قال عنه علي «عليه السلام»: «خان خيانة الفاجر»، لأن**  
 الفاجر لا يخجل بخيانتته، بل هو الذي يعلنها على الملأ، ويتبجح بها  
 كما تقدم في الأبيات التي قالها، وفيها:  
**وزايدت فيهم لإطلاقهم وغاليت إن العلى غالية**  
 فاقراً بعد هذا واعجب ما بدا لك.

**هدم دار مصقلة، لماذا؟!:**

**وتقدم:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد هدم دار مصقلة بعد  
 هربه إلى معاوية، والسؤال هو: لماذا يهدمها ولا يأخذها استيفاء  
 لبعض المال الذي كان في ذمة مصقلة من ثمن السبي؟! ولماذا يتلف  
 هذا المال حيث لا فائدة، ولا يعطيه لفقير محتاج، أو يتيم لا كافل له؟!  
**ونجيب:**

**أولاً:** إن المقصود من هدم داره: أن يكون هدمها عبرة لكل من  
 مر بالقرب منها. ليفهم الجميع أن عاقبة الخيانة هي خراب  
 الديار، وإعفاء الآثار.

**ثانياً:** إن هدمها يستبطن الإهانة والذل لصاحبها، وأن عاقبته أن  
 تهدم داره، وأن تعفى آثاره، وهذا جزء من عقوبته، ومن موجبات  
 تصغير شأنه، ووهن أمره، وتذكير الناس بخيانتته على مر الأيام  
 والأعوام، وهذا يؤذيه بلا ريب.

**وتقدم قول ابن أعثم:** «ولم يبق في العراق أحد من ربيعة إلا وذكر مصقلة بن هبيرة بكل قبيح، إذ فارق علياً، وسار إلى معاوية، حتى قال مصقلة:

**لعمري لئن عاب أهل العراق علي عتاق بني ناجية  
الأبيات».**

وهذا الأمر أهم من استرداد بعض المال لبيت المال. وربما كان لهدم دار هذا المخذول بعض التأثير في امتناع نعيم بن هبيرة من الإستجابة لطلب أخيه مصقلة، حين أرسل إليه يغريه بالذهاب إلى معاوية، لأنه وعده الإمارة والكرامة.

**فقد رأى نعيم:** أن الذل يلحقه بمفارقتة علياً «عليه السلام»، وما سينشأ عن ذلك من عار دائم، وخزي مقيم. لا تجبره إمارة معاوية، ولا تعوض عنه الأموال المشؤومة التي يهبها له.

وإنما هي أموال الناس التي استولى عليها معاوية ببغيه، ومن موقعه المغتصب من أهله، وقد وصل إليه على أجساد عشرات الألوفا من الضحايا.

وقد أشار نعيم بن هبيرة إلى أن ما فعله أخوه قد أسقط عزه، وذهب بكرامته، وبغضه للناس وأسقطه. فقد قال:

**قد كنت في منظر عن ذا ومستمع تحمي العراق وتدعى خير  
شيانا**

**حتى تقحمت أمراً كنت تكرهه للراكبين له سراً وإعلاناً**

لو كنت أديت مال الله مصطبراً      للحق أحييت أحياناً وموتاناً  
لكن لحقت بأهل الشام ملتصاً      فضل ابن هند وذاك الرأي  
أشـ \_\_\_\_\_ جانا  
فاليوم تقرر سن العجز من ندم      ماذا تقول وقد كان الذي كانا  
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة      لم يرفع الله بالبغضاء  
إنساناً

### قطع يد الرسول:

ولا حاجة إلى التذكير بأن علياً «عليه السلام» قد قطع يد النصراني الذي حمل الرسالة بيده إلى نعيم بن هبيرة لأنه أقدم على أمر خطير جداً من شأنه لو استجاب نعيم بن هبيرة، لميكدة أخيه، ولمكر معاوية: أن يضعف أمر أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويزيد من رغبة أصحاب النفوس الضعيفة والمريضة، الراغبة بالدنيا بالمسير إلى معاوية، وبذلك تضعف من درجة اعتماد الناس على حكومة أمير المؤمنين «عليه السلام». وربما تفاقمت الأمور إلى ما هو أمرٌ وأشرُّ، وأدهى وأضر.

ولأن هذا العمل يعتبر من أعمال الخيانة، ومن السعي في إفساد الأمور، والتوطئة لما هو أكبر وأعظم، وهو أيضاً نقض للعهد، إن كان ذلك النصراني معاهداً، ويعتبر خيانة إن كان من أهل الذمة، فإن جزاءه هو قطع يده، التي حمل بها رسالة الفساد والإفساد. وهذا ما حصل بالفعل.

### يمشي العرضنة:

وقد جاءت أبيات نعيم بن هبيرة التي بعث بها لأخيه مصقلة بالغة الدلالة على يقظة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعلى شدة حذره، وعلى دقته في مراقبته لكل شاردة وواردة، فقد قال مشيراً إلى الرسول النصراني المسمى بطلوان:

**ماذا أردت إلى إرساله سفها      ترجو سقاط امرئ لم يلف  
وسنانا**

وقال:

**عرضته لعلي إنه أسد      يمشي العرضنة من آساد  
خفانا**

والمراد بالمرء الذي لم يلف وسنانا: علي «عليه السلام».

والوسن: هو النعاس.

ومشي العرضنة هي المشية التي فيها اعتداد بالنفس، وإظهار للقوة. كمشية الأسد المواربة، حيث يمشي في جهة، وينظر إلى جهة أخرى بطرف عينه.

**ثمن الأسرى:**

وقد اختلفوا في الثمن الذي اتفق عليه مصقلة ومعل، فقد تقدم عن الطبري: أنه ألف ألف درهم.

وعن المسعودي: أنه ثلاثمائة ألف (1).

وعند الثقفى والمعتزلي: أنه خمسمائة ألف.

ويبدو لنا: صحة ما ذكره الثلاثة معاً، فقد تقدم: أن معقلاً طلب ألف ألف، فلم يزل يداريه، ويماكسه فيهم حتى باعه إياهم بخمسمائة ألف.

ثم دفع مائتي ألف (2). وبقي في ذمته ثلاثمائة ألف.

لكن رواية ابن أعثم تقول:

إنه إنما أدى من المال مئة ألف فقط، فراجعها.

عاديت النبي محمداً / :

وما أروع قول الحضين بن المنذر في أبياته التي أرسلها إلى مصقلة:

ففارقت من قد يحسر الطرف دونه      جهارا وعاديت النبي محمدا

لعل الصحيح: يحسر الطرف دونه، فإنه مقتبس من قوله تعالى: (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) (3).

كما أنه «رحمه الله» يرى: أن معاداة علي «عليه السلام» معاداة

(1) مروج الذهب ج 2 ص 408.

(2) مروج الذهب ج 2 ص 408.

(3) الآية 4 من سورة الملك.

للنبي «صلى الله عليه وآله»، وكيف لا يكون كذلك، وعلي «عليه السلام» هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة التي تقول: (..فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(1).

وفي أبيات حُضِينِ إشارات ودلالات أخرى تظهر للمتأمل..

هذا.. والأغرب والأعجب: أن يصر مصقلة على فراق علي «عليه السلام» أبد الدهر، رغم اعترافه بأنه «عليه السلام»: «خير حاف وناعل» كما ورد في شعره الذي أرسله إلى ربيعة.

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.



## الفصل الخامس:

اللمسات الأخيرة  
حول الخوارج..



## علي × يعالج أو هام الناس:

وبعد انتهاء هذه المعركة بهذه النتائج المذهلة كان لا بد من معالجة أو هام الناس وفقاً بهم، ورعاية لأحوالهم، وقد ذكرت الروايات طرفاً من هذه المعالجة على النحو التالي:

1 - عن أبي كثير مولى الأنصار: كنت مع سيدي مع علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» حيث قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم. فقال علي «رضي الله عنه»:

يا أيها الناس! إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك: أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد<sup>(1)</sup>، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه، فإني أراه فيهم.

---

(1) مخدج اليد: ناقص اليد. راجع: لسان العرب ج 2 ص 248.

فالتمسوه، فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه.  
فكبر علي «رضي الله عنه»، فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله.  
وإنه لمتقلد قوساً له عربية، فأخذها بيده، فجعل يطعن بها في  
مخدجته ويقول: صدق الله ورسوله.  
وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا  
يجدون<sup>(1)</sup>.

2 - عن بسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع: إن الحرورية  
لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» - قالوا: لا  
حكم إلا لله.

قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله «صلى الله  
عليه وآله» وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق  
بألسنتهم، لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله  
إليه منهم أسود، إحدى يديه طبي شاة، أو حلمة ثدي.  
فلما قتلهم علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» قال: انظروا.  
فنظروا، فلم يجدوا شيئاً.

فقال: ارجعوا، فوالله! ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثاً - ثم

---

(1) مسند أحمد ج 1 ص 88 و (ط أخرى) ج 1 ص 191 والبداية والنهاية ج 7  
ص 294 وراجع: تاريخ بغداد ج 1 ص 38/199 وموسوعة الإمام علي بن  
أبي طالب ج 6 ص 379.

وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم<sup>(1)</sup>.

3 - ويقول نص آخر: وأمر علي بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فقام علي وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض. فقال: أفرجوا. ففرجوا يميناً وشمالاً، واستخرجوه.

فقال علي «رضي الله عنه»: الله أكبر، ما كذبت علي محمد، وإنه لناقص اليد، ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة، ثم قال: انتوني به.

فنظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة، عليه شعرات سود، إذا مدت اللحم امتدت، حتى تحاذي بطن يده الأخرى، ثم تترك فتعود إلى منكبه. فثنى رجله ونزل، وخر لله ساجداً<sup>(2)</sup>.

4 - عن عبد الملك بن أبي حرة: إن علياً خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جبرة، والريان بن صبرة بن هودة،

(1) صحيح مسلم ج2 ص749 ح157 وتاريخ بغداد ج10 ص305 ح5453

وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص380.

(2) مروج الذهب ج2 ص417 وراجع: سنن أبي داود ج4 ص244 ح4768

وص245 ص4769 ومسنند أحمد ج1 ص230 ح848 وموسوعة الإمام

علي بن أبي طالب ج6 ص380 و381 عنهم.

فوجده الريان بن صبرة بن هوزة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً.

قال: فلما استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة، له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي طول يده الأخرى، ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة.

فلما استخرج قال علي: الله أكبر! والله ما كذبت ولا كذبت، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله» لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحق الذي نحن عليه(1).

5 - وروى أحمد: أنه «عليه السلام» لما قتل الخوارج، قال: اطلبوا، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق، لا يجاوز حلقهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم (أو قال:) فيهم رجل أسود، مخدج اليد، في يده شعرات سود.

إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن فقد قتلتم خير الناس.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 88 والكامل في التاريخ ج 3 ص 348 وراجع: تاريخ بغداد ج 7 ص 237 ح 3729 والمحاسن والمساوئ ص 385 وكشف الغمة ج 1 ص 267 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 381.

قال: ثم إننا وجدنا المخدج.

قال: فخرنا سجوداً، وخر علي ساجداً معنا(1).

**وفي نص آخر:** إنهم لما لم يقدرُوا عليه، أخبرهم بذلك، فقال «عليه السلام»: الله أكبر، والله ما كذبت ولا كُذِّبت، وإنه لفي القوم. ثم قال: انتوني بالبغلة، فإنها هادية مهدية، فركبها، ثم انطلق حتى وقف على قليب، ثم قال: قلبوا.

فقلبوا سبعة من القتلى، فوجدوه ثامنهم، فقال: الله أكبر هذا ذو الثدية الذي خبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه يقتل مع شر خيل(2).

**ونقول:**

لا بأس بالإشارة إلى ما يلي:

**لا بد من حفظ اليقين:**

**إن ما جرى في النهروان لم يكن أمراً عادياً.. وذلك لما يلي:**

**1 -** إن المقتولين في هذه المعركة كانوا ألوفاً. ولم يكن هذا القتل شائعاً في طرفي النزاع، بل هو قد اختص بفريق بعينه، ولم يبق منه أحد سوى أقل من عشرة أشخاص.. مع أنه يعد بالآلوف.

(1) مسند أحمد ج1 ص108 و 147.

(2) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص413 و 414.

2 - إن الوسائل التي استخدمت في هذه الحرب كانت عادية ومتوفرة لدى الفريقين بنفس المستوى، ولكن القتل وقع على فريق بعينه دون الفريق الآخر.. وهذا هو العجب العجيب، إذ كيف لم يتسنَّ لجميع هذه الأعداد الهائلة أن تقتل من الطرف الآخر أعداداً يعتد بها، بل اقتصر الأمر على بضعة أفراد فقط؟! وهذا يزيد من هول ما حصل، ويعمق الشعور بالخيبة في الفريق المصاب، وبالعزة والتأييد الإلهي في الفريق المنتصر.

3 - إن هؤلاء القتلى هم إخوة وآباء، وأبناء، وأصدقاء، وأحباب ومعارف، وجيران، وأعوان، ورفقاء الصبا، وأهل الأنس، ولهم نفس المعتقد، ومن نفس البلد والعشيرة.. وليسوا أغراباً، ولا كانوا أعداء.. فالذين قتلوهم هم الذين خسروهم. وهم الذين باشروا دفنهم.. وداووا من عثر عليه منهم وبه رمق..

4 - لقد قتل هؤلاء بأيدي أهلهم وأحبابهم. وهذا يزيد من شدة الأمر على الروح والنفس.. ويضاعف الحسرة، ويدعو إلى الفكرة والعبرة.

5 - إن قتلهم لم يكن خطأ.. بل كان عن سابق علم وتخطيط، وتصميم.

6 - إن لهذا القتل عواقب، وآثاراً على العوائل، وعلى الذرية، وعلى العشائر، وعلى علاقات الناس ببعضهم البعض..

7 - إن قتلهم لم يكن لأجل الاختلاف في الدين على حد قتل المسلم

للمشرك، أو للخارج عن ملة الإسلام، بل هو من قتل المسلم لمن يتظاهر بالإسلام، ويؤدي شعائره، ويلتزم بعباداته، ويلزم نفسه بأحكامه.

**8 -** إن كل ذلك يفرض على القائد الحكيم، والحريص على رعيته أن يتلافى حدوث أية سلبية، ويقوم بإعطاء جرعات وقائية تحصن الناس من المشاعر السلبية في حالات كهذه.

فكيف إذا كان «عليه السلام» قد لاحظ: أن الناس كأنهم وجدوا في أنفسهم من قتلهم، حسبما تقدم؟!!

**9 -** إن هذا بالذات هو ما كان «عليه السلام» يسعى لمعالجته في ملاحظته لموضوع ذي الثدية، وفي إخباره عن عدد من يقتل، وعن لون المخدج، وعن عدد الشعرات التي على يده، ووصفه حالته، ولونها أيضاً، بعد أن وصف لهم يده وصفاً دقيقاً، وبعد أن ذكر لهم عدد من ينجو من الخوارج. بالإضافة إلى الاستفادة من بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتحديد موقع ذي الثدية القاتل.

يضاف إلى ذلك: تحديده للنقطة التي يقتلون فيها.. وغير ذلك من أمور ألمحنا إلى طائفة منها في العديد من الموارد.

**10 -** ولأجل ذلك نلاحظ: أن النصوص تصرح: بأن الناس لما وجدوا المخدج، ووقف عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، أخذ بيده قوساً عربية، وجعل يطعن في مخدجته، ويقول: صدق الله ورسوله.. لكي يلفت نظرهم إلى صدق ما أخبرهم به.. وليذكرهم بقوله: صدق

الله ورسوله: بأن ما أخبرهم به لم يكن عن اجتهاد، أو توقع منه، بل كان عن الله ورسوله، على سبيل الإخبار بالغيب.

وكبّر الناس حين رأوه، واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون..

ثم جاء سجوده «عليه السلام»، وسجود الناس معه حين رؤية المخدج ليبقى الذكرى التي لا بد أن تمر بخاطر جميع من معه، وتصبح تاريخاً وحكاية يلذ للناس تناقلها عبر الأحقاب والأجيال.

### ما الذي غر الخوارج؟!:

ونذكروا: أنه «عليه السلام» مر بقتلى الخوارج يوم النهروان، فقال: بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غركم.

ف قيل له «عليه السلام»: من غرهم يا أمير المؤمنين؟!:

فقال «عليه السلام»: الشيطان المضل، والأنفس الأمارة بالسوء، غرتهم بالأمني، وفسحت لهم بالمعاصي. ووعدهم الإظهار (أي النصر)، فاقتحمت بهم النار (1).

### ونقول:

إن كلامه «عليه السلام» هنا يدل على أن ما حدث للخوارج لم

---

(1) نهج البلاغة الحكمة رقم 323 وتاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 88 عن عبد الملك بن أبي حرة، والكامل في التاريخ ج 3 ص 348 والبداية والنهاية ج 7 ص 289.

يكن نتيجة انسياقهم مع شبهة تمكنت من نفوسهم، ولم يجدوا ما يدفعها.. إذ لا ريب في أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يترك مجالاً لهم ليتعللوا بأي شيء من هذا القبيل، لأنه أوضح لهم السبل وأبطل هو وأصحابه كل ما تذرعوها به.

فإصرارهم على الحرب، وتكرارهم لنفس الأباطيل، وعدم تخليهم عن تلك الترهات، يدل على أن الأمر لم يكن مستنداً إلى شبهة، بل هو ضلال شيطان، وذرائع باطلة أرادوا أن يتوصلوا بها إلى غايات دنيئة وسيئة، وأن تكون وسيلتهم إلى المعاصي التي طمحت لها أنفسهم الإمارة بالسوء..

**يضاف إلى ذلك:** أن أنفسهم الإمارة قد وعدتهم بالنصر على أمير المؤمنين، لكي تصير الدنيا كلها في أيديهم، فضلالات الشيطان، وتسويلات أنفسهم الإمارة بالسوء هي التي أوردتهم النار..

#### آخرهم لصوص سلابون:

**1 -** لما قتل الخوارج، قيل له «عليه السلام»: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم.

قال «عليه السلام»: كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء. كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم

لصوصاً سلابين(1).

2 - عن قتادة: لما قتلهم [الخوارج] قال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم.

فقال علي «عليه السلام» كلا والذي نفسي بيده، إن منهم لمن في أصلاب الرجال، لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصوصاً جرادين(2).

ولعل كلمة «جرادين» مأخوذة من التجريد، لأنهم يجردون الناس من أموالهم، وأمتعتهم حين يسلبونهم.

وقال المعتزلي: وقد صح إخباره «عليه السلام» عنهم: أنهم لم يهلكوا بأجمعهم في وقعة النهروان، وأنها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد، وهكذا وقع. وصح إخباره «عليه السلام» أيضاً: أنه سيكون آخرهم لصوصاً سلابين، فإن دعوة الخوارج اضمحلت،

- 
- (1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 107 الخطبة 60 وشرح المائة كلمة ص 238 وبحار الانوار ج 33 ص 433 ح 641 وج 41 ص 355 ح 62 وميزان الحكمة ج 1 ص 737 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 14.
- (2) المصنف للصنعاني ج 10 ص 150 ح 18655 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 287 ح 31542 وميزان الحكمة ج 1 ص 737 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 107 وج 32 ص 556 عن منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش المسند - ط الميمنية بمصر) ج 5 ص 430.

ورجالها فنيّت، حتى أفضى إلى أن صار خلفهم قُطّاع طريق،  
متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض(1).

### ونقول:

إن ما ذكره «عليه السلام» عن عاقبة أمر الخوارج، وأنه يكون  
آخرهم لصوصاً سلابين حق بلا ريب، وذلك لما يلي:

إن حالات التطرف، والبغي والعدوان على الناس، لا تنتهي.  
ولكن بما أن التطرف والبغي والعدوان هو من الأمور التي لا تحتلها  
النفوس البشرية، فمن الطبيعي أن يهب العقلاء لمقاومة هذه الظواهر،  
ومطاردتها وقهرها، وإخراجها من دائرة التداول العلني والظاهر، ثم  
محاصرتها، حتى لا تجد فرصة للبغي والعدوان، وممارسة هذا  
التصرف المقيت، إلا بمزيد من التخفي، والإبتعاد عن الأنظار.

ويصبح غاية ما يقدر عليه أصحاب هذه النزعات السيئة،  
المبتلون بمرض السادية، الذين يتلذذون بإخافة الآخرين، وبآلامهم،  
ويريدون أن يعيشوا بتعب الغير، وبعرق جبينهم. نعم.. إن غاية ما  
يقدر على ممارسته اللصوصية، واقتناص ما تدعوهم إليه  
نفوسهم الأمارّة بالسوء، بواسطة السلب والنهب السريع، لكي يحصلوا  
على ما يساعدهم على نيل ملذاتهم، ويشبع بعضاً من نهم شهواتهم..

وهذا ما يرمي إليه قوله «عليه السلام»: «يكون آخرهم لصوصاً

(1) شرح نهج البلاغة ج5 ص73.

سلايين».

### لا تقتلوا الخوارج بعدي:

جاء في نهج البلاغة وغيره: أنه «عليه السلام» قال: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه» (1).

وورد أنه «عليه السلام» سمع رجلاً يسب الخوارج فقال: لا تسبوا الخوارج: إن كانوا خالفوا إماماً عادلاً، أو جماعة فقاتلوهم.. وإن خالفوا إماماً جائراً، فلا تقاتلوهم، فإن لهم بذلك مقالاً (2).

(1) راجع: نهج البلاغة ج 1 ص 108 الخطبة رقم 59 (وفي ترقيم آخر رقم 61) وعلل الشرائع ج 1 ص 218 و 219 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج 8 ص 572 و (ط جديد) ج 33 ص 434 وج 44 ص 14 وج 97 ص 39 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 15 ص 83 و (الإسلامية) ج 11 ص 63 والعقود الفضية ص 41 و 63 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 78 و 98 وفجر الإسلام ص 263 وسفينة البحار ج 1 ص 384 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 3 ص 381 وميزان الحكمة ج 1 ص 737 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 320.

(2) كنز العمال ج 11 ص 390 عن خشيش في الإستقامة، وابن جرير، وتهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص 145 وعلل الشرائع ص 218 وج 2 ص 63 حديث 71 من الباب الأخير في آخر الكتاب، ووسائل الشيعة ج 11 ص 60 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج 8 ص 581 و (ط جديد) ج 33 ص 329

**وفي نص آخر:** «أما إذا خرجوا على إمام هدى فسبوهم. وإذا خرجوا على إمام ضلالة فلا تسبوهم، فإن لهم بذلك مقالا»<sup>(1)</sup>.  
**ونقول:**

إن الخوارج وإن كانوا قد زين لهم الشيطان أنهم ظاهرون، وقد غرتهم أنفس بالسوء أماره، وقاتلوا من أجل الحصول على السلطة، ولكنهم لم يكن لديهم مشروع هدام، يهدف إلى تغيير حقائق الدين، وطمس ودفن ذكر سيد المرسلين، ولا كان همهم تحريف الشريعة ليجعلوا ذلك مطيبتهم إلى مآربهم، وإن كانوا قد فهموا أحكام الشريعة بصورة خاطئة نتيجة لأعرابيتهم، ولجهلهم، وغبائهم، وسطحيتهم.

ولكن معاوية وبني أمية، وغيرهم من الطواغيت والحكام كانوا يتعمدون إلقاء الشبهات في الدين، وتحريف أحكامه، وطمس معالمه، والتلاعب في حقائقه بصورة تخدم مشروعاتهم وغرضهم الأقصى، الذي يريد أن يؤسس لإعادة أمر الجاهلية، ولبقاء دولتهم في أعقابهم، أو في أي فئة أخرى. شرط أن لا يكون في أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله».. وهذا هو بيت القصيد.

أما علي «عليه السلام» فكان لا بد له من ضرب الخوارج، لأنهم

---

ومصادر نهج البلاغة ج2 ص 40.

(1) كنز العمال ج11 ص310 عن ابن جرير، ص309 عنه، وعن خشيش في الإستقامة.

نكثوا بيعته، وأفسدوا في الأرض، واعترضوا الناس، وأخافوا السبيل، واعتدوا على الحرمات، وقتلوا الأبرياء، وغلوا الأطفال في المراحل.. وكان يجب عليه كإمام وحاكم أن يدفع غائلتهم، ويرد عاديتهم عن المسلمين.

بالإضافة إلى أن قتال الخوارج بعده ليس قتالاً مع إمام عادل يهدف إلى حفظ أمن الناس، ودفع شر المعتدين. بل هو قتال تحت راية حاكم جائر، يريد أن يحاربهم، لأنهم خرجوا عليه..

فما معنى أن يدافع الشيعة والمؤمنون الأخيار، والصفوة الأبرار عن ملك هذا الحاكم، وهو الظالم الغاشم. والحال: أن سقوط ملكه خير من بقاءه، لأن بقاءه يمكنه من متابعة مشروعه الهدام لأصل الدين والقاهر للمؤمنين كما قلنا.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: إن خرجوا على إمام جائر، فلا تقاتلوهم، فإن لهم بذلك مقالاً..

**وبعبارة أخرى:** إن الذين سوف يبتلون بالخوارج بعد أمير المؤمنين «عليه السلام» هم أئمة الضلال، ولأجل ذلك روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه». فليدافع ذلك الحاكم الظالم عن حكمه إن شاء.

لكن ذلك لا يعني أن لا يدافع أحد من المؤمنين عن نفسه لو هوجم من قبل الخوارج، أو من غيرهم، فإن الدفاع عن النفس واجب..

وهذا أمر آخر غير الدخول في الجيوش التي يهيئها سلاطين

## الجور لقتالهم..

بل إن الخوارج حتى حين يرتكبون أبشع الجرائم، فإنهم يحاولون إلباسها لبوس الدين.

أما بنو أمية وغيرهم ممن هم على شاكلتهم، فإنهم يرتكبون جرائمهم، وهم يجهرون بأنهم لا يطيعون الله، ولا يريدون نهجه، ولا يلتزمون بالعمل بنصرته، أو العمل به، ولا يهتمون بشرايع الدين وأحكامه، فهم بصدد الجرأة على الله، وهتك حرمة المولى جلّ وعلا..

ويكفي شاهداً على هذا: أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد قد رمى القرآن بالنشاب، لأنه استفتح به، فجاءت الآية المباركة: (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)<sup>(1)</sup>. فأغضبه ذلك، فنصبه غرضاً، ورماه بالنشاب، وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد      فهذا أنا ذاك جبار عنيد  
إذا ما جئت ربك يوم حشر      فقل يا رب مزقني الوليد<sup>(2)</sup>  
كما أن هذا الخليفة بالذات عزم على أن يتخذ قبة على قدر

(1) الآية 15 من سورة إبراهيم.

(2) راجع: بهج الصباغة ج 5 ص 339 وج 3 ص 193 والحرور العين ص 190 ومروج الذهب ج 3 ص 226 والأغاني (ط دار إحياء التراث) ج 7 ص 49 وبحار الأنوار ج 38 ص 193 والطرائف لابن طاووس ص 167 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ج 7 ص 240.

الكعبة، ويجعلها على ظهرها، ويشرب الخمر فيها(1).  
«وعلى هذه ققس ما سواها».

فهم يريدون من الأمة ويدعونها، بل هم يزينون لها: أن تتجراً على المقدسات، وأن تهتك أعظم الحرمات، وليصبح ذلك نهجاً مألوفاً وعادياً..

زاد الله في خزيهم وعذابهم.

### الخوارج باقون:

- 1 - عن أبي جعفر الفراء قال: سمع علي أحد ابنيه - إما الحسن أو الحسين - يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد من هذه العصابة.  
فقال علي «عليه السلام»: لو لم يبق من أمة محمد إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء(2).
- 2 - عن حبة العرني: لما فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً.  
فقال علي «عليه السلام»: مه! لا تقل هذا، فوالذي فلق الحبة،

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 521 والكامل في التاريخ ج 5 ص 264  
والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 10 ص 3 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص 480 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 8 ص 302 .

(2) المعجم الأوسط ج 7 ص 339 وكنز العمال ج 11 ص 291.

وبرأ النسمة، إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء. ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهريْن، حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم، فلا يعودون أبداً<sup>(1)</sup>.

### ونقول:

**ألف:** ذكرنا سابقاً: أن سمات الخوارج وأهدافهم، ليست من الأمور النادرة والفريدة في تاريخ الأمم، فإن ما دعا الخوارج إلى فعل ما فعلوه، حتى جرى عليهم ما عرفناه وقرأناه، يتوقع حدوثه في كل وقت وحين، فإن سمات وصفات وحالات الخوارج موجودة لدى كثيرين من الناس في كل عصر، فمن سمات الخوارج أنهم على درجة كبيرة من الجهل والغباء والسطحية..

وقد حبوا الدنيا، وطلبوها، وأحبوا أن يكون الحكم لهم، وأن يحصلوا على الإمتيازات عن هذا الطريق، وغرتهم أنفسهم بالأمانى، وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم النصر في الحرب على السلطة. وغرهم الشيطان المضل، وتطرفوا في مطالبهم وتوقعاتهم، وأسرفوا على أنفسهم، وضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وأجهدوا أنفسهم بالعبادة، وقراءة القرآن، وهم لا يفقهون معانيه، ولا يجاوز تراقيهم ما يقرأون، وجعلوا الدين وسيلتهم إلى مآربهم،

---

(1) تاريخ بغداد ج8 ص275 ومروج الذهب ج2 ص418.

وحكموا على الناس بالكفر والضلال، وأفسدوا في الأرض..  
وكل هذه الأمور يمكن أن تتكرر في كل حين، وكل جيل وعند  
كل قبيل.

ولذلك قال «عليه السلام»: لو لم يبق من أمة محمد ثلاثة نفر  
لكان أحدهم على رأي هؤلاء.

ب: ما ورد في الرواية الأولى، من أن علياً «عليه السلام» قد رد  
على الحسن، أو الحسين «عليهما السلام» غير مقبول، فإنه «عليه  
السلام» لم يرد عليهما، بل ذكر أن أمة محمد سوف تبطل بآخرين  
منهم يكونون على مثل رأيهم..

وهذا لا يعني: أن الأمة لم يحصل لها الراحة من خصوص  
هؤلاء المقتولين.. بل هي قد ارتاحت بالفعل منهم، ولكنها سوف تبطل  
بغيرهم أيضاً..



## الباب الرابع:

إحدى عشر غارة في الحديث والتاريخ..

الفصل الأول: العبادة تجارة..  
الفصل الثاني: خمس غارات على مناطق مختلفة..  
الفصل الثالث: غارتان على عين التمر.. وعلى الجزيرة..  
الفصل الرابع: غارة على مكة..  
الفصل الخامس: غارات الغامدي..  
الفصل السادس: الجهاد في خطبة الجهاد..  
الفصل السابع: شكوى علي x في خطبة الجهاد.. والإختبار العملي..  
الفصل الثامن: غارة ابن قباث..



## الفصل الأول:

العبادة تجارة..



### إذا صارت العبادة تجارة:

عن عبد الملك بن قريش: سمعت العلاء بن زياد الأعرابي يقول: سمعت أبي يقول: صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» منبر الكوفة بعد الفتنة، وفراغه من النهروان، فحمد الله، وخنقته العبرة، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وجرت. ثم نفذ لحيته، فوقع رشاشها على ناس من أناس.

فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار.

ثم قال «عليه السلام»:

يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر ولا يأتي، وينهي ولا ينتهي.

يحب الصالحين، ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين، وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن.

إن استغنى فتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط، ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعافى فلا يشكر، ويبتلى فلا يصبر، كأن المُحَدَّرَ من الموت سواه، وكأن من وُعدَ وزجر غيره.

يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! يا وعاء الأسقام! يا نهبة الأيام! يا ثقل الدهر! يا فاكهة الزمان! يا نور الحدثان! يا خرس عند الحجب! يا من غمرته الفتن، وحيل بينه وبين معرفة العبر.

بحق! أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..)(1).

جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل، ودعي إلى العمل فعمل(2).

ونقول:

(1) الآية 6 من سورة التحريم.

(2) كنز العمال ج8 ص220 ح3542 و (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص205 ح44229 عن ابن النجار، ونهج السعادة ج2 ص550 - 553 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص384.

### قداسة علي X:

قد تضمن هذا النص الإشارة إلى حالة التقديس التي كانت لعلي «عليه السلام» في نفوس الناس، حتى أصبحوا يقولون: إن من أصابه شيء من رذاذ دموع علي «عليه السلام» حين نفض لحيته، فقد حرمه الله تعالى على النار..

وهذه مرتبة لم يصل إليها أحد بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى أخيه علي «عليه السلام».

ولا شك في أن قول الناس هذا لم يأخذه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله». فهل هو من الغلو فيه «عليه السلام»، الذي يؤدي إلى هلاك صاحبه؟! أم ماذا؟!!

### ونجيب:

بأن هذا القول لا يعني أن قائله قد أصبح غالياً، يستحق دخول النار بغلوه، لأنه لم يصاحبه قول يخرج قائله من الدين، فهو لم يدع الألوهية له «عليه السلام»، ولا اعتقد حلول عنصر منها فيه، كما أن هؤلاء لم يعطوه مقام النبوة مثلاً، ولا أنكروا بشريته، أو أي شيء يخرجهم عن طريق الاعتدال..

بل قالوا ما قالوه على سبيل التبرك بدموعه التي أصابهم بعض رذاذها، والتفؤل بآثارها. فهو على حد تبرك الناس ببصاق رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبشعره، وثوبه، وبغير ذلك مما يعود إليه.. فإن هذا التبرك تعبير عن صدق إيمانهم به، وهو يزيدهم يقيناً

بنبوته، وتسليماً لأمره، وانقياداً له.

فهو أمر مطلوب ومحبوب لله تعالى، لأنه لمصلحة الناس، ومن موجبات حفظ إيمانهم، وزيادة بصيرتهم، وليس هو من الغلو في شيء..

### قول الزاهدين.. وعمل الراغبين:

ثم إن ظاهرة الخوارج قد بينت للناس: أنه لا بد من التأكد من حقيقة الزهد والعبادة، والتدين الذي يدعيه بعض الناس لأنفسهم، فقد ظهر عملياً: أن زهد وعبادة الخوارج، وقراءتهم للقرآن لم تحصنهم من الوقوع في فخ الشيطان، ولا منعتهم من المروق من دين الإسلام، مروق السهم من الرمية..

ولعل السبب في ذلك: أن عبادة الإنسان إذا كانت بعيدة عن الوعي والفكر والتأمل، فإنها تكون مجرد حركات لا يشعر بها إلا من خلال ما يبذله من جهد جسدي.

وقد يكون هذا الجهد من أسباب الصدود، وعدم التفاعل مع المضامين العبادية، فلا يشعر بعظمة الله، ولا يتلمس بأحاسيسه وبمشاعره، وبوجدانه كمالاته السامية، وألطفه، ولا يرى مظاهر ربوبيته، ولا يفطن حتى إلى وجوده، فضلاً عن أن يدرك معاني القرب والرضا منه تعالى..

وتتحصر القيمة والخطر عنده بهذا الجهد الجسدي، وبأحجامه المادية، وعدد الركعات التي يصلّيها، وعدد السور والآيات التي

يتلوها.

فيرى نفسه أنه قد أعطى ما لم يعطه غيره، ويصير له بذلك  
المنة على ربه وعلى الناس، ويشعر بتميزه عليهم، وعظمته  
فيهم، ويدخله ذلك في العجب، وحب الفخر، وغير ذلك من أدواء  
وأسواء لا نهاية لها.

ولعل هذا بعض ما يرمى إليه قولهم «عليه السلام»: «تفكر  
ساعة خير من عبادة سنة»<sup>(1)</sup>. وفي بعضها: ستين سنة<sup>(2)</sup>.  
وعن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: «ليست العبادة كثرة  
الصلاة والصيام، العبادة التفكير في أمر الله جل وعلا»<sup>(3)</sup>.  
وذلك يجعلنا نفهم بعمق مغزى قوله «عليه السلام»: «إنهم مصداق

(1) مستدرك الوسائل ج 11 ص 183 وبحار الأنوار ج 86 ص 129 .

(2) بحار الأنوار ج 66 ص 293 .

(3) فقه الرضا ص 380 والكافي ج 2 ص 55 وتحف العقول ص 442 و 448  
ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 15 ص 196 و (الإسلامية) ج 11 ص 153 و  
184 ومستطرفات السرائر ص 568 وبحار الأنوار ج 3 ص 261 وج 68  
ص 322 و 325 وج 75 ص 335 و 373 ومستدرك سفينة البحار ج 7  
ص 63 وج 8 ص 289 ومسند الإمام الرضا ج 1 ص 3 وموسوعة أحاديث  
أهل البيت للنجفي ج 2 ص 196 وج 7 ص 39 وج 8 ص 518 وميزان  
الحكمة ج 3 ص 1802 و 2464 والتفسير الصافي ج 1 ص 409 وتفسير  
نور الثقلين ج 1 ص 40 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 317.

لِلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (1) «(2).

ومهما يكن من أمر، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كان أعرف بهم من كل أحد، ركب، ومر بهم وهم صرعى، فقال: «لقد صرعكم من غركم.

قيل: ومن غرهم؟!!

قال: الشيطان. وأنفس السوء» (3).

وفي نص آخر: «غرهم الشيطان، وأنفس بالسوء أمارة، غرتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون» (4).

(1) الآية 104 من سورة الكهف.

(2) الكامل في الأدب ج 3 ص 188 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 278 والفتوح لابن أعمش ج 4 ص 127 وكشف الغمة ج 1 ص 266 والثقات لابن حبان ج 2 ص 296 ومناقب آل أبي طالب ج 3 ص 186 و 187 عن تفسير القشيري، وعن الإبانة للعكبري، وبحار الأنوار (ط قديم) ج 8 ص 550 و 553 و 552 و 555 و 571 عن الغارات، والعمدة، وتفسير الثعلبي، وتهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 307 وتفسير البرهان ج 2 ص 295 والدر المنثور ج 4 ص 253 عن عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وفرائد السمطين ج 1 ص 395.

(3) مروج الذهب ج 2 ص 407 وراجع: تذكرة الخواص ص 105.

(4) البداية والنهاية ج 7 ص 289، وتاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 66 والكامل

وقال «عليه السلام» مخاطباً لهم بالنهروان: «أيتها العصابة، التي أخرجتها اللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، فأصبحت في لبسٍ وخطأ»<sup>(1)</sup>.

وفي نص آخر، أنه قال لهم: «يا قوم، إنه قد غلب عليكم اللجاج والمراء، واتبعتم أهواءكم، فطمح بكم تزيين الشيطان لكم الخ..»<sup>(2)</sup>.

وحسب نص آخر: «أيتها العصابة التي أخرجها المراء واللجاج عن الحق، وطمح بها الهوى إلى الباطل»<sup>(3)</sup>.

وعند الطبري: «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء، واللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس، والخطب العظيم»<sup>(4)</sup>.

وفي نص آخر لم يذكر قوله: «وطمح بها النزق الخ..». لكنه قال: «إن أنفسكم الأمانة سولت لكم فراقى لهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها، وسألتموها وأنا لها كاره. وأنبأتكم أن القوم إنما فعلوها مكيدة، فأبيتكم علي إباء المخالفين، وعندتم علي عناد العاصين

---

في التاريخ ج 3 ص 348 والبحار ط قديم ج 8 ص 556 ونهج البلاغة قسم

الحكم رقم 329 حسب ترقيم المعتزلي وبشرح عبده ج 3 ص 230.

(1) الأخبار الطوال ص 207 و 208 راجع الموفقيات ص 325.

(2) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج 2 ص 371.

(3) تذكرة الخواص ص 100.

(4) تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 62 والكامل في التاريخ ج 3 ص 343.

الخ..»(1).

بل إن ظاهرة الخوارج قد قدمت نموذجاً سيئاً عن الإنسان الضعيف الذي يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين. والذي لم تنفعه عبادته ولا قراءته للقرآن في نزع حب الدنيا من قلبه، ولم تحد من اندفاعه إليها، ولا قللت من رغبته فيها..

فغلبتهم أنفسهم الأماراة بالسوء، وانقادوا لها، وأطاعوا أهواءهم، واتبعوا أوهامهم، وظننهم، وشكوكهم.. وتركوا وراء ظهورهم ما استيقنوه، وقامت لهم الأدلة القاطعة عليه، فانتهدت بهم الأمور إلى الهلاك والبوار، وحق بهم هذا المصير الأسود الذي واجهوه..

فانبرى «عليه السلام» في خطبته هذه إلى دعوة الناس إلى الحذر من الوقوع في هذا الفخ، وإلى التدقيق في أحوال المتظاهرين بالزهد والعبادة، وإلى رصد حركتهم، حتى لا يقعوا في المتناقضات، ولا يخدعهم الشيطان، وأنفسٌ بالسوء أماراة، ويواجهوا نفس المصير الذي واجهه الخوارج..

#### العلاج اختيار وقرار:

والعلامة الفارقة التي انتهى إليها في هؤلاء، وتميزهم عن غيرهم: هي تلك التي امتاز بها الخوارج، وأشار إليها «عليه السلام»

---

(1) نور الأبصار للشبلنجي ص102 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص92.

بقوله: «يا أغراض المنايا.. إلى قوله «عليه السلام»: «يا خرس عند الحجج، ويا من غمرته الفتن، وحيل بينه وبين معرفة العبر...».

إنه «عليه السلام» قد قدم للناس علامات ودلالات عملية، يستطيعون أن يروها ويتلمسوها بصورة مباشرة، وترك الخيار لهم ليكونوا هم الذين يراقبون أنفسهم، ويعالجون الداء بالدواء، لأنه «عليه السلام» يعلم أن أحداً سواهم لا يستطيع أن يكتشف ذلك فيهم، ولا أن يفرض العلاج عليهم، بل الأمر يحتاج إلى قرار، وإلى مبادرة وجهد منهم هم أنفسهم.

وهذا ما أشير إليه في الآيات القرآنية الكثيرة.. كما في قوله تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)<sup>(1)</sup>. وكما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)<sup>(2)</sup>.

وأشار إليه «عليه السلام» بقوله: «بحق أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلا من تحت يده».

والكلام فيما ألمحت إليه هذه الخطبة المباركة كثير وغزير، ولكننا نكتفي بما ذكرناه، لكي نفسح المجال لاستيفاء بعض الغرض الذي توخيناه من هذا الكتاب..

(1) الآية 14 من سورة القيامة.

(2) الآية 6 من سورة التحريم.

**توجهوا من فوركم إلى عدوكم:**

**قال الطبري:**

قال أبو مخنف، عن نمير بن وعلة الساعي، عن أبي درداء، قال: كان علي لما فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله قد أحسن بكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم.

قالوا: يا أمير المؤمنين، نفذت نبالنا، وكَلَّت سيوفنا، ونصَلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قِصداً، فارجع إلى مصرنا، فلنستعد بأحسن عدتنا.

ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منا، فإنه أوفى لنا على عدونا.

وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس.

فأقبل حتى نزل النخيلة، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم، حتى يسيروا إلى عدوهم.

فأقاموا فيه أياماً، ثم تسللوا من معسكرهم، فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وترك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيه في المسير (1).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص90 و 91.

### وقال الطبري أيضاً:

قال أبو مخنف، عن ذكره، عن زيد بن وهب: أن علياً «عليه السلام» قال للناس، وهو أول كلام قاله لهم بعد النهر:

أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويعكسون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً.

قال: فلا هم نفروا، ولا تيسروا، فتركهم أياماً، حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي يُنظرهم(1). فمنهم المعتل، ومنهم المكره، وأقلهم من نشط.

### فقام فيهم خطيباً، فقال:

عباد الله! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثأقلمت إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! وبالذل والهوان من العز؟! أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة؟! (2)، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه، فأنتم لا تبصرون.

(1) ابن الأثير: يبطئ بهم.

(2) مألوسة: من الألس، وهو ذهاب العقل.

لله أنتم! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي(1)، ما أنتم بركب يصل بكم، ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر و الله، لبئس حشاش الحرب أنتم(2).

إنكم تكادون ولا تكيدون، ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا يُنام عنكم، وأنتم في غفلة ساهون.

إن أبا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

ثم قال: أما بعد! فإن لي عليكم حقاً، وإن لكم عليّ حقاً. فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تَعْلَمُوا.

وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعوا عما أكره، وتراجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، وتدرخوا ما تأملون(3).

وقال «عليه السلام» كما في نص خطبته في نهج البلاغة:

(1) سجيس الليالي: أي الدهر كله.

(2) حشاش حرب: من حش النار، إذا أشعلها.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص90 و 91.

أف لكم، لقد سئمت عتابكم. أَرْضَيْتُمْ بِالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً. وبالذل من العز خلفاً. إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة. ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حوارى فتعمهون. فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون.

ما أنتم لي بثقة سجيى الليالى، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم.

ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها. فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم، تكادون ولا تكيدون. وتتقص أطرافكم فلا تمتعضون. لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون. غلب والله المتخاذلون، وأيم الله إنى لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس.

والله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه. ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك إن شئت.

فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية، تطير منه فراش الهام. وتطيح السواعد والأقدام. ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق.

فأما حقكم عليّ، فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا.

وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم. والطاعة حين آمركم (1).  
ونقول:

لو أطاعوا علياً x:

لسنا بحاجة إلى التأكيد على أن العراقيين لو أطاعوا علياً «عليه السلام»، وساروا إلى عدوهم فور فراغهم من حرب النهروان لحققوا أعظم الفوائد، فلاحظ ما يلي:

1 - إن ذلك يشبه ما جرى في غزوة حمراء الأسد، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار جرحى المسلمين في أحد، ولاحق المشركين الفارين.. فكان ذلك أربع لقلوبهم، وأبعد أثراً في نفوسهم ونفوس المسلمين، وإن كان الأثر مختلفاً.

2 - لو أنهم فعلوا ذلك، لكان معاوية قد شغل بنفسه، وجمع المقاتلين من حوله، ولم يفرغ للتفكير بالإغارة على أطراف البلاد التي كانت في حكم أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولكن العراقيين أحبوا الراحة، بمعصية أمره «عليه السلام»، فلم يحصدوا إلا التعب، والخوف، والترقب.. وكسرت بذلك هيبتهم،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 84 الخطبة رقم 34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 189 ومطالب السؤل ص 289 وبحار الأنوار ج 34 ص 74 وج 74 ص 333.

وتوزعت اهتماماتهم، وضعفت عزيمتهم.

3 - إنه «عليه السلام» قد رغبهم بالمسير إلى حرب عدوهم الحقيقي بأكثر من أسلوب، وبهذا العمل في أكثر من اتجاه..

فهو من جهة يجعل ما جرى في النهروان من الإحسان الإلهي إليهم، وينبغي أن يقابل بالشكر والطاعة له تعالى منهم، لكي يزيدهم من فضله، ويضاعف الأجر لهم، واللفظ بهم.

ثم بين لهم من جهة أخرى: أن ما جرى في النهروان إنما هو من النصر العزيز الذي حباهم الله تعالى به، فلماذا لا يحفظون هذه الرعاية الربانية لهم بالمبادرة إلى استئصال نصر آخر منه تعالى؟!!

كما أنه «عليه السلام» قد أفهم أصحابه: أن ما جرى في النهروان لا يمكن أن يكون من فعلهم كبشر، بل هو محض الرعاية الإلهية، والعطاء الرباني. لأن ما حصل لا يمكن تفسيره وفق النواميس الطبيعية والأحوال العادية..

إذ كيف يمكن أن يقتل ألف من الناس في ساعة واحدة، ولا يفلت منهم أحد.. من دون أن يتمكنوا هم من قتل ولو عشرة أشخاص من أعدائهم؟!!

والحال، أن الأعداد متقاربة، والوسائل المادية متكافئة؟!!

4 - ومن وسائل الترغيب التي استفاد منها «عليه السلام»: تذكيرهم بأن جهادهم لهذا العدو يقربهم من الله سبحانه، ويجعل لهم الوسيلة عنده..

وهذا أمر تميل إليه النفوس، ويلبي لها بعض ما تطمح إليه.. لا سيما وأن نيل هذا المقام يوجب طمأنينتها إلى مصيرها في الآخرة، ويمنحها الرضا، والشعور بالعزة والكرامة، والتميز على مثيلاتها..

5 - إنه «عليه السلام»، قد كسر حاجز الهيبة في الطرف الآخر، حيث وصف للناس حالهم بما أظهر أنهم لا حرمة لهم تعيق مواجهتهم بالسوء.. وذكر خمسة أمور يصلح كل واحد منها مبرراً كافياً لوجوب جهادهم، ويحتم إبعاد شرهم، وسقوط حرمتهم. وهذه الأمور هي:

**ألف:** إنهم «حيارى في الحق»، فهم لا يعرفونه لكي يكونوا من أهله، وإنما تحفظ حرمة الناس بمقدار حفظهم للحق، والتزامهم به، فإذا كانوا حيارى في الحق، فمعنى ذلك: أنهم لا يعتقدون به، ولا يتحرون مراعاته في تصرفاتهم ومواقفهم، ولا يتعاملون به مع غيرهم.. لكي يعطيهم حرمة وعصمة..

**ب:** إنهم «جفاة عن الكتاب»، فهم يتباعدون عن كتاب الله.. وليس لهم فيه حاجة ولا مأرب، بل يزعجهم كل ما يأتيهم من قبله. فأحكامه لا ترضيهم، بل ينفرون منها، ويسعون للإبتعاد عنها، وتجنب الإلتزام بها.

**ج:** إنهم «نكب عن الدين».. فمن يكون دأبه الإبتعاد عن الدين، والتملص من الإلتزام بحقائقه. كيف نطلب من الشرع والدين أن يجعل له حرمة وموقفاً؟!

**د:** إنهم «يعمّهون في الطغيان»، أي إنهم يترددون فيه تردد

حيرة، لعدم بصيرتهم فيه، وعدم قدرتهم على تحديد معالمه، وتمييزه عما خير وصلاح، ورشد وفلاح.

هـ: إنهم «يعكسون في غمرة الضلال» أي أنهم يسيرون في غمرة الضلال سيراً معكوساً ومقلوباً، ليس فيه أي فرصة لرؤية طريق الهدى.

أو المراد: أنهم عكسوا في غمرة الضلال. أي انقلبوا إليه وفيه، بمعنى قصدوه واختاروه، وتركوا الهدى. وغمرة الضلال شدته، ومزدحمه.

وأناس هذا حالهم لا يمكن الإستهانة بهم، والتساهل في دفع شرهم. بل لا بد من الإعداد والتهيؤ لهم، بكل ما يمكن إعداده والتهيؤ به. ولذلك استشهد «عليه السلام» بالآية المباركة: ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ) (1).

ولم يكتف بذلك، بل طلب من الناس اللجوء إلى الله تعالى، ليتولى هو تحقيق النصر عليهم؛ لأن القوة وحدها قد لا تأتي به.

#### التعطلات الماكرة:

والغريب في الأمر: أنه بالرغم من هذا النصر الإلهي المؤزر، الذي هو أقرب إلى المعجزة، أو الكرامة الإلهية منه إلى النصر بالوسائل العادية، وبالرغم من أنه لم يقتل من أصحاب أمير المؤمنين

(1) الآية 60 من سورة الأنفال.

«عليه السلام» سوى رجلين، أو بضعة رجال، فإن أهل الدنيا، والميالين لمعاوية، والذين يريدون أن يعطوا معاوية الفرصة للإعداد والإستعداد، ولو بأن يتمكنوا من إفساد أصل مسير علي «عليه السلام» إليه. إن هؤلاء صاروا يلتمسون الذرائع للتملص من تنفيذ أوامره «عليه السلام»، والعمل على إفساد تدبيره الحكيم والقويم. وذرائعهم هذه قد جاءت على درجة كبيرة من الوهن والسقوط.. فقد تذرعوها:

أولاً: بأن نبالهم نفدت، وسيوفهم كُتت، ونصلت أسنة رماحهم، وتكسر أكثرها.

### ويلاحظ على هذا الكلام بما يلي:

ألف: إن هذا حتى لو كان صحيحاً، فلا يحتاجون في جبرانه إلى أن يعودوا إلى مصرهم. فقد كان يمكنهم جبر هذا النقص بوسائل أيسر وأسرع، ولو بأن ياكلوا الأمر إليه «عليه السلام»، فيفوض فئة تهيء لهم البدائل الأوفر عدداً، والأجود نوعاً.. بالشراء تارة، وبإصلاح ما يمكن إصلاحه منها أخرى، وبتهيئة فئة تنتج لهم هذا السلاح، وتزودهم به بشكل دائم ومستمر تارة ثالثة، لا سيما وأن تهيئة السلاح وإصلاحه من الأمور التي تهمة كما تهمهم، إذ لا يمكن أن يطلب منهم أن يحاربوا بدون سلاح..

ب: إن هذا النقص لا يبرر لهم مخالفة أمره حين أقبل بهم إلى مصرهم، وأنزلهم النخيلة، فقد أمرهم بأن يلزموا عسكرهم. وأن يقلوا

من زيارة نسائهم وأبنائهم..

ولكنهم خالفوه، وتسلبوا من معسكرهم، فدخلوا، إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً. وترك العسكر خالياً.

فما معنى مبادرتهم إلى كسر رأيه في المسير، وهم قد رأوا قبل أيام ما صنعه الله تعالى له ولهم، في قتال عدوه وعدوهم؟!!

ثانياً: زعموا: أنهم يرجون في تأجيل المسير: أن يزيد «عليه السلام» في عدتهم عدة من هلك منهم، فإنه أوفى لهم على عدوهم..

فإن كانوا يقصدون بالذين هلكوا منهم أولئك الذين استشهدوا في النهروان، فمن المعلوم: أن عددهم لم يصل إلى عشرة، بل قيل: لم يقتل منهم سوى رجلين..

وإن كان مقصودهم بمن هلك هو الخوارج أنفسهم أيضاً، لأنهم كانوا معهم في صفين، ثم انفصلوا عنهم.. فنقص عددهم عدة ألوف..

فمن المعلوم: أنه «عليه السلام»، كان بصدد تعويض هذا النقص. ولكن إخلاءهم معسكر النخيلة، وعصيانهم أمره قد أفسد عليه تدبيره، وفوت الفرصة، وضعفت عزيمة الناس على إجابة طلبه، ولم يعد بالإمكان حصول هذا التعويض..

ثالثاً: إن النصر على العدو ليس بكثرة العدد، واستيفاء العدة، بل هو بالتوفيق الإلهي الذي يأتي به الإخلاص لله، والطاعة للإمام، وحفظ النظام، والشدة على أعداء الله..

ومن المعلوم: أن النقص الذي تركته حرب صفين في جيش

معاوية كان أكبر من الذي حصل لجيش علي «عليه السلام» بخروج الخوارج منه..

فمن الذي قال: إن نقص عددهم سوف يضر بحالهم، ويحرمهم من النصر الموعود؟!!

رابعاً: يضاف إلى ذلك: أن خلو جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» من هؤلاء الأغبياء الفجار، والمشاغبيين الأشرار، يعطي لجيش علي «عليه السلام» قوة مضاعفة، لسلامة هذا الجيش من وسوسات هؤلاء، ومن شغبهم ومشاكلهم، وما يثيرونه من فتن. ومشاحنات وغير ذلك..

وبخروجهم يصبح جيشه «عليه السلام» يداً واحدة، وقلباً واحداً، ورأياً سديداً ورشيداً يستقيده من قائده، الإمام المعصوم الذي هو معدن الحكمة، وينبوع العلم..

#### الإقلال من زيارة النساء والأبناء:

وقد أمر «عليه السلام» أصحابه بأن يبقوا في معسكرهم، وأن يقلوا من زيارة نسائهم وأبنائهم.. حتى يسيروا إلى عدوهم..

وهي وصية سديدة ورائدة وحميدة، فإن المجاهد لكي يكون مقداماً، ومشتاقاً إلى لقاء الله، يحتاج إلى إضعاف علائقه بالدنيا، والحد من رغبته بالبقاء فيها، وتقوية الحوافز، وتأكيد رغبته بما أعده الله تعالى له في الآخرة.

وإنما يتحقق له ذلك بالحد من مراودة الملذات، وعدم إيقاظ الغرائز، أو إثارة الشهوات. لأنها حين تستيقظ، وتتحفز تدفعه إلى تلبية مطالبها والاستجابة لرغباتها.

وهذا يحد من رغبته في خوض الغمرات، ومواجهة الأخطار، ويدعوه إلى أن يخلد إلى الأرض، وإلى التشبث والرضا بها بدلاً عن الآخرة، وأن يرضى بحياة الذل بدلاً عن حياة الكرامة والعز، ويمنعه من التحليق في طلب مرضاة الله، والتضحية في سبيل الوصول إليه بالغالي والنفيس..

ولذلك قال «عليه السلام» لأصحابه: «ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة. وبالذل والهوان من العز..».

#### القلوب المألوسة:

وقد وصف أمير المؤمنين «عليه السلام» أصحابه الذين يدعوهم إلى الخروج إلى جهاد عدوهم، فلا يستجيبون له بقوله: كأن قلوبهم مألوسة..

**ومن المعلوم:** أن الألس هو ذهاب العقل، أو اختلاله..

وهذا وصف دقيق لحالهم، فإنه «عليه السلام» قد أوضح لهم مدى خطورة هذا العدو عليهم، وعلى دينهم، وذكر لهم أموراً خمسة قد اجتمعت في ذلك العدو، وهي تضاعف من خطورته عليهم وعلى دينهم، وعلى مستقبلهم، لأنه لا يميز الحق من الباطل، فإذا عرضا عليه تحير

بينهما.. وهو يجافي عن كتاب الله، ويتباعد عنه، وهو شديد التتكب والإبتعاد عن الدين. وهو سادر في الطغيان. أعمى البصيرة فيه. وقد انقلب وارتكس في مزدحم الضلال وشدته..

ومن يكون هذا حاله كيف يمكن أن يؤتمن على الدين، وعلى الدماء والأرواح، والأموال والأعراض، والكرامات، وعلى الأوطان وعلى الذرية.. وعلى أي شيء آخر؟!

فمن يتردد في محاربة هذا العدو، فهو إما مجنون، أو أنه قد ارتكس في هاوية الجبن والخوف، وحب الدنيا إلى حد الرضا بالذل، وإيثار مواجهة غضب الله، ودخول جهنم على ترك لذة دنيوية زائلة، تشير كل الدلائل إلى أن ذلك العدو لن يمكنه من بلوغها، فيكون بذلك قد خسر دنياه وآخرته وكرامته وكل شيء..

ومن يقدم على هذا، فلا شك في أنه ذاهب العقل..

وهو ينظر إلى الحقيقة بأعين مفتحة، ولكنه لا يراها.. فهو كالأكمه الذي لا يبصر، منذ ولادته..

فإن الكمه هو العمى يولد به الإنسان، فكأنه لا أمل في شفائه إلا بمعجزة يأذن الله تعالى باجتراحها.

### ثعالب رواغة:

وقد وصف عليه أصحابه: بأنهم أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين يدعون إلى البأس. فكيف يمكن الوثوق بهؤلاء حين

يصلون إلى ساحات الوغى؟! إنه لا ريب في أن من كان كذلك، لا يمكن الوثوق به، ولا الإعتماد عليه، سجنس الليالي، أي مدى الدهر.. وإنما اختار هذا التعبير لأن كلمة (سجنس) معناها: تغيير لون الماء وتكرره، أي ما دامت الليالي مظلمة، ولا يمكن لليل إلا أن يكون متكدراً ومظلماً، وإلا لم يكن ليلاً.

وهذا يدل على عظم الإنجاز الذي حققه «عليه السلام» في حروبه كلها، لأنه حارب أعداءه بأمثال هؤلاء، وانتصر عليهم.

وكما أنه يشير إلى حقيقة المتاعب التي واجهها «عليه السلام» معهم.. وإلى عظيم حكمته «عليه السلام» وحسن سياسته، حيث استطاع أن يحرك هؤلاء، حتى لحرب زوجة نبيهم، ولحرب معاوية، بالرغم من كل افتراءاته، وشبهاته التي أثارها، وبالرغم من أنه كان يلتقي معهم في الفكر وفي الطموح.

هذا عدا عن حربهم للخوارج وهم إخوانهم وأبنائهم وأباؤهم، وقُراء القرآن، والمتظاهرون بالعبادة منهم..

### الإبل التي ضل رعاتها:

وفي النص الذي ورد في نهج البلاغة قال «عليه السلام» لأصحابه: وما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

فقد شبههم بالإبل، وشبه رؤساءهم، وزعماءهم، وزعماء قبائلهم،

ومن يرجعون إليهم بالرعاة.

فأهل العراق كانوا يتصرفون حسب أهوائهم، وما يروق لهم. ولا يهتمون لما يقوله لهم ناصحوهم وعقلاؤهم، فكأنهم لا يرونهم موجودين، وكأن أقوالهم لم تصدر من أحد منهم حتى تُسمع.. وهذا هو حال الإبل حين تصبح بلا راع.

إن أكثر ما يطمع العدو بعدوه: هو أن يشعر أن عدوه ليس بصدد الكيد له، ووضع الخطط لقهره ومواجهته، إما لعجزه عن ذلك، أو لأي سبب آخر. فإذا شعر بهذا، فإنه سوف يتقن في إلحاق الأذى به، وسيكون هو سيد الموقف. يصول ويجول بلا حسيب، ولا رقيب..

وأخطر من ذلك: أن يشعر بأن عدوه لم يهتم، ولم ينزعج لعدوانه على أطراف بلاده، حتى ولو كان تحرشاً ضعيفاً ومحدوداً في بداية الأمر، فإن هذا سيدعوه إلى التوسع في العدوان، وإلى استباحة البلاد والعباد، واستلاب الراحة والأمان من أهلها.

أما الأشد خطراً، والأعظم ضرراً، فأن يشعر العدو بأن عدوه غافل عنه، لا يحس ولا يشعر به، فإن هذا ربما شجعه على اقتطاع أجزاء هامة من تلك البلاد.. وربما ينتهي الأمر به إلى تحقيق حلمه الكبير باستباحة الكيان كله، والإستيلاء عليه من أهون سبيل..

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «إنكم تُكادون، ولا تَكِيدون، وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون..».

### يسلمون علياً × عند الشدة:

وفي النص الذي أورده الرضي «رحمه الله» قال: «وأيم الله، إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى، واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس..».

وقد اختلفوا في المراد من هذه العبارة الأخيرة.

**والذي يبدو لنا:** أنه «عليه السلام» يريد أن يتوقع: أن يسلموه عند اشتداد الأمور.

فكما أن الرأس إذا انشق وانفلق فلقنتين، فإن المخ الذي بداخله - وهو من أثمن ما في هذا الجسد - يصبح عرضة لأعظم الأخطار، ويصير كل أحد مهما كان ضعيفاً - حتى البعوض والذباب - قادراً على الوصول إليه..

وكما لا تلتئم جوانب الرأس بعد انفراجها، ولا تعود قادرة على حفظ ما ينبغي لها حفظه، فكذلك الحال بالنسبة إليهم، فإنهم سوف يتفرقون وينفرجون عنه «عليه السلام»، وسيكونون أيضاً عاجزين عن التلاقي والإلتئام من جديد. تماماً كما هو حال الرأس حين انفراجه عن أثمن ما يحويه.

### حق الحاكم، وحق الرعية:

ثم أنهى «عليه السلام» كلامه بالإشارة إلى حق الرعية على الحاكم، وحق الحاكم على رعيته.. وكأنه «عليه السلام» يريد أن

يفهمهم ما يلي:

**أولاً:** أن عليهم أن يعرفوا أن ما يطلبه «عليه السلام» منهم، ليس على سبيل الإستجداء، وطلب تقديم تنازلات منهم له، ولا يريد منهم أن يتصدقوا عليه، ولا يريد أن يسوقهم إلى تحصيل منافع تعود إليه، يدفعون هم ثمنها تفضلاً وتكرماً.. ويكون هو المستفيد منها دونهم، فإن ذلك خطأ فادح منهم في فهم الأمور..

**ثانياً:** إنه هو المتفضل عليهم، والمضحى في سبيلهم، عن غير استحقاق منهم لذلك، ولا أهلية لقبول الكرامة التي يخصصهم بها..

**ثالثاً:** كأنه «عليه السلام» يريد بكلامه هذا عن الحقوق: أن يذرههم بأن ذمته أصبحت بريئة أمام الله من أية مسؤولية عن أية كارثة تنزل بهم، فإن الحقوق التي ذكرها لهم عليه، وله عليهم تعطي: أن هناك تراتبية واقعية قهرية، ولا مجال للهروب منها.

مفادها: أن ما يجب عليه لهم مرهون بأداء حقوقهم له أولاً. إذ بدون ذلك لا يمكن أن تجد الواجبات عليه مورداً أو متعلقاً لها.. بل تكون من قبيل القضية السالبة بانتفاء موضوعها، على حد تعبير أهل المنطق.

وقد بين الأئمة «عليهم السلام» هذه الحقيقة بصراحة، فقد روي أن المأمون قال للإمام الرضا «عليه السلام»: اخطب الناس، وتكلم فيهم.

فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «لنا عليكم حق برسول الله «صلى

الله عليه وآله»، ولكم علينا حق به، فإذا أنتم أدبتم إلينا ذلك، وجب علينا الحق لكم (1).

### وبيان ذلك:

أن الحقوق التي للإمام على رعيته أربعة، وهي:

- 1 - الوفاء بالبيعة.
  - 2 - النصيحة له في المشهد والمغيب.
  - 3 - إجابة دعوته حين يدعوهم.
  - 4 - طاعته حين يأمرهم.
- وحقوقهم التي تجب عليه أربعة أيضاً، وهي:

- 1 - النصيحة لهم.
- 2 - توفير فيئهم عليهم.
- 3 - تعليمهم كي لا يجهلوا.
- 4 - تاديبهم لكي يتعلموا.

ومن الواضح: أن إخلالهم بأي من هذه الأربعة يجعل من وفائه «عليه السلام» بحقوقهم، وبما يجب عليه لهم أمراً مستحيلاً.

---

(1) بحار الأنوار ج 49 ص 146 وروضة الواعظين ص 226 ومقاتل الطالبين ص 376 والإرشاد للمفيد ج 2 ص 262 و مسند الإمام الرضا ج 1 ص 122 وإعلام الوري ج 2 ص 74 والدر النظيم ص 680 والفصول المهمة لابن الصباغ ج 2 ص 1007.

فإن من ينكث بيعته، أو لا يطيع أمر إمامه، أو لا يجيبه إذا دعاه، ومن يبغي الغوائل لإمامه لا يمكن توفير فيئه عليه، ليس فقط لأن ذلك يقويه على العصيان والإخلال، لأنه لا يجد الفيء لكي يوفر عليه، لأن الإخلال بالبيعة، وعدم قبول النصيحة منه، أو التعليم منه، وفضلاً عن عدم تقبله التأديب له. بل هو يتخذ معه سبيل الشقاق والعصيان والتمرد، والخذلان. وربما يعلن عليه الحرب والطغيان، وهذا أمر بديهي وظاهر..

### طريقة بيان هذا الأمر:

ولكنه لا يريد أن يعطيهم ذريعة تمكنهم من الإدعاء عليه بأنه قد سبق إلى الإستقالة من واجباته.. فآثر أن يبين هذا الأمر لهم ببيان أن طريقتهم في التعامل معه تؤدي إلى عجزه عن القيام بواجباته تجاههم..

**ولأجل ذلك لم يقل لهم:** إنه لا يجب علي شيء تجاهكم، إن نكثتم بيعتي، وعصيتم أمري، وأضمرتم الغش لي، ولم تجيبوا دعوتي. إذ لو قال لهم ذلك لا تهموه بأنه قد استقال من واجباته، وأخل بها. فأصبحوا هم معذورين بعصيان أوامره، والإمتناع عن أداء سائر حقوقه إليه..

### علي × يبعد قبائل عن الكوفة!!!:

وعن عبيد بن سليمان النخعي، عن سعيد الأشعري، قال:

استخلف علي «عليه السلام» حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له: هانئ بن هوذة، فكتب إلى علي «عليه السلام»: أن غنياً وباهلة فتنوا، فدعوا الله عليك أن يظفر بك(1).

قال : فكتب إليه علي «عليه السلام»: أَجْلِهِمْ - عدوك - من الكوفة، ولا تدع منهم أحداً.

وعن علي بن قادم، عن شريك بن عبد الله، عن ليث، عن أبي يحيى، قال: سمعت علياً «عليه السلام» يقول: أغدوا خذوا حَقْمَ مع الناس، والله يشهد أنكم تبغضوني، وأني أبغضكم(2).

زاد المنقري قوله: «فخذوا عطاءكم، واخرجوا إلى الديلم، وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين»(3).

### ونقول:

1 - لعل المراد أنهم كرهوا الخروج إلى صفين بعد النهروان.

2 - قد يقال: إذا كان علي «عليه السلام» قد رفق بالخوارج، فقال لهم: لا نمنعكم العطاء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نمنعكم مساجدنا، ولا نبذوكم بقتال، ولم يخرجهم من بين الناس، فما باله يعامل غني وباهلة بهذه الشدة؟!!

(1) بحار الأنوار ج 33 ص 356 والغارات ص 17 - 19.

(2) بحار الأنوار ج 33 ص 356 والغارات ص 19 - 20.

(3) صفين للمنقري ص 116.

**ونجيب:**

1 - إننا من خلال مراجعة النصوص نفهم: أنه «عليه السلام» كان يستنفر قبيلتي باهلة وغني لحرب أهل الشام، فكانوا يرفضون ذلك.. وهذه جرأة عظيمة عليه صلوات الله وسلامه عليه من شأنها لو سرت إلى سائر القبائل أن تفسد الأمور وتطمع الأعداء، فكان الإجراء السليم هو إبعاد هاتين القبيلتين عن الكوفة جزاءً لهن على هذا العصيان الظاهر، والخطير، الذي يهدد كيان الدولة كله، ويطمع الأعداء، ويفسد الضمائر، ويجرئ الناس على العصيان، ويسقط الهيبة التي يجب أن تحفظ لمصلحة الأمة على أقل تقدير..

2 - لقد كان هذا التصرف من غني وباهلة بلا مبرر، بل هو مجرد طغيان وتمرد، ولم يتعللوا بشيء ذي بال، ولا تذرعوا بشبهة ولا بغيرها. فلو سرى تمردهم إلى غيرهم، لفتح باباً خطيراً، يجعل الحاكم عاجزاً عن سياسة العباد، وحفظ البلاد..

أما الخوارج، فقد كانوا يدعون أن لديهم شبهة، وكان الناس يرون أن لهم الحق في الاحتجاج والسؤال، حتى تزول شبهتهم، وتنفذ بصيرتهم..

3 - إنه «عليه السلام» لم يحجب عن هاتين القبيلتين عطاءهم.. بل أعطاهم إياه، مصرحاً لهن بأنه حقهم.. وبأنه يعلم بأنهم يبغضونه، أخبرهم بأنه أيضاً يبغضهم..

وهذا غاية العدل والإنصاف، ف:

**أولاً:** لو أن أحداً غير علي «عليه السلام» أراد أن يتعامل مع هذا النوع من الناس، وكان يعلم أن فئة من الناس تبغضه، فإن أول ما يفعله هو أن يحرم مبغضيه من أي شيء يقويهم عليه.. ولا يرى حرجاً في التضيق عليهم. بل هو يستسهل العدوان عليهم، ويبحث عن الذرائع المختلفة للبطش بهم.. ولا يعترف لهم بأي حق، فضلاً عن أن يسمح لأحد بمطالبة بآدائه لهم..

**ثانياً:** إذا كان الحاكم يبغض فئة من الناس، فإننا لم نعهد من ذلك الحاكم: أن يصرح ببغضه هذا، بل هو يحاول التعامل معهم بطريقة مأكرة، وأن يخفي عنهم مشاعره تجاههم، ربما لأنه لوتعامل معهم بخشونة، يخشى من أن يتهم بأن دافعه هو الحقد الشخصي..

**ثالثاً:** إنه «عليه السلام» يؤدي إليهم حقهم كاملاً غير منقوص من جهة، ثم اقتصر على ما يدفع به غائلة عصيانهم وتمردهم، وهو أضعف الإيمان من جهة أخرى..

#### 4 - لعل إخراجهم إلى الديلم كان لسببين:

**أحدهما:** دفع غائلة تمردهم، وحفظ السلامة العامة بهذا الإبعاد.

**الثاني:** لكي يكونوا في عداد المرابطين على الثغور، في مقابل العدو الآخر الذي يتربص الدوائر بالمسلمين، ومنعه من التفكير بالعدوان على أطراف البلاد. والعبث بأمن العباد..

وهذا يعطينا درساً في سياسة العباد والبلاد، وحفظ حقوق الناس، فإنه «عليه السلام» لم يبطش بهؤلاء الناس، بل حفظ لهم بعض ماء

الوجه، بإعطاء الإنطباع بأنهم ما زالوا في دائرة الدفاع عن الإسلام وأهله.. ولم يطردوا من الأمة الإسلامية بصورة نهائية..

بل حفظهم بنحو آخر أيضاً، حيث نقلهم إلى أجواء أخرى، وأعطاهم الفرصة ليعيدوا النظر في حساباتهم. وليراقبوا الأمور بهدوء، فعسى، ولعل، ولعل.. وعسى..

كما أنه أفهم الناس الآخرين، وكذلك القبائل والفئات: أن عليهم أن لا يسيروا في الطريق الخطأ، فإنه «عليه السلام» لم يوصد أبواب السؤال والحوار، والتعبير عن النوايا والمشاعر، والأفكار والخواطر، ولكنه لا يرضى أبداً باتخاذ القرارات الحاسمة بصورة مرتجلة وإستتسابية، ولا يقر التخلي عن العهود والعقود بصورة إستبدادية، وبطريقة غوغائية. ومن دون حجة، ولا منطق.



## الفصل الأول:

خمس غارات  
على مناطق مختلفة..

نا



## 1 - غارات الضحاك بن قيس:

### 1 - قال ابن أعثم:

عن أبي مخنف بن يحيى بن سعيد الأزدي قال: لما كان من أمر صفين ما كان، وحكم الحكمان ما حكما، ورجع أهل الشام إلى الشام وأهل العراق إلى العراق، واستقر علي بن أبي طالب بالكوفة. وجاء معاوية برجل يقال له: الضحاك بن قيس الفهري - وهو صاحب شرطة معاوية - فضم إليه خيلاً عظيمة من خيل أهل الشام، ووجه به نحو أهل العراق، وأمره أن يأخذ على طريق السماوة من بلاد بني كلب بن وبرة حتى ينقض على الكوفة وسوادها، فيغير على ما قدر عليه.

قال: فأقبل الضحاك في خيل أهل الشام حتى نزل الثعلبية، ثم صار منها إلى القطقانة.

وبلغ ذلك علماً «رضي الله عنه»، فدعا برجل من أصحابه يقال له: حجر بن عدي الكندي، فضم إليه ألف فارس، وأمره بالمسير إلى

الضحاك (بن قيس).

فسار حجر بن عدي يريد الضحاك، والضحاك في وقته ذلك قد أغار على البلاد، وقتل رجلاً من خيار أصحاب علي «رضي الله عنه» يقال له: عمرو بن مسعود العلائي، وقد كان مقيماً بالثعلبية، فقتله الضحاك بن قيس.

فلما بلغه أن حجر بن عدي قد توجه إلى ما قبله أقبل على أصحابه، فقال: إنكم قد قتلتم رئيساً، وقد نزلتم قريباً من بلادهم وديارهم، فارتحلوا عنهم، فإن تبعوكم، وأصبتُم منه عشرة فذاك الذي تريدون، وإن تكن الأخرى ولم يتبعوكم رجعتُم إلى بلادكم سالمين.

قال: فسار القوم راجعين يريدون الشام، واتبعهم حجر بن عدي في خيل أهل الكوفة، فلحقهم في بلاد كلب، فقاتلهم فقتل من أهل الكوفة أربعة نفر وقتل من أهل الشام سبعة نفر، وانكشفوا منهزمين، فلم يتبعهم حجر لكنه رجع إلى علي بالكوفة فأخبره ذلك، ورجع الضحاك بن قيس إلى معاوية مغلوباً مهزوماً<sup>(1)</sup>.

2 - عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري:

دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة [بأسفل واقصة]، وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 218 - 220.

خيلاً فأغر عليهما، وإذا أصبحت في بلدة، فأمس في أخرى، ولا تقيمَنَّ لخيّل بلغك عنها أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضّحّاك لنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثعلبيّة [فأغار على مسالح علي، وأخذ أمتعتهم، حتّى انتهى إلى القطقطانة] فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود، فقتله في طريق الحاجّ، عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

[وعند الطبري: وكان في خيل لعلي، وأمامه أهله، وهو يريد الحج، فأغار على من كان معه، وحبسه عن المسير].

قال أبو روق: فحدثني أبي أنه سمع علياً «عليه السلام» وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف؛ اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم، إن كنتم فاعلين.

قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلاً، فقال: والله لو ددت أن لي بكل مائة منكم رجلاً منهم، ويحكم، اخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم، ومقاساتكم، ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة [الغمرة] والثياب المتهترة [المتهتكة]، كلما خيطت من جانب تهتك على صاحبها من

جانب آخر.

ثم نزل. فخرج يمشي حتى بلغ الغريين [حتى لحقه عبد الله بن جعفر بداية فركبها، ولحقه الناس بعد].

ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله، فعقد له راية على أربعة آلاف [أعطاهم خمسين درهماً خمسين درهماً] ثم سرحه.

فخرج حتى مر بالسماء، وهي أرض كلب، فلقى بها امرء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهم السلام»، فكانوا أدلاءه على طريقه وعلى المياه، فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر، فواقفه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحاك تسعة [سبعة] عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان: عبد الرحمن وعبد الله [ابنا حوزة، وهما من الأزدي] الغامدي، وحجز الليل بينهم، فمضى [فهرب] الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً. ورجع حجر ومن معه.

**زاد اليعقوبي قوله:** وشن حجر بن عدي، ومن معه الغارة في تلك البلاد يومين وليلتين<sup>(1)</sup>.

---

(1) الغارات للثقي ج 2 ص 421 فما بعدها، والإرشاد للمفيد ج 1 ص 271 و (ط أخرى) ص 145 وأنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج 2 ص 337 و 338 و (ط أخرى) ج 3 ص 197 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 196 وتاريخ

### توضيحات:

**المسلحة:** الجماعة المرابطة لحفظ الثغر من العدو.

**القطقطانة:** موضع قرب الكوفة من جهة البادية.

**الغريان:** مثنى الغري. وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة.

**السماوة:** بادية بين الكوفة والشام..

**واقصة:** منزل بطريق مكة، بين القرعاء، وعقبة الشيطان.

**أدلج:** سار من أول الليل.

**الغمر:** الذي لم يجرب الأمور.

3 - روى جندب بن عبد الله الأزدي أنه «عليه السلام» قال مستنهضاً أصحابه، وذلك: بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم. المختلفة أهواؤهم. كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كيت وكيت. فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حيايد.

ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل

---

الأمم والملوك ج5 ص135 وعن الكامل في التاريخ ج2 ص426 والأغاني ج16 ص266 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص117.

بأضاليل. دفاع ذي الدين المطول، لا يمنع الضيم الذليل. ولا يدرك الحق إلا بالجد.

أي دار بعد داركم تمنعون. ومع أي إمام بعدي تقاتلون. المغرور والله من غررتموه. ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب. ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت والله لا أصدق قولكم. ولا أطمع في نصركم. ولا أوعد العدو بكم.

ما بالكم؟! ما دواؤكم؟! ما طبكم؟! القوم رجال أمثالكم. أقوالاً بغير عمل، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق(1).

وقد تقدمت هذه الخطبة في بعض الفصول في هذا الكتاب، وتكلمنا حولها بما سمح لنا به المجال.. وسيأتي: أنه «عليه السلام»

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 75 الخطبة رقم 29 ودعائم الإسلام ج 1 ص 391 وشرح الأخبار ج 2 ص 73 والإرشاد للمفيد ج 1 ص 273 والأمالى للطوسي ص 180 وبحار الأنوار ج 34 ص 70 و 131 و 171 والمعيار والموازنة ص 98 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 111 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 355 وتاريخ مدينة دمشق ج 1 ص 321 والاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 255 والبيان والتبيين ج 2 ص 56 وأنساب الأشراف ج 3 ص 154 و (ط الأعلمي) ص 380 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج 1 ص 130 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 171.

خطب بهذه الخطبة في غارة سفيان بن عوف الغامدي أيضاً<sup>(1)</sup>.

### متى كانت الغارات؟!:

1 - لقد كانت غارة الضحاك أول غارة شنها معاوية على أهل العراق، ويدل على ذلك ما رواه الثَّقَفي عن جندب الأزدي عن أبيه قال: أول غارة كانت بالعراق غارة الضحاك بن قيس. على أهل العراق، وكانت بعد ما حكم الحُكَّمان، وقبل قتل أهل النهر<sup>(2)</sup>.

وقال الضحاك نفسه على منبر الكوفة متبجحاً: أما والله إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أول من غزاها في الإسلام<sup>(3)</sup>.

2 - ظاهر كلام المؤرخين: أن معاوية قد بدأ غاراته بمجرد انتهاء التحكيم في صفين.. فإنهم - كالطبري ومن تابعه - قد ذكروا الغارات في سياق الحديث عن سنة ثمان وثلاثين..

ونرى: أن بدء الغارات كان في أواخر سنة سبع وثلاثين، لما يلي:

(1) الغارات للثَّقَفي ج 2 ص 483 فما بعدها.

(2) الغارات للثَّقَفي ج 2 ص 416.

(3) الغارات للثَّقَفي ج 2 ص 437 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 121 وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ج 2 ص 278.

أولاً: لأن التحكيم كما صرحت الوثيقة التي كتبت في صفين حصل في شهر رمضان سنة 37 هـ. وعن اليعقوبي سنة 38 هـ. ثم عاد عمرو إلى الشام، فسلموا على معاوية بالخلافة(1).

وأمد الهدنة قد حددته الوثيقة المكتوبة في يوم صفين هو موسم الحج..

فلما جرى في دومة الجندل ما جرى عرف معاوية أنه لا بد له من مواجهة الحرب مع علي «عليه السلام» بعد الموسم، فبادر إلى الغارات على أطراف علي «عليه السلام»..

إلا أن يقال: إن كلام ابن أعثم عن غارة الضحاك قد يوهم أن غارة الضحاك حصلت بعد انتهاء صفين، ورجوع الجيشين إلى بلادهما، وقبل حصول التحكيم في دومة الجندل.

ولكن التأمل في كلامه يعطي خلاف ذلك. فقد ذكر أن ذلك قد حصل بعد أن حكم الحكيم ما حكما..

وقوله: «ورجع أهل الشام إلى الشام، وأهل العراق إلى العراق» لا يدل على أن مراده رجوعهم من حرب صفين إذ يحتمل بقوة أن

---

(1) تاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج 2 ص 177 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 71 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 239 عن الواقدي، ومروج الذهب ج 2 ص 395 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 552 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 23 ص 67.

يكون مراده رجوعهما من دومة الجندل، بعدما جرى ما جرى بين الحكمين.

**ثانياً: يدل على ما نقول:** أن الثقيي يصرح بأن خطبة أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد غارة الضحاك بن قيس على الحاج وأولها: أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب إلخ.. - هذه الخطبة - قد كانت بعد قصة الحكمين.. وهو إنما قالها بعد غارة الضحاك كما قلنا.

**وصرح الثقيي حسبما تقدم أيضاً:** بأن غارة الضحاك كانت بعد حكم الحكمين، وقبل قتل أهل النهروان.

**نقض العهد لماذا؟!:**

**وهنا يرد سؤال:** وهو، أنه إذا كان كذلك، فهو يعني: أن أمد الموادة قد انتهى بخيانة الحكمين في دومة الجندل.. فقد تضمن نص كتاب الموادة الذي كتب في صفين على أن الأجل ينقضي بحكم الحكمين، فإن حكما بما في الكتاب والسنة فيها، وإن حكما بالهوى، فإن كل شيء يرجع إلى ما كان عليه.. والمفروض:

**أولاً:** أن الحكمين لم يحكما بل اختلفا..

**ثانياً:** إنهما أخلاً بما شرط عليهما، حيث لم يحكما بما في الكتاب والسنة. بل حكما بأهوائهما. وإنما حكم كل واحد بمفرده، ومعنى ذلك: أن العهد قد انتهى أمده، وسقط تلقائياً.

**ثالثاً:** لو سلمنا هذا وذاك، فإن نفس غارات جند معاوية على بلاد المسلمين، وقتلهم الناس، ونهب أموالهم، وأخذ الأسرى منهم نقض للعهد.. فلا يوجد عهد لكي يلزم أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه به..

فما معنى قوله «عليه السلام» بعد أن حمد الله وأثنى عليه:  
 ما لمعاوية قاتله الله؟! لقد أرادني على أمر عظيم، أراد أن أفعل  
 كما يفعل، فأكون قد هتكت ذمتي ونقضت عهدي، فيتخذها عليّ حجة،  
 فتكون عليّ شيناً إلى يوم القيمة كلما ذكرت.  
 فإن قيل له: أنت بدأت، قال: ما علمت، ولا أمرت، فمن قائل  
 يقول: قد صدق، ومن قائل يقول: كذب.

أم والله، إن الله لذو أناة وحلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة  
 الأولين، وعاقب فراعنة، فإن يمهل الله فلن يفوته، وهو له بالمرصاد  
 على مجاز طريقه. فليصنع ما بدا له، فإننا غير غادرين بذمتنا، ولا  
 ناقضين لعهدنا، ولا مروعين لمسلم ولا معاهد، حتى ينقضى شرط  
 الموادة بيننا إن شاء الله (1).

**ونجيب:**

---

(1) الإرشاد للمفيد ج 1 ص 275 وبحار الأنوار ج 34 ص 152 ومستدرک سفينة  
 البحار ج 7 ص 498 ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج 1  
 ص 306.

### إن الكلام يكون باتجاهين:

**الاتجاه الأول:** إن نفس كلام أمير المؤمنين هذا قد تضمن الإجابة، وهي أن غارات الضحاك قد بدأت قبل انقضاء شرط المودعة، الذي ينقضي بعد موسم الحج الذي يلي إصدار الحكم في دومة الجندل، وأنه يريد بهذه الغارات أن يستدرج علياً «عليه السلام» لنقض العهد. وبذلك يكون معاوية قد حقق ما يلي:

**أولاً:** إن ما جرى في صفين قد بين لمعاوية: أنه لا يستطيع حسم الأمر في ميدان القتال لصالحه.. لأنه كان يظن أن العراقيين الذين كان معاوية يعرف أحوالهم، ويعرف أن ولاءهم كان لغير علي «عليه السلام» - وكان معاوية يظن - أنهم لا يحتملون سياسة علي «عليه السلام»، بل يريدون أن يفلتوا من القيود الشرعية التي يريد «عليه السلام» أن يلزمهم بها، وأن يتجاوزوا الحدود في الحصول على الأموال، وعلى الإمتيازات، والولايات، والسبايا، والإقطاعات، وأن يسرحوا ويمرحوا حسبما يروق لهم، وأن يمارسوا رسومهم الجاهلية تحت غطاء الإسلام..

ولكن فال معاوية قد خاب، فإن علياً «عليه السلام» استطاع أن يدفعهم إلى الحرب، وأن يكونوا أشداء، وأكفاء فيها، بل هو قد أوجد لديهم من الحوافز الدينية ما جعلهم يقدمون حتى على قتل أهلهم وعشائرهم، وفيهم أبناؤهم وإخوانهم، وآبائهم، وأحبائهم..

فكان معاوية يريد إضعاف أمره، وتشتيت الناس من حوله «عليه

السلام»، إنه يريد للناس العاديين أن يشعروا بأن حكومة أمير المؤمنين حكومة ضعيفة، وعاجزة، لم تستطع توفير الأمن لهم، بل جاءتهم بالمصائب والبلايا، والكوارث والرزايا.. وأنها لم تنقطع عنهم منذ توليه الحكم، بل لا يزال الناس يواجهون التعب والعناء والأذى والشقاء فيها.

**ثانياً:** إنه يريد أن يبيث الرعب والخوف في نفوس رعية أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأن يزرع في نفوسهم الملل والفشل، والإرهاق إلى حد الشعور بالعجز عن مواصلة الحياة في أجواء ملؤها التحفز والاستعداد الدائم للمفاجآت.

**ثالثاً:** يريد أن يوجد الموانع لديهم من إجابة طلبه «عليه السلام» بالنفر والتجمع للحرب في مناطق بعيدة، خوفاً من الغارات على عوائلهم، وتعريضهم للسلب والنهب، وحرق البيوت، ونسائهم للهتك والسبي، فإن توقع حصول ذلك في كل لحظة يجعل من المجازفة الصعبة جداً اتخاذ القرار بالابتعاد عنهم، وتركهم في مهب الريح.. وحيث لا تصله أخبارهم إلا بعد عشرات الأيام من حلول الكارثة بهم..

**رابعاً:** إنه يريد أن يحرّج الإمام، ويضطره لمقابلته بالمثل، ليمهد الطريق لاتهامه بالأباطيل، وإشاعة أن سراياه أيضاً ترتكب الجرائم والمآثم، وأنه بغاراته هذه إنما يدافع عن نفسه وعن قومه بطريقة المقابلة بالمثل..

وأن يظهر علياً «عليه السلام» بمظهر المجرم الذي تخالف أفعاله أقواله.. ويمظهر الناكث للوعد وللعهد.. وبذلك تلوكه الألسن، وتسقط صدقيته، ويشكك الناس في صحة جميع ما يقوله «عليه السلام» ويفعله..

وقد قال «عليه السلام» موضحاً هذه الخطة الخبيثة: «فإن قيل له: أنت بدأت، قال: ما علمت، ولا أمرت، فمن قائل يقول: قد صدق، ومن قائل يقول: كذب».

**خامساً:** إنه يجعل من ذلك ذريعة لحشد الناس من أهل الشام حوله، واستمالتهم إليه للدفاع عن وجودهم، وعن مصيرهم، وعن أموالهم، وأعراضهم، وبلادهم..

**سادساً:** إنه يدفع الناس من أهل الشام للإصرار على مناصرته، ويحرصون على حفظ ملكه.. كما أنه يجعل غيرهم من أهل العراق وغيره يساؤون بينه وبين علي «عليه السلام»، فكلاهما ينكث العهد، وكلاهما يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويهتك الأعراض، ويحرق المنازل، ويهدمها..

وإذا لم يعد لدى أهل العراق فرق بين علي «عليه السلام» ومعاوية، لم يعد لديهم مبرر للتعصب لعلي «عليه السلام»، ولم تعد القضية قضية دفاع عن الدين وعن الحق، ولم تعد قضيته استبدال حاكم عادل بظالم أو العكس، بل تتساوى الأقدام في ذلك، فلا مبرر للإقدام والإحجام، ولا جدوى من إجابة دعوات علي «عليه السلام»

لمحاربة معاوية، ولا أثر لهذه الحرب في استجلاب العدل، ودفع الظلم..

ولذلك قال «عليه السلام»: «..فأكون قد هتكت ذمتي ونقضت عهدي، فيتخذها عليّ حجة، فتكون عليّ شيئاً إلى يوم القيمة كلما ذكرت».

**الاتجاه الثاني:** إنه وإن كان معاوية هو الذي نقض العهد، وكان يحق لأmir المؤمنين «عليه السلام» أن يجازيه بفعله.. ولم يكن عليه في ذلك غضاظة.. ولكن القضية ليست من الناحية الأدبية والظاهرية بهذه المثابة، بل كانت هناك مصلحة على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يراعيها، وهي أن الطرف الذي كتبت وثيقة المودعة معه، وإن كان هو معاوية، وقد اختار طريق الغدر والمكر، ولكن المستفيد من المودعة ليس هو معاوية وأعوانه وحدهم، بل هي أمة بأسرها من الرجال والنساء، والولدان في طول البلاد الإسلامية وعرضها، وفي شرقها وغربها، وقد اطمأنوا إلى أنهم سوف يعيشون في الأمن والأمان إلى أن ينقضي موسم الحج من تلك السنة، وقد بنوا أمورهم على أساس توفر الأمن والسلام والسلامة لهم طيلة هذه المدة. فكانه «عليه السلام» بقوله: «فأكون قد هتكت ذمتي» يشير إلى أن هؤلاء قد أصبحوا في ذمته، وهم غير سعيدين، ولا راضين بنقض أي من الناس لهذا العهد.. فكان مقتضى حفظهم، والوفاء بدمته لهم والرفق بهم، ومراعاة حالهم.. هو عدم أخذهم بجريرة معاوية حين

ينقض عهده، ويعتدي على الآمنين، ويرتكب الجرائم والعظائم، ولذلك كان «عليه السلام» يقتصر على دفع شر المغيرين، ولا يرضى من عماله أن يقابلوهم بالمثل طيلة تلك المدة. بل إلى أن حان وقت المسير والنفير العام للحرب، وفي اللحظات الأخيرة فقط، وإن كان يحق لهم ذلك قبل ذلك كما قلنا.

ولأجل ذلك أعلن «عليه السلام» باللوم لأحد عماله الذين حاولوا أن يقابلوا معاوية بالمثل كما سنرى. ومنع من تكرار هذا الفعل منه رحمه الله، بالرغم من كثرة الغارات التي تعرضت لها بلاده من قبل أولئك العناة القساة من جند معاوية.

وهذا يجعلنا نشك فيما زعمته الرواية المتقدمة من أن حجر بن عدي بن حاتم بعد أن هرب منه الضحاك قد بقي يومين في منطقة تدمر في أرض الشام يشن الغارة على أهل تلك البلاد.. فإنه لو فعل ذلك لأنكر عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» كما أنكر على غيره..

فإن قيل: لعله لم يبلغه ذلك.

#### فإننا نقول:

إن علياً «عليه السلام» كان لا يدع المراقبة لأمرائه جيشه ولم يكن ليخفى عليه أمر مثل هذا، لأن الناس يتناقلون أمثال هذه القضايا، ويتساءلون عنها، وعن مدى مشروعيتها، لأن فيها تعديات على الناس في أنفسهم وأموالهم.

**اخرجوا معي، ثم فروا عني:**

إن كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» في حث أصحابه على الخروج لقتال العدو، قد تضمنت فنوناً كثيرة من البيانات القوية، والمؤثرة لو كانت هناك آذان تسمع، أو عقول تقنع، أو قلوب تخشع..

ولعل قوله «عليه السلام» هنا: «اخرجوا معي ثم فروا عني» هو من هذه الموارد التي تهز الإنسان الحر من الأعماق، ولو بعد مرور ألف وأربع مئة سنة، فما بالك بمن كان معنياً ومخاطباً بها مباشرة.. لاسيما وأنه «عليه السلام» إنما يريد منهم أن يدفعوا عدوهم، الذي يريد سفك دمائهم، وهتك حرمتهم، ونهب أموالهم، وإحراق منازلهم، وسبي نساءهم وذرائعهم، وهدم عزهم، وتقويض مجدهم، والعبث بكراماتهم..

**يضاف إلى ذلك:** أنه «عليه السلام» لم يترك لهم أية ذريعة يمكنهم التعلل بها، فإن فيأهم موفر عليهم، وأعطياتهم تصلهم كاملة غير منقوصة، واحتياجاتهم مرعية، وحاجاتهم مقضية..

**والسؤال الكبير الذي يتطلب جواباً مقتعاً هنا هو:**

كيف ينبغي لنا أن نفهم أن يطلب إمام وحاكم وقائد من جنده أن يخرجوا معه، ثم يقول لهم: إذا دارت رحى الحرب، فيمكنهم أن يهربوا عنه، ويتركوه إن شاؤوا؟!!

وما الفائدة من خروجهم هذا؟!!

واليس هذا من الإلقاء بالنفس وبالأمة بأسرها إلى التهلكة حين

ينشأ عن عملهم هذا أن تفقد قائدها وإمامها؟!!

بل أليس في هذا بعض التهوين لأمر الفرار من الزحف؟! إن لم نقل: التشجيع عليه أيضاً؟!!

### ونجيب:

أولاً: بأن المطلوب هو خروجهم معه، حتى لو كان خروجهم هذا في بدايته بنية الفرار، لأنه «عليه السلام» إنما يطلب منهم الخروج لمواجهة الغارات على بلادهم، ودفعها عن أنفسهم، وعن نساءهم وذرائعهم، وأموالهم.

وإذا خرجوا معه، فإنهم سوف يلمسون بأنفسهم حجم الخطر الذي يتهدد وجودهم، وسيدركون أن قعودهم وتهاونهم كان جريمة كبرى، من شأنها أن تؤدي بهم إلى أشد البلايا، وأعظم الرزايا..

وإدراكهم لهذه الحقيقة سوف ينفي عنهم أي تفكير بالفرار من الزحف، لأن المشهد سيتبدل بنظرهم، وسيدركون أن فرارهم هذا فرار من الحياة إلى الموت، ومن الشهامة والكرامة إلى الذل والمهانة. إنهم سوف يهبون لحرب كل من يفكر بالفرار، ويكونون له أعداء..

**يضاف إلى ذلك:** أن نفس أن يرى العدو المهاجم همة عالية، وحشداً هائلاً قد خرج لمواجهة، ورد عدوانه، من شأنه أن يلقي الرعب في قلب ذلك العدو الذي يعرف أنه أصبح بعيداً جداً عن بلده، وأن مقاومته لهذا الحشد الكبير الذي يدافع عن حياته وعرضه وماله

ستكون في غاية الخطورة، ولا يمكنه أن يتوقع المدد من أية جهة كانت، فليس أمامه إلا أن يخوض حرباً يضمن فيها النصر بصورة يقينية، وهذا غير ممكن، وهو في بلد الغربة، فإما أن يستسلم، وإما أن ينهزم بعد دخول المعركة، ويتشرد في عمق الصحراء، ويموت عطشاً وجوعاً.. وإما أن يلوذ بالفرار قبلها لكي يتمكن من الإفلات.

ثانياً: إن من الواضح: أن نية الفرار عنه «عليه السلام» بعد خروجهم، لن تبقى على حالها، بل هي ستتحول إلى تصميم على الثبات، وذلك لما يلي:

- 1 - لأن الإنسان يأنف من الفرار، ولا سيما أهل الحفاظ والنجدة، لما فيه من العار الذي لا يرضاه الرجال لأنفسهم..
- 2 - لأن وجود علي «عليه السلام» بينهم، سيضاعف من طمأنينتهم للنصر في الحرب..
- 3 - لأنهم يعرفون: أن عدوهم غير قادر على تسجيل نصر حاسم عليهم، وهو في بلدهم، ولا يتوقع معونة ولا مدداً من أحد، وليس لديه من المؤن للأشخاص، ومن العلف للدواب ما يكفي سوى لأيام قليلة..
- 4 - لقلة عدد أفراد تلك السرايا الغازية، وعدم قدرتها على الصمود أمام الكثرة التي يتوقع أن تخرج من أهل البلاد لمواجهتها..
- 5 - يضاف إلى ذلك: أن المعتدي لا يملك الروح القتالية التي تكون لدى المعتدى عليه، المدافع عن نفسه، وعن عرضه، وماله

وشرفه، وكرامته.

**ثالثاً:** إن نفس خروجهم مع علي «عليه السلام» لدفع العدو المهاجم يعطي المبرر لأمر المؤمنين «عليه السلام» للدخول في الحرب.. ويرتفع به عنوان إلقاء الإنسان بيده إلى التهلكة..

وإذا فروا عنه، فإنهم يبوؤون بإثم الفرار من الزحف، الذي لن يشاركهم هو فيه، بل سيزيد فرارهم في مسؤوليته، وسيدفعه إلى بذل مزيد من الجهد القتالي، الذي يثاب عليه، وربما انتهى به الأمر إلى نيل درجة الشهادة أيضاً..

**في ألف، أو في أربعة آلاف:**

وقد ذكرت رواية ابن أعثم: أن الذين خرجوا مع حجر بن عدي كانوا ألف رجل.. ولعل هذا أقرب على الاعتبار من النص الذي يقول: إنه عقد له راية على أربعة آلاف، إذا أخذنا بنظر الاعتبار، ما ظهر من عجز وفشل لدى أهل العراق.. حتى استحقوا أن يقول لهم ما ذكرناه آنفاً، بل لقد قال لهم: إنه «عليه السلام» كان يود لو أن له بكل مئة منهم، رجلاً واحداً من أهل الشام..

**عدد القتلى:**

وقد اختلفت رواية ابن أعثم في عدد القتلى من الفريقين عن الراوية الأخرى، ولا نملك ما يدلنا على الرواية الأصح منهما..

ولو أردنا إبداء احتمال حدوث معركتين بين المتحاربين وقد قتل

في معركة ما يوافق إحدى الروايتين، وفي الأخرى ما يوافق الرواية الثانية.. فإننا لا نجد له ما يؤيده أيضاً، إلا إذا أخذنا بقول ابن أعثم: إنه قاتلهم في بلاد كلب. وهم يسكنون في السماوة.

أما الرواية الأخرى فتقول: إنه قاتلهم بناحية تدمر.

## 2 - غارة الأشتر على الجزيرة:

قالوا: بعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري على ما كان من سلطانه [من] الجزيرة والرقعة، وحرّان، والرّها، وقرقيسيا. فبلغ ذلك الأشتر، فسار من نصيبين يريد الضحاك، واستمد الضحاك أهل الرقة - وكان جل من بها عثمانية هربوا من علي - فأمدوه، [و] عليهم سماك بن مخرمة الأسدي. فعسكروا جميعاً بين الرقة وحرّان، وأقبل إليهم الأشتر، فاقتتلوا قتالاً شديداً وفشت فيهم الجراح، وأسرع الأشتر فيهم. فلما حجز الليل بينهم سار الضحاك من ليلته فنزل حرّان، وأصبح الأشتر فأتبعهم حتى حاصرهم بحرّان.

وأتى الصريخ معاوية؛ فدعا عبد الرحمان بن خالد بن الوليد المخزومي، فأمره بالمسير لإنجاد الضحاك؛ فلما بلغ الأشتر ذلك كتّب كتابه ليعاجل الضحاك، ثم نادى: [أ] لا إن الحي عزيز، ألا إن الذمار منيع، ألا تنزلون أيتها الثعالب الرواغة.

ثم مضى فمر بالرقعة، فتحصنوا منه، وأتى قرقيسيا فتحصنوا منه، وبلغ عبد الرحمان بن خالد انصرافه، فأقام.

وقال: أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي:

أَلَا تَرِينَ عَشِيرَتِي وَطَعَانَهُمْ      وَجَلَادَهُمْ بِالسَّيْفِ أَيُّ جَلَادٍ  
أَلَا تَرَى اشْتَرَ مَذْحَجَ لَا يَنْتَنِي      بِالسَّيْفِ ذَا حَنْقٍ وَذَا  
إِرْعَادٍ (1)

وبعد أن ذكر الأشتر شطراً مما تقدم، وذكر إرسال معاوية عبد  
الرحمان بن خالد في خيل عظيمة قال:

وبلغ ذلك الأشتر، فسار إليهم حتى لقيهم دون الرقة، فواقعهم،  
وهزمهم هزيمة قبيحة حتى ألحقهم بالشام. ثم أقبل حتى نزل على أهل  
الرقة فحاصروهم.

قال: وخرج الضحاك بن قيس من حران يريد لقاء الأشتر ليزيله  
عن الرقة، وقدم أيمن بن خريم الأسدي من عند معاوية في جيش  
عظيم، فاجتمعت العساكر على الأشتر من كل ناحية، والتقى القوم  
للقتال، فصبر بعضهم لبعض صبراً حسناً، ثم انهزمت خيل الشام  
حتى لحقت بمعاوية، وجعل الأشتر يعبر على أطراف البلاد، ويذل  
كل من ناواه، حتى ضبط الجزيرة ضبطاً محكماً (2).

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج 2 ص 369 و 370 و (ط الأعلمي)  
ج 2 ص 472 والفتوح لابن أعم (ط الهند) ج 2 ص 350 و 351 و (ط دار  
الأضواء) ج 2 ص 493.

(2) الفتوح لابن أعم (ط الهند) ج 2 ص 351 و (ط دار الأضواء) ج 2  
ص 493.

## غارة مسلم بن عقبة على دومة الجندل:

قالوا:

وبعث معاوية [مسلم] بن عقبة المري إلى أهل دومة الجندل - وكانوا قد توقفوا عن البيعة لعلي ومعاوية جميعاً - فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته [وسألهم الصدقة وحاصرهم].

وبلغ ذلك علياً، فبعث إلى مالك بن كعب الهمداني أن [أ] خلف على عمالك من تثق به وأقبل إلي.

ففعل. واستخلف عبد الرحمان بن عبد الله الكندي [الأرحبي].

فبعثه علي إلى دومة الجندل في ألف فارس، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه، فاقتتلوا يوماً، ثم انصرف مسلم منهزماً.

وأقام مالك أياماً [عشراً] يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلي، فلم يفعلوا وقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام.

فانصرف [مالك إلى الكوفة] (1).

ونقول:

---

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج 2 ص 365 و (ط الأعلمي) ص 467 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 12 ص 291 والكامل في التاريخ ج 2 ص 429 و (ط صادر) ج 3 ص 381 نحوه، وراجع: الغارات للثقي ج 2 ص 459 - 461.

### موقف أهل دومة الجندل خطأ:

إن هذا الموقف لأهل دومة الجندل يعطي التفسير لاختيار هذا البلد موضعاً لاجتماع الحكمين، ولكن هذا لا يعني أنه موقف صحيح وسليم، فإنه لا معنى للمساواة بين الحق والباطل.. وعدم النشاط لنصرة الحق وأهله تفريط لا يرضاه أهل البصيرة، وأصحاب النخوة والكرامة والشهامة لأنفسهم. وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على قلة المبالاة بالشرع وأحكامه.

وعلى ضعف مستوى الشعور بالمسؤولية.  
وعلى ضمور خطير في وجدان الناس.  
وعلى تدنٍ أخطر في مستوى الشعور بالكرامة، والإهتمام بمحاسن الأخلاق، وجمال الشيم.  
يدافعه عنهم، ولا يبايعونه:

على الباحث المنصف أن يقارن بين نهجين، هما:  
ألف: نهج معاوية الذي يسعى لقهر الناس على البيعة له، وعلى دفع صدقة أموالهم إليه، ومهاجمتهم بالجيوش، ومحاصرتهم، وتهديدهم بالقتل، والسبي، وانتهاب الأموال.  
مما يعني: أن من لا يبايعه، (وهو المتغلب المعتمد للباطل) فهو مهدور الدم والمال، وربما العرض أيضاً.

ب: نهج علي «عليه السلام» الذي ليس فقط لم يفكر في هذا الأمر، لا في إجبارهم على البيعة، ولا في أخذ صدقاتهم منهم بالإكراه. بل هو قد جاء لينجدهم، ويخلصهم من براثن معاوية، وجيشه، ويمنعه من إلحاق الأذى بهم، وقد قطع جيشه «عليه السلام» مئات الأميال في الصحراء، ليدفع عنهم الأذى، ويحفظ لهم حياتهم وكرامتهم وأموالهم. وهو «عليه السلام» يقول لنا: إن واجبه هو حفظ المسلمين، والدفاع عن المظلومين، وليس هذا الوجوب مرهوناً ببيعته، ولا بصدقاتهم.

### تدني المستوى الأخلاقي:

**واللافت هنا:** أنه بالرغم من هذا الفضل العظيم الذي أسداه إليهم، ومن خوضه حرباً تزهق فيها الأرواح دفاعاً عنهم، وبالرغم من أن علياً «عليه السلام» سيد المسلمين، وقد لزمتهم بيعته بالنص من الله ورسوله، وبيعة أهل بدر والمهاجرين والأنصار، فإن هذا الجيش بقي عشرة أيام يدعوهم لبيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم يفعلوا.. وزعموا أنهم ينتظرون اجتماع الناس على إمام. أي أنهم يرضون بإمامة الباغي لو استطاع التغلب، وتحصيل الإجماع بالقهر والقوة، ويستسيغون البيعة له، حتى لو كان قد قتل سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم. وهم يساوون بينه وبين الطليق وابن الطليق.. قاتل المسلمين، والباغي على الإمام.. ويساوون بين المدافع عنهم، بالرغم من امتناعهم عن البيعة له، وبين من يريد أن يقتلهم

لكي يبايعوه.

#### 4 - غارة البياغ الكلبي:

قال البلاذري:

قال هشام ابن الكلبي:

أغار البياغ الكلبي على بكر بن وائل، فأخذ سبيهم، فبعث إليه علي الأسود بن عميرة بن جزء النهدي فرد عليه البياغ السبي، فقال: رهنّت يميني عن قضاة كلها فأبت حميدا فيهم غير مغلق(1)

ونقول:

لم يظهر لنا كيف ردّ البياغ السبي على الأسود بن عميرة؟! هل ردهم طواعية، وتلافياً للحرب؟! أم ردهم بعد جدال وقتال؟! كما أنه لم يظهر لنا: إن كان أغار بأمر من معاوية، وهي إغارة جبار وظالم، أو أنه أغار عليهم غارة قبائلية جاهلية؟! ولم يظهر أيضاً الموضع والمكان الذي أغار الكلبي عليه.. ولكن مما لا شك فيه أن وصول الخبر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومبادرته لإرسال من يستنقذ السبي يدل على أنه «عليه السلام» لا يتسامح في أمور الناس، بل هو يتابع كل صغيرة وكبيرة.

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص358 و (ط الأعلمي) ج2 ص460.

## 5 - غارة ابن مكحول على السماوة:

قالوا: وبعث معاوية رجلاً من كلب يقال له: زهير بن مكحول، من بني عامر الأجدار، إلى السماوة، فجعل يصدّق الناس (أي يأخذ منهم صدقاتهم).

فبلغ ذلك علياً «عليه السلام»، فبعث ثلاثة نفر: جعفر بن عبد الله الأشجعي. وعروة بن العشبة من كلب [عمرو بن مالك بن العشبة]، من بني عبد ود، والجلال بن عمير، من بني عدي بن خباب الكلب، وجعل الجلال كاتباً له ليصدقوا (أي ليأخذوا الصدقة) من كان في طاعته من كلب، وبكر بن وائل.

فأخذوا على شاطئ الفرات حتى وافوا أرض كلب، ووافوا زهير الأجداري، فاقتتلوا [قتالاً شديداً].

فهزم زهير أصحاب علي، وقتل جعفر بن عبد الله، وأفلت الجلال.

وأتى ابن العشبة علياً، فعنفه وقال [له]: جبنيت وتعصبت [ظ] فانهزمت، وعلاه بالدرة، فغضب، ولحق بمعاوية، فهدم عليّ داره. وكان زهير حمل ابن العشبة على فرس، فلذلك اتهمه علي.

وقال ابن العشبة:

**أبلغ أبا حسن إذا ما جئته**

**يدنيك منه الصبح والإمساء**

لو كنت آبيناً عشية جعفر [كذا]

جاشت إليك النفس والأحشاء

إذ نحسب الشجرات خلف ظهورنا

خيلاً وإن أمامنا صحراء

إننا لقينا معشراً قبض الخصا

فكانهم يوم الوغى شجراء

ومر الجلاس براع فأعطاه جبة خز، وأعطاه الراعي عباءة،

وأخذ العلبة في يده، وأدركته الخيل فقال: أين أخذ هؤلاء الترابيون؟!

فأشار إليه أخذوا هاهنا.

ثم أقبل إلى الكوفة، فقال الجواس بن المعطل:

ونجا جلاساً علبة وعباءة وقولك إنني جيد الصرّ حالب

ولو ثقفته بالسنب(1) خيولهم لأودى كما أودى سمير وحاطب

وصار لقي بين الفريقين مسلماً جباراً ولم يثار به الدهر طالب

قال هشام ابن الكلبي:

هو عروة بن العشبة، وسمي (أبوه) عوف بن عمرو بن عبد ود

العشبة، لأنه كان كالعشب لقومه، وعروة من ولده، وبعضهم يقول:

(1) السنب: البرهة من الدهر. والكثير الجري من الخيل. ويمكن أن يكون

هكذا: بالسنايك خيلهم.

عمرو بن العشبة، وذلك باطل(1).

ونقول:

لماذا هذه الحركات؟!:

وقد كرر معاوية في السماوة ما فعله في دومة الجندل. ولعله كان يرمي من هذه الحركات إلى أن يثير شعوراً لدى الناس بأن منطقة نفوذه قد اتسعت حتى بلغت دومة الجندل، بل بلغت السماوة القريبة من الكوفة عاصمة العراق، مما يعني: أنه أصبح في دار علي «عليه السلام»..

ولئن استطاع علي «عليه السلام» أن يطرد عماله من هذا البلد أو ذاك، فإن نفس وجودهم بين الناس مدة من الزمن، وهم يأخذون صدقاتهم يشير إلى ضعف هيمنة علي «عليه السلام» على المنطقة بالرغم من قربها من عاصمة حكمه.. وسيترك ذلك ذكريات يطول أمد بقائها في مخيلتهم، ويثير لديهم مشاعر مضطربة، وأحاسيس مبهمة..

ولئن لحق بالناس حيف وظلم، واضطهاد من هؤلاء المبعوثين

---

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج 2 ص 363 و 364 و (ط الأعلمي) ج 2 ص 465 و 466 وتاريخ مدينة دمشق ج 40 ص 286 و 287 ترجمة عروة، والكامل في التاريخ ج 2 ص 429 و (ط صادر) ج 3 ص 380 نحوه، وراجع: الغارات للثقي ج 2 ص 462 - 464.

(بأمر من معاوية لكي يتعبهم ويرهقهم)، فيمكنه التخلص والتخلص من المسؤولية عنه، ويرميه على العمال أنفسهم، ولربما يتظاهر بأنه بصدد معاقبتهم، إن احتاج الأمر إلى ذلك..

### خيانة ابن العشبى لماذا؟!

والأدهى والأمر من ذلك، خيانة ابن العشبى، حيث أعطاه ابن مكحول عامل معاوية فرساً، مع أنه قد جاء لمحاربته ودفعه.. فإن كان قد أعطاه الفرس قبل شروع الحرب، فمعنى ذلك: أنها رشوة، وأن ابن مكحول كان قد تفاهم معه على أمر ما، وأنه كان يعرف ميوله، وجبنه، وضعفه، وتعصبه للجماعة التي ينتمي ابن مكحول إليها.. ويكون ابن العشبى قد ارتكب خيانة حقيقية أدت إلى هزيمة جماعته، أصحاب علي «عليه السلام»، وقتل رفيقه جعفر بن عبد الله..

وإن كان قد أعطاه الفرس بعد وقوع الهزيمة على أصحابه، وبعد قتل رفيقه شفقة منه عليه، لأنه فقد الوسيلة التي كانت تسعفه في تنقلاته.. فالجواب هو: لماذا يشفق عليه ابن مكحول ويعطيه هذا الفرس، وهو عدوه؟! ولماذا لم يقتله، أو لم يأسره، ويرسله إلى معاوية؟! وما الذي استحق به عنده هذه المكافأة؟! وهل ظهر له شيء من تعصبه له، أو لمعاوية أدى إلى هذا الانتصار لابن مكحول عليه؟!

### وفي جميع الأحوال نقول:

إن التهمة بالجبن وبالتعصب ثابتة عليه، لتصريح أمير المؤمنين

«عليه السلام» بهما.

وما عدا ذلك، فإننا لو أخذنا بأضعف هذه الاحتمالات، وأيسرها، وأهونها وقعاً، وأقلها أثراً، فإنه ولا شك كان يستحق أن يهان، ويعنف، وأن يضرب بالدرة، وأن يكون موضع غضب أمير المؤمنين «عليه السلام»..

**واللافت هنا:** أنه لم يستطع أن يدافع عن نفسه ولو بكلمة واحدة أمام أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل إن الشعر الذي قاله بعد هربه إلى معاوية يدل دلالة واضحة على شدة جبنه، وعظيم جرمه. لأنه ادعى أن الأمر كان مهولاً ومخيفاً جداً، وهذا دليل جبنه، كما أنه دليل ممالأته لابن مكحول، فإن هذه الشدة لا تتلاءم مع هذه الهدية له منه!!

**عقوبة ابن العشبة:**

وما نريد لفت النظر إليه هنا: هو أن ما عاقب به أمير المؤمنين «عليه السلام» ابن العشبة، قد روعي فيه أضعف الاحتمالات، وأهونها أثراً، وهو مجرد الجبن، والتعصب، وهما الأمران اللذان لا شك فيهما، ولا شبهة تعتريهما..

ولكن ابن العشبة لم يحتمل حتى هذه العقوبة الصغيرة، فأراد أن يثار لنفسه، وأن يؤذي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فصب جام غضبه على نفسه، فانتقم لنفسه من نفسه، وهدم دار عزه في الدنيا قبل الآخرة، فكان مصداقاً واضحاً لقوله تعالى: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ

وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ<sup>(1)</sup>، وألقى بنفسه في جهنم الآخرة، وخسر في الدنيا كرامته، وسؤدده، وعزته، ومروءته، وجعل نفسه تابعاً رخيصاً.. لا يلقي إليه أحد بالاً إلا بمقدار ما يقدمه لهم من خدمات.. وبمقدار ما يستجلب لنفسه العذاب الأليم بطاعته، وبخدمته للظالمين والجبارين، وتقويته لسلطانهم.

ولو أن أحداً أتى ذنباً مع ابن العشبة هو أقل بكثير من الذنب الذي أتاه ابن العشبة تجاه دينه، وإمامه، فهل كان سيكتفي ابن العشبة في عقوبته له بالتعنيف والضرب بالدرّة، وإظهار الغضب؟! أم أنه سيلقى منه ما يفوق هذا بكثير؟!!

### الجبن والعصبية هما الداء الدوي:

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أخذ ابن العشبة بأمرين:

أولهما: أنه استسلم لسمة الجبن التي مردّها إلى التعلق بالحياة الدنيا. ربما لأنه ركن إلى لذائذها، ثم توثقت علاقته بها من خلال ما له فيها من أموال، وذرية، وهما زينة الحياة الدنيا (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)<sup>(2)</sup>، ولم يذق طعم الباقيات الصالحات، ولم يشعر بلذتها، وبآثارها في تهذيب غرائزه، وتعديل طبائعه، وميوله. وتحويل

(1) الآية 2 من سورة الحشر.

(2) الآية 46 من سورة الكهف.

اهتماماته وملذاته من اللذات الجسدية إلى اللذات الروحية.

**الثاني:** التعصب، الذي هو الداء الدوي الذي ابتلى به إبليس، فاستحق الطرد من رحمة الله.

وقد حذر «عليه السلام» الأمة من الإستسلام لكبرائها الذين وصفهم بأنهم «قواعد العصبية، ودعائم أركان الفتنة» كما ورد في الخطبة القاصعة.

**ومن المعلوم:** أن المحن والمصائب هي التي ابتلى الله سبحانه للإنسان المؤمن إنما أراد له أن يستفيد منها في تربية نفسه، وتزكيتها، وتخليصها من رذائل الأخلاق، ومن العصبية الجاهلية، ومن الكبر والغرور، وغير ذلك. فما أراد الله تعالى دواء لابن العشب، من أسباب حصوله على الفضائل والكمالات اتخذ منه ابن العشب وسيلة للحصول على النقائص والرذائل.

#### صفة الجلاس الرابعة:

**واللافت هنا:** ما جرى للجلاس الكلي الذي أفلت من جيش الأعداء، فإنه تبادل مع راع لقيه، فأعطاه جبته الفاخرة، التي هي جبة خز، وأخذ منه عباءة تناسب حال الراعي، وأخذ أداة الرعي الأخرى في يده.

فلما أدركته الخيل توهّموا أنه مجرد راع، فسألوه هو عن الجلاس وأصحابه، فأشار إلى جهة أخرى، فتركوه، وتبعوا الجهة التي أشار إليها، ونجا هو منهم.

وهذا توفيق له ولطف به من الله تعالى.. ولولا ذلك لكان مصيره  
القتل أو الأسر والسلب، لأن نفس ثيابه الفاخرة هي التي تغريهم  
بارتكاب ذلك منه. كما أوضحت أبيات الجواس بن المعطل نفسه.



# الفهرس

- 1 - الفهرس الإجمالي
- 2 - الفهرس التفصيلي



## 1 - الفهرس الإجمالي

|     |                                                 |
|-----|-------------------------------------------------|
| 7   | الفصل الرابع: القتال في النهروان.....           |
| 40  | الفصل الخامس: بعد أن وضعت الحرب أوزارها.....    |
| 73  | الفصل السادس: حديث النهروان بروايات أخرى..      |
| 97  | الفصل السابع: المخدج بيت القصيد.....            |
| 142 | الفصل الثامن: أحداث في طريق العودة.....         |
|     | <b>الباب الثالث: الخوارج بعد النهروان..</b>     |
| 162 | الفصل الأول: خوارج على علي x بعد النهروان.....  |
| 172 | الفصل الثاني: الخريّيت بن راشد وحديث مصقلة..... |
| 208 | الفصل الثالث: وقفات مع حديث الخريّيت..          |
| 254 | الفصل الرابع: وقفات مع حديث مصقلة.....          |
| 273 | الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة حول الخوارج..     |

## الباب الرابع: إحدى عشر غارة في الحديث والتاريخ..

- الفصل الأول: إذا صارت العبادة تجارة: ..... 298
- الفصل الثاني: خمس غارات على مناطق مختلفة.. ..... 331
- الفهارس: ..... 367

## 2 - الفهرس التفصيلي

### الفصل الرابع: القتال في النهروان.. 7

- 9 ..... لا تبدأوهم بالقتال:
- 11 ..... الأخسرون أعمالاً، لماذا؟!:
- 12 ..... الشهداء التسعة:
- 13 ..... هربوا من الكفر فوقعوا فيه:
- 14 ..... من حديث القتال أيضاً:
- 15 ..... ثلاث حملات لخوارج النهروان:
- 16 ..... عدي يضمن العيزار:
- 17 ..... قتل العيزار في النهروان:
- 18 ..... قتل الراسبي:
- 19 ..... قتل ذي الثدية:

- 19 ..... قتل ابن الوضاح:
- 20 ..... الذين أفلتوا الخوارج:
- 21 ..... تسعة أو سبعة:
- 22 ..... صدق الله ورسوله:
- 23 ..... من أعظم إنجازات علي ×:
- 27 ..... الآن حل قتالهم:
- 29 ..... شك الراسبي أنقذهم:
- 33 ..... إقرار أهل الأرض:
- 33 ..... اضربهم ولا أرى علياً ×:
- 34 ..... الأخسرون أعمالاً:
- 35 ..... من الكفر فروا:
- 38 ..... الرواية الأقرب والأصوب:

### الفصل الخامس: بعد أن وضعت الحرب أوزارها..

- 42 ..... لا يقتل تسعة، ولا ينجو تسعة:
- 46 ..... عدد من أفلت:
- 49 ..... دفن قتلى الخوارج:
- 50 ..... قطع الرؤوس وكشف العورات ممنوع:
- 52 ..... الغنائم.. والجرحى في النهروان:
- 55 ..... ذو الندية جريح أم مقتول؟!:

- 57 ..... علي x قتل الراسبي وذا الثدية:
- 58 ..... هل تتواتر الأسطورة؟!:
- 59 ..... فسكت علي x عليها:
- 61 ..... حرقوص ليس ذا الثدية:
- 64 ..... تاريخ حرب النهروان:
- 66 ..... عدد المقتولين في النهروان:
- 68 ..... هل أراد علي x الإنتقام لنفسه?!:
- الفصل السادس: حديث النهروان بروايات أخرى..**
- 75 ..... 1 - أبو مريم يروي حديث النهروان:
- 78 ..... السلاح في المسجد ممنوع:
- 79 ..... الروح العدوانية:
- 79 ..... علي x ينشر حديث المارقين:
- 81 ..... ذو الثدية الضعيف:
- 81 ..... قطع يد المخدج:
- 82 ..... 2 - علي x يروي حديث الخوارج:
- 86 ..... ملاحظات يسيرة:
- 88 ..... 3 - خطة القتال:
- 91 ..... الخطة الصائبة:

- يزيد بن قيس: ..... 93
- علي × لولده: يا ابن اللخناء: ..... 93
- الفصل السابع: المخدج بيت القصيد..**
- عائشة تبحث عن المخدج: ..... 99
- ابن شداد يروي لعائشة: ..... 100
- تزوير التاريخ: ..... 106
- الكذب على ابن عباس وعلي ×: ..... 108
- القسامة لماذا؟! ولماذا التكتم؟!: ..... 109
- تحريف: أيها المصحف حدث الناس: ..... 111
- ابن الكواء يخاف من ابن عباس: ..... 112
- ابن الكواء مع الكفة الراجحة: ..... 112
- ذو الثدية غير معروف: ..... 113
- استحلال أهل الذمة: ..... 113
- التشكيك في أمر ذي الثدية: ..... 114
- حرب الخوارج هي الأصعب: ..... 123
- الحدث الذائع: ..... 124
- المعجزة والإيمان: ..... 126
- الكذب على علي ×: ..... 128
- نظرة في موقف عائشة والخوارج: ..... 130

- 133 ..... رواية الخوارج لحديث المخدج:
- 136 ..... أسود النهار ورهبان الليل:
- 137 ..... الخوارج يكذبون على علي x :  
**الفصل الثامن: أحداث في طريق العودة..**
- 144 ..... رد الشمس لعلي بروايته x:
- 146 ..... رد الشمس منحة إلهية:
- 147 ..... رد الشمس مرتبط بالإمامة:
- 148 ..... مسجد برائثا:
- 152 ..... إيضاحات:
- 152 ..... مسجد برائثا للشيعة:
- 153 ..... هنات في كلام الحموي:
- 154 ..... ملاحظة على حديث الراهب:
- 155 ..... إتمام الصلاة في برائثا:
- 155 ..... أصلع قريش وعين مريم:
- 156 ..... لا تقل شيئاً:
- 156 ..... صلاته x إلى الصخرة:
- 157 ..... زهاء مئة ألف:

## الباب الثالث: الخوارج بعد النهروان..

### الفصل الأول: خوارج على علي × بعد النهروان..

- خوارج آخرون في عهد علي × : ..... 164
- 1 - أشرس بن عوف: ..... 164
- 2 - هلال بن علفة: ..... 165
- 3 - الأشهب بن بشر: ..... 165
- 4 - سعيد بن قفل: ..... 166
- 5 - أبو مريم السعدي: ..... 166
- علي × يعالج جرحى الخوارج: ..... 168
- 6 - خوارج النخيلة: ..... 168
- 7 - الخريت بن راشد: ..... 170

### الفصل الثاني: الخريت بن راشد وحديث مصقلة..

- الخرّيت بن راشد: ..... 174
- الخرّيت ينصح علياً ×: ..... 190
- مصقلة يهرب من معاوية: ..... 192
- خبر الخريت عند ابن أعثم: ..... 196
- حديث مصقلة عند ابن أعثم: ..... 199

### الفصل الثالث: وقفات مع حديث الخريت..

- بداية: ..... 210

- 210 ..... أو هام الخريّيت:
- 212 ..... واقعية أمير المؤمنين x:
- 216 ..... ثناء أمير المؤمنين x على ابن خصفة:
- 217 ..... معقل بن قيس: يخالف وصية علي x :
- 220 ..... من هو ابن حجية؟!:
- 221 ..... أي شوري يريد لها الخريّيت؟!:
- 224 ..... مفارقات خريّية:
- 225 ..... أين قتل الخريّيت؟!:
- 226 ..... ما فعله الخريّيت في الكوفة:
- 226 ..... من الذي قتل الخريّيت؟!:
- 226 ..... هل هو الخريّيت أم الحارث؟!:
- 227 ..... هل هو نصراني أم خارجي؟!:
- 227 ..... خطأ وقع فيه البلاذري:
- 228 ..... الخريّيت يخشى حجة علي x :
- 229 ..... ويحك!!:
- 230 ..... هلمّ إلي:
- 230 ..... أدارسك الكتاب!:
- 231 ..... وأناظرك في السنن:

- 231 ..... المفاتحة بأمر من الحق: .
- 232 ..... لعلك تعرف: .
- 234 ..... لو فعلنا هذا ملأنا السجون: .
- 235 ..... ضرورة اليقظة والمتابعة: .
- 236 ..... البحث عن الخريت الهارب: .
- 238 ..... من مواصفات القادة: .
- 240 ..... أن اجتماعاً، فمعتل هو الأمير: .
- 241 ..... التتويه بابن خصفة ومن معه: .
- 243 ..... سهل بن حنيف كان حياً: .
- 245 ..... مسلمون، وعلوج، وأكراد: .
- 246 ..... لا تبغ، لا تظلم، لا تتكبر: .
- 251 ..... قطع رأس الخريت: .
- 252 ..... عدد جيش الخريت: .
- الفصل الرابع: وقفات مع حديث مصقلة..**

- 256 ..... بداية: .
- 256 ..... أحسنت وأصبت: .
- 257 ..... الخيانة والغش: .
- 259 ..... علي × ليس كعثمان: .
- 260 ..... فعل السادة وقرار العبيد: .

|                                                         |       |                               |
|---------------------------------------------------------|-------|-------------------------------|
| 264                                                     | ..... | خيانة الفاجر:                 |
| 266                                                     | ..... | هدم دار مصقلة، لماذا؟!:       |
| 268                                                     | ..... | قطع يد الرسول:                |
| 269                                                     | ..... | يمشي العرضنة:                 |
| 269                                                     | ..... | ثمن الأسرى:                   |
| 270                                                     | ..... | عاديت النبي محمداً ':         |
| <b>الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة حول الخوارج..</b>      |       |                               |
| 275                                                     | ..... | علي x يعالج أو هام الناس:     |
| 279                                                     | ..... | لا بد من حفظ اليقين:          |
| 282                                                     | ..... | ما الذي غر الخوارج؟!:         |
| 283                                                     | ..... | آخرهم لصوص سلابون:            |
| 286                                                     | ..... | لا تقتلوا الخوارج بعدي:       |
| 290                                                     | ..... | الخوارج باقون:                |
| <b>الباب الرابع: إحدى عشر غارة في الحديث والتاريخ..</b> |       |                               |
| <b>الفصل الأول: إذا صارت العبادة تجارة:</b>             |       |                               |
| 300                                                     | ..... | قداسة علي x:                  |
| 301                                                     | ..... | قول الزاهدين.. وعمل الراغبين: |
| 305                                                     | ..... | العلاج اختيار وقرار:          |

- 307 ..... توجهوا من فوركم إلى عدوكم:
- 311 ..... لو أطاعوا علياً ×:
- 314 ..... التعللات الماكرة:
- 317 ..... الإقلال من زيارة النساء والأبناء:
- 318 ..... القلوب المألوسة:
- 319 ..... ثعالب رواغة:
- 320 ..... الإبل التي ضل رعاتها:
- 322 ..... يسلمون علياً × عند الشدة:
- 322 ..... حق الحاكم، وحق الرعية:
- 325 ..... طريقة بيان هذا الأمر:
- 325 ..... علي × يبعد قبائل عن الكوفة!!:

### الفصل الثاني: خمس غارات على مناطق مختلفة..

- 333 ..... 1 - غارات الضحاك بن قيس:
- 337 ..... توضيحات:
- 339 ..... متى كانت الغارات؟!:
- 341 ..... نقض العهد لماذا؟!:
- 348 ..... اخرجوا معي، ثم فروا عني:
- 351 ..... في ألف، أو في أربعة آلاف:
- 351 ..... عدد القتلى:

- 352 ..... 2 - غارة الأشر على الجزيرة:
- 354 ..... غارة مسلم بن عقبة على دومة الجندل:
- 355 ..... موقف أهل دومة الجندل خطأ:
- 355 ..... يدافعه عنهم، ولا يبايعونه:
- 356 ..... تدني المستوى الأخلاقي:
- 357 ..... 4 - غارة البياغ الكلبى:
- 358 ..... 5 - غارة ابن مكحول على السماوة:
- 360 ..... لماذا هذه الحركات؟!:
- 361 ..... خيانة ابن العشبة لماذا؟!:
- 362 ..... عقوبة ابن العشبة:
- 363 ..... الجبن والعصية هما الداء الدوي:
- 364 ..... صفقة الجلاس الرابعة:
- الفهارس..
- 369 ..... 1 - الفهرس الإجمالى:
- 371 ..... 2 - الفهرس التفصيلي